الإمارات
THE EMIRATES

# مَرَاوِد

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

العدد 67 - يونيو 2024، السنة الثامنة

## ملف العدد:

## الأمثال الشعبية في التراث العربي

«الشارقة للتراث» يشارك في معرض سالونيك للكتاب 2024

«الشارقة للتراث» يشارك في معرض أبوظبي الدولي للكتاب

مشاركة نوعية لـ«الشارقة للتراث» في «الرباط الدولي للكتاب»

«الشارقة للتراث» يطلق النسخة الخامسة من جائزة الشارقة الدولية للتراث الثقافي

MARAWED The 67nd Issue, Jun 2024, the 8th Year
مراود العدد 67 - يونيو 2024، السنة الثامنة

صدر حديثاً

إدارة المحتوى والنشر
Content and Publishing Department
unesco
Centre
Under the auspices
of UNESCO
معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE
FOR HERITAGE

مُرَاوِد

# سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

**يشترط في المواد المقدّمة للنشر:**

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: **marawed@sih.gov.ae**


**للتواصل مع إدارة التحرير:**

**0097165014898**

**marawed@sih.gov.ae**

**د. عبدالعزيز المسلّم**

رئيس معهد الشارقة للتراث

رئيس التحرير


# الأمثال الشعبية..
## مستودع الحكمة

الأمثال الشعبية خلاصة تجارب الأمم، ونبع تراثها، ومستودع قيمها وحكمتها ومُثلها التي توارثتها كابراً عن كابر، صيغت مفرداتها بلغة سهلة مكتنزة بالمعاني الجميلة، والقِيم الأصيلة التي تعكس نمط الحياة، ونحلة العيش، وخلاصة التجارب، تستحضر في أوقاتها، وتضرب في أوانها؛ لتعزيز فكرة، والحثّ على سلوك حسن، أو التنفير من عمل مشين بهدف اجتنابه. والأمثال تضرب كذلك في مجالات الحياة كافة، في التعامل مع الآخرين، سواء من الأهل أو الأقارب أو الأصحاب، أو حتى الأغراب، أساليبها محددة، تحكمها كثير من الأمور، منها المادي، ومنها المعنوي، كما أن لخصوصية العلاقة وعموميتها دوراً في شكل المعاملات بين الناس، وتقاليد الشعوب مقرونة بتعاملاتهم فيما بينهم، ومع الآخرين، وفق الأعراف والعادات والتقاليد، والإمارات العربية المتحدة جزء أصيل من شبه الجزيرة العربية، أرض العرب الأولى، ومنبع أخلاقهم النبيلة التي لا يضاهيها خلق شعب آخر في العالم أجمع.

وينشأ الطفل في الإمارات وينمو ويترعرع وهو يتلقى جرعات تلو الأخرى من محاسن الأخلاق، وجمال الصفات التي يجب أن يتحلى بها؛ حتى تكتمل شخصيته، ويبرز كيانه، ومن أهمها آداب التعامل مع الآخرين؛ فتزكية النفس والارتقاء بها، والسمو بها عن سفاسف الأمور، والصفح والتغاضي، أمور تبرز الفرد بخلقه الكريم، وكذلك تبرز الجماعة التي ينتمي إليها. لذلك، ونظراً لأهمية الأمثال الشعبية وقيمتها ورسالتها الهادفة، فقد أفردنا هذا العدد للحديث عنها، وبيان مكانتها وحضورها في موروثنا الثقافي. وفي العدد كذلك مقاربات نوعية ومقالات رصينة تعكس مدى أهمية التراث الثقافي الإماراتي والعربي والعالمي، حيث تحتفي بعناصر ورموز متعددة.

# المحتويات

العدد 67 – يونيو 2024

مُراود

الغلاف

**10**

ملف العدد

**الأمثال الشعبية في التراث العربي**

**8**

برامج وفعاليات

«الشارقة للتراث» يشارك في معرض سالونيك الدولي للكتاب 2024

**60**

فنون شعبية

فن الحساوي

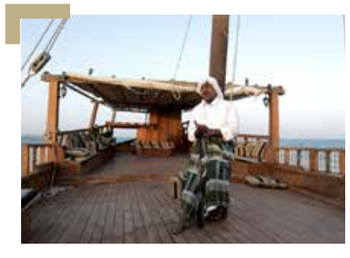

**58**

الموسيقا والغِناء في الأمثال الشعبية

موسيقا الشعوب

**66**

الباحث عبد الجليل علي السعد

دراسة

**76**

زاوية

**جهود الشيخ سلطان بن محمد القاسمي في النهوض بالأدب**

خواطر

**66**

اثنينية الذيب ملتقى ثقافي تحت سماء الرياض

قراءة أدبية

**70**

**كتب تراثية.. قراءة معاصرة**

مقاربات

**79**

**مصطفى الأزموري.. مغربي مشارك في استكشاف أمريكا**

قصة التراث الشعبي

**86**

فولكلور الطيور

كتابة ونقوش

**82**

**مملكة كانم - برن بحوض بحيرة التشاد**

ضوء

**90**

**«رحلة الخير » ذكرى دخول السيد المسيح أرض مصر**

ذاكرة تراثية

## قلعة الرميلة.. أهمية تاريخية ومحطة إدارية وتجارية

94

رؤى

## آلة الربابة: تصنيعها ومراحل تطورها وكيفية العزف عليها

100

ضوء

## ملامح من الحياة الفكرية والعلمية بتافيلالت

112

أمثال شعبية

## الكلاب في الأمثال العدنية

106

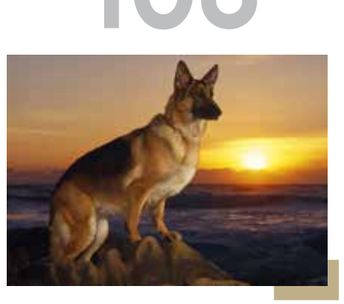

إضاءة

108

## الأشجار في الإمارات.. ذاكرة الروح ومكان البوح

فضاءات

## الهجن والهجانة تراث بدوي سوري عريق

118

أفق

## العمامة حقيقتها واستعمالاتها الرمزية

126

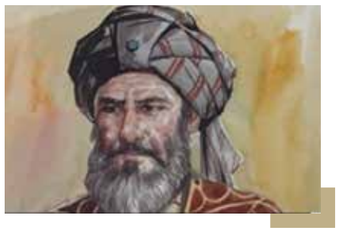

الموروث الشعبي

122

## النار في الموروث والتراث

96

حوار العدد

## علي أحمد الكندي: هدفي تقديم التاريخ الصحيح بالاستناد إلى الروايات الشفاهية والوثائق


الآراء الواردة في المقالات، والتحقيقات، والمقابلات، تُعبر عن رأي أصحابها ومواقفهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي وتوجه المجلة، ويتحمل أصحابها المسؤولية الأدبية أمام الرأي العام، والقانونية أمام الجهات المختصة.



800TURATH

+971 6 5092666

marawed_sih

www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

# مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي


رئيس التحرير
**د. عبد العزيز المسلم**
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
**د. ماجد بوشليبي**
كاتب وخبير ثقافي

مدير التحرير
**د. منّى بونعامة**
مدير إدارة المحتوى والنشر

هيئة التحرير
**أ. علي العبدان**
**أ. عتيج القبيسي**
**أ. عائشة الشامسي**
**أ. سارة إبراهيم**

سكرتير التحرير
**أحمد الشناوي**

التصميم والإخراج الفني
**منير حمود**

التدقيق اللغوي
**بسام الفحل**

التصوير
**قسم الإعلام**

# «الشارقة للتراث» يشارك في
## معرض سالونيك الدولي للكتاب 2024

شارك معهد الشارقة للتراث، ضمن جناح الشارقة، في فعاليات الدورة العشرين من معرض سالونيك الدولي للكتاب في اليونان، الذي نظّم في الفترة من 16–19 مايو2024 ، حيث حلت الشارقة في هذه الدورة كأول ضيف شرف عربي على المعرض، مسجلة حضوراً لافتاً من خلال هيئة الشارقة للكتاب، وعددٍ من مؤسساتها وهيئاتها الثقافية والأكاديمية.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «إن الاحتفاء العميق الذي تحظى به مشاركة إمارة الشارقة ومؤسساتها في هذا الحدث الثقافي العالمي الكبير، يؤكد بصورة قاطعة المكانة الدولية المرموقة التي باتت تتبوؤها الشارقة على خريطة المحافظة على الثقافة والتراث، ونشر التبادل المعرفي الخلاق والملهم بين الشعوب والمجتمعات، وبقيادة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، ما جعلها علامة فارقة في سماء التواصل الحضاري والعلمي، وأنموذجاً حياً ومستداماً يستحق أن يحتذى، وأن يتم تسليط الضوء على تجربته الغنية العابرة للقارات والثقافات والأجيال».

# مشاركة نوعية لـ«الشارقة للتراث» في «الرباط الدولي للكتاب»

شارك معهد الشارقة للتراث في فعاليات معرض الرباط الدولي للكتاب والنشر، في دورته الـ29، التي انعقدت خلال الفترة من 09-19 مايو 2024، بفضاء السويسي بأكدال، بأكثر من 800 عنوان في شتى مجالات التراث الثقافي، تضم كتباً وموسوعات وسلاسل ومجلات ونشرات متنوعة المضامين.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث إنّ: «يندرج إصدار هذا الكمّ النوعي من الكتب والمنشورات ضمن رؤية المعهد الثقافية الشاملة والمتكاملة، والرامية إلى رفد الساحة الثقافية بنتاجات علمية قيّمة، تراعي المعايير العلمية والضوابط الأكاديمية المتعارف عليها في مجال النشر، والتي تتّسق مع مشروع الشارقة الثقافي.



# «الشارقة للتراث» يشارك في «أبوظبي الدولي للكتاب»

شارك معهد الشارقة للتراث في معرض أبوظبي الدولي للكتاب، في دورته الـ33، التي انعقدت خلال الفترة من 29 إبريل ولغاية 5 مايو 2024، بأكثر من 800 عنوان في شتى مجالات التراث الثقافي، من بينها أحدث الإصدارات، وهي: «خطارات المغرب وأفلاج الجزيرة العربية البعد الحضاري والتنموي»، من إعداد الدكتور يحيى لطف العبالي، و«الخيمة في الصحراء الأطلنطية»، لرحال بوبريك، و«الصوت الرفيع الشاعر محمد بن لعبون تنقلاته الأخيرة بين البحرين والكويت»، بحث وتحقيق مبارك عمرو العماري، والعدد الأخير من سلسلة عالم التراث، ومجلتا الموروث ومراود.. وغيرها، بالإضافة إلى كمّ من العناوين القيّمة التي تلامس موضوعات ثقافية وتراثية متنوعة.

# «الشارقة للتراث» يطلق النسخة الخامسة
## من جائزة الشارقة الدولية للتراث الثقافي

أعلن معهد الشارقة للتراث إطلاق النسخة الخامسة من جائزة الشارقة الدولية للتراث الثقافي تحت شعار «تراث ثقافي.. تواصل إنساني»، التي تهدف إلى تقدير جهود المحافظة على التراث الثقافي وتوثيقها على الصعيد المحلي والعربي والدولي.

جاء ذلك خلال المؤتمر الصحفي الذي عقده المعهد أمام ممثلي الجهات الإعلامية في مقر مركز التراث العربي التابع للمعهد، بحضور سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث رئيس مجلس أمناء جائزة الشارقة الدولية للتراث الثقافي، والأستاذة عائشة الحصان الشامسي، مديرة مركز التراث العربي الأمين العام للجائزة، وأعضاء مجلس الأمناء، وعدد من موظفي المعهد.

ملف العدد

# الأمثال الشعبية في التراث العربي

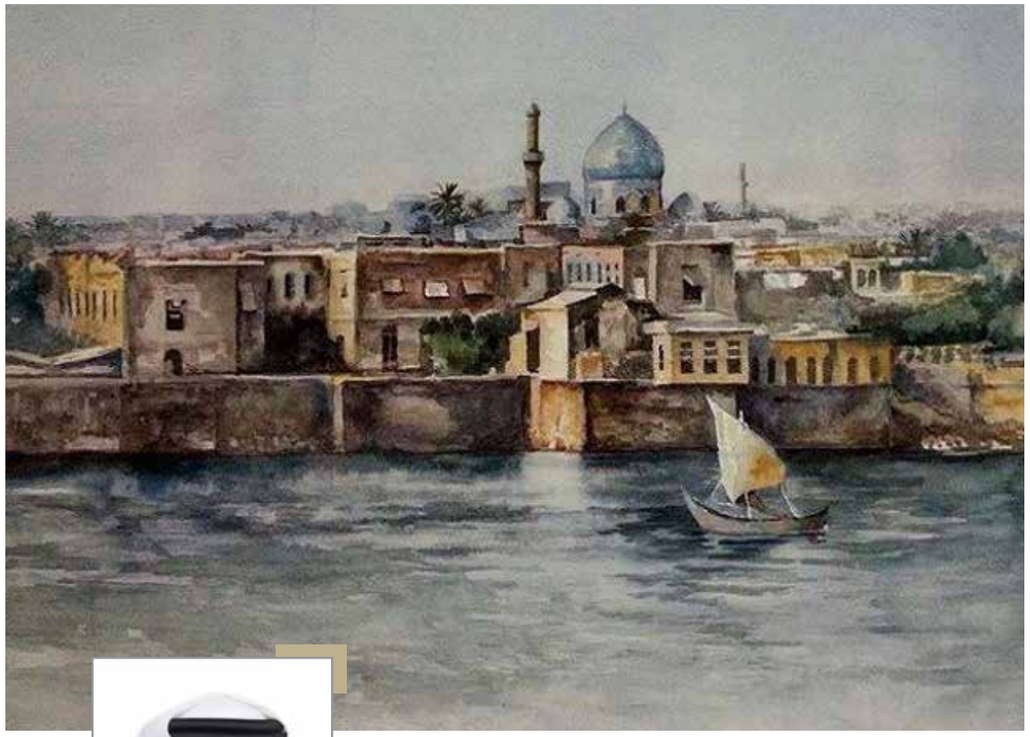

# الأمثال المولّدة
## في التراثين البغدادي والأندلسي

فهد علي المعمري
باحث - الإمارات

تُعَدُّ الأمثال الشعبية مساراً وامتداداً حيّاً للأمثال الأم؛ وهي الأمثال في التراث العربي الزاخر، كما تحتل الأمثال مكانة سامقة في الآداب والتراث العربي؛ لما تمثله من حكمة بارعة في قالب نثري قوامه كلمات قليلة، ولكنها تحمل من خلالها فصاحة وبلاغة، وبياناً له حلاوته وطلاوته في توظيف المفردات، وإسقاط المعاني، وانعكاس الزمان والمكان؛ ليتغلغل في كيان المجتمع العربي، متأثراً ومؤثراً في الوقت ذاته.

وقبل أن نبدأ الحديث عن الأمثال، لا بد لنا من التوقف قليلاً عند نقطتين رئيستين، هما: ما المثل؟ وما تعريف المثل في التراث العربي؟ أمّا النقطة الأولى، وهي: ما المثل، ونَعنِي هنا بماهيّة المثل، وليس تعريفه، وتطالعنا بعض الماهيّات، وهي:

• هُوَ مَثَلُهُ الأَعْلَى أي نمُوذَجُهُ.

• الْمَثَلُ السَّائِرُ: القَوْلُ السَّائِرُ هُوَ كَلامٌ في جُمْلَةٍ أَوْ جُمْلَتَيْنِ، وقد ألّف أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير، المتوفى سنة 637 للهجرة كتابه في البلاغة والبيان حاملاً هذا العنوان.

• هُوَ مِثْلُهُ في كُلِّ شَيْءٍ: شَبِيهُهُ، نَظِيرُهُ.

• ويقال: هذا أُمثُلُ من هذا أي أفضل، ويقول الشاعر امرؤ القيس:

ألا أيّها الليلُ الطويلَ ألا انجلي

بصبحٍ وما الإصباح عنك بأمثلِ

هذه النماذج توضّح ماهيّة المثل، وله صورٌ أخرى تتجاوز هذه الماهيّة إلى ماهيّاتٍ أُخَر، نصفح عنها؛ لأنها ليست من المعنى الذي نحن بصدده؛ لننتقل إلى النقطة الثانية، وهي تعريف المثل في التراث العربي، وهو بشكل موجز وبسيط وسهل، هو نهاية الحكمة وخلاصة التجارب، ونستطيع القول إنها هي العبارة الفنية السائرة الموجزة التي تصاغ لتصوير موقف أو حادثة ولتستخلص خبرة إنسانية يمكن استعادتها في حلّة أخرى مشابهة لها.

وكثيراً ما تصاغ الأمثال نتيجة حادثةٍ وقعت، أو في مناسبة خاصة، ونظراً لما تحمله عناصر المثل المشتملة على الإيجاز والمحسنّات البديعية وقِصَر الفقرات والعبارات، واحتوائها على الحكمة؛ فقد تبوأت مكانة متقدمة في التراث العربي، وتناقلتها الألسن، وانتشرت عربيّاً في المشارق والمغارب، لسهولتها وبلاغتها.

والأدب العربي قد أمدّنا بتراث عريق من الأمثال الأدبيّة والشعبيّة، وقد ألّف فيها عددٌ ليس بالقليل، وقد عُرِفَت بمصطلح الأمثال المولّدة؛ أي الأمثال التي صيغت بالمفردات الشعبية في ذلك الوقت؛ فهناك كتاب الأمثال المولّدة لأبي بكر الخوارزمي، وخصّص كتابه للأمثال الشعبيّة العراقية في ذلك الوقت، وهناك كتاب المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي، من خلال الفصل الذي عقده في كتابه؛ فقد نقل فيه صورة طريفة من الأمثال التي تجري على ألسنة الناس في عصره وفي بيئته، بجانب ما رواه من الأمثال باللغة الفصحى، وكتاب الأمثال المولّدة وأثرها في الحياة الأدبيّة في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، لمؤلفه فيصل مفتاح الحدّاد، وكتاب ريّ الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، لأبي يحيى

عبيدالله بن أحمد الزجالي، ويتحدث الكتاب عن الأدب الأندلسي خلال القرون الخامس والسادس والسابع للهجرة، والكتاب في جزأين، وقد خصّص المؤلف الجزء الثاني بأكمله للأمثال المولّدة في الأندلس.

وسوف نتحدّث عن كتابين في هذا الشأن؛ لنرى كيف كانت تُصاغ هذه الأمثال المولّدة، وكيف كانت اللغة الشعبيّة في القطر البغدادي الشرقي، والقطر الأندلسي الغربي، لنتعرف عن قرب بهذه الأمثال، فالكتاب الأول مشرقي التأليف، ومشرقي الموقع على خريطة الدولة العربية آنذاك، ولا يزال وهو كتاب الأمثال المولّدة لأبي بكر الخوارزمي، ويتحدث هذا الكتاب عن أمثال المولدّين في العصر العباسي، وبالتالي يُعَدُّ وثيقة اجتماعية تؤرّخ لوجدان المجتمعين العراقي والشامي، وللوجدان العربي الإسلامي بصورة عامة من ورائهما، فضلاً عن كونه وثيقة أدبية أبدعها المجتمع العباسي بكل طبقاته، وممّا جاء في هذا الكتاب الذي يجسّد الأمثال الشعبية في التراث العربي في بغداد حاضرة العالم آنذاك، فصوله العشرون باباً في الأمثال المولدة؛ منها: باب ما يجري مجرى العظة والحكمة من كلام المولدين والإسلاميين، باب في المواعظ والأمثال، باب في الشتم للرجل والدعاء عليه، باب في مدح الرجل، باب أفعل من كذا، باب الأراجيز، ونختار من هذه الأمثال بعضها:

• يقولون في الشّقيّ تعرّض لما فيه هلاكه، وأحسّ من نفسه قوّة: إذا أراد الله هلاك النملة أنبت لها جناحين.

• فإذا ذكروا الوضيع الذي يجرّ الخَطْب الكثير قالوا: شرّ السّمك الذي يكدّر الماء.

• ويقولون: جَهْلٌ يعولني خيرٌ من عقل أعوله.

• ويقولون لمن أرادوا أن يتمّ إحسانه: حقّ من كتب بمسك أن يختم بعنبر.

• ويقولون: الصّبر مفتاح الفرج، وهو مثل دارج عند جميع الدول العربية، ويقع بهذا اللفظ والمعنى.

• ويقولون: أَخْرِج الطّمع من قلبك تَحِلّ القيد من رجلك.

• ويقولون: من غضب بلا شيء، رضي بلا شيء.

• ويقولون: كلّ شيء وثمنه، ويحكى أنّه أوّل من قال هذا زياد الأعجم الشاعر، وذلك أنّه ورد العراق فحمل إليه يحيى بن معبد مائة دينار، فقال فيه:

إذا قيل من للبأس والجود والنّدى

فناد بأعلى الصوت: يحيى بن معبد

• ويقولون: إذا قال المجنون: سوف أرميك فاستعدّ له رفادة.

• ويقولون في الاقتصاد وحسن التدبير: مدّ رجليك على قدر الكساء، وفي أمثالنا الشعبيّة في الإمارات نقول: مد رْيولك على قد لحافك.

• ويقولون: الحيلة أنفع من الوسيلة.

• ويقولون: ليس بصياح الغراب يجيء المطر.

• ويقولون: الموت في الجماعة طيّب، وفي أمثالنا

الشعبيّة في الإمارات نقول: حشرٍ مع الناس عيد.

• ويقولون: أنضح الكلام ثمّ أخرجه.

• ويقولون: من اشترى الدّون بالدّون رجع إلى بيته وهو مغبون، وفي أمثالنا الشعبيّة في الإمارات نقول: لا يغرّك رخصه ترمي نصه.

• ويقولون: من أعطى بصلة أخذ ثومة، وعلى نقيضه نقول في أمثالنا الشعبيّة في الإمارات: من جَدَّم الحَسْنات استوفي اليمايل.

• ويقولون: لا تلد الفارة إلّا الفارة، وفي معناه يقول الشاعر زهير بن أبي سُلْمى:

وهل ينبت الخطّيّ إلّا وشيجه

وتغرس إلّا في منابتها النخلُ

• ويقولون، لكل كلام جواب، وهو بلفظه ومعناه في قول الشاعر جميل بن معمر العذري:

وَأَوّلُ ما قادَ المَوَدَّةَ بَيْنَنا

بِوادي بَغيضٍ يا بُثَيْنَ سِبابُ

وَقُلنا لَها قَولاً فَجاءَت بِمِثْلِهِ

لِكُلِّ كَلامٍ يا بُثَيْنَ جَوابُ

• ويقولون: في كلّ أرض لئام، وهذا موافقٌ للمثل العربي: في كل وادٍ عوف.

• ويقولون: لكلّ غد طعام، وهو في لفظه ومعناه نراه في قول الشاعر أوس بن حجر:

وَلَستُ بِخابِئٍ أَبَداً طَعاماً

جِذارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعامُ

ونرى في هذا الكتاب، ومن خلال في هذه العيّنة من الأمثال الواردة فيه كيف امتزجت الألفاظ والمعاني بين التراث العربي والتراث الشعبي، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أن اللغة الشعبيّة هي جزء أصيل لا يتجزأ من اللغة الفصحى الأم، فهي تتشارك معها في العديد من الألفاظ والمعاني، وتتقاطع في كثير من الأحيان مع الشعر العربي الذي كثيراً ما صاغ المثل والحكمة في أبيات شعرية موزونة ومقفاة ليحفظ لنا الكثير من الأمثال التي قالها أصحابها عبر قرون مديدة من الزمن، لتبقى شاهد عيان للأجيال اللاحقة؛ لتنهل من هذا المعين.

وبعد أن تجوّلنا بين صفحات وأمثال أهل العراق في القرن الرابع الهجري، ندلف الحديث إلى الأمثال المولّدة في مغرب العالم العربي، وتحديداً في الأندلس، لنتصفّح كتاب أمثال العوام في الأندلس وهو الجزء الثاني من كتاب ريّ الأوام ومرعى السّوام في نكت الخواص والعوام لأبي يحيى عبيدالله بن أحمد الزجالي، لنقرأ بعض المفردات اللغوية التي ربمّا نسمعها لأوّل مرة، فلغة أهل الأندلس لغة خليطة بين العرب والبربر والقوط الإسبان، جميع هذه اللغات

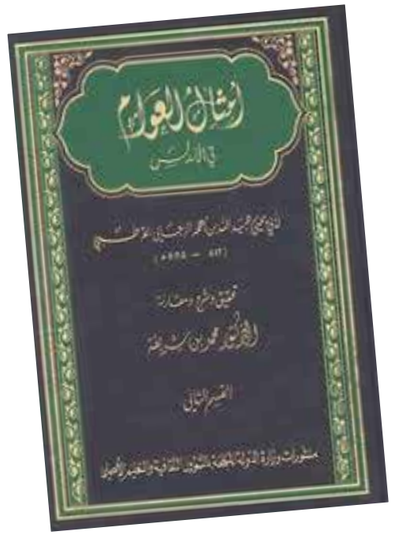


انصهرت في بوتقة واحدة؛ لِتُخْرِجَ لنا لغة الأندلس الشعبيّة التي صاغت من خلالها أمثالها الشعبيّة، وتعود إلى القرن السابع الهجري، وهو زمن المؤلف لهذا الكتاب.

وقد جمع المؤلف مادته ونثرها في 2157 مثلاً مرتبة على حروف الهجاء، ولم يرتبها مؤلفها على الموضوعات أو الأبواب أو أي ترتيب آخر، كما فعل الخوارزمي في أمثال العراق، ونأخذ عيّنة من هذه الأمثال، لتكون شاهدة على لغة أهل الأندلس، ونختار من هذه الأمثال بعضها:

• إذا ريت الزايد، أبشر بالناقص.

• إذا شاخ الباز لعبت به العصافير، وهنا إشارة إلى معنىً مجتمعي وحسيّ، فإذا كبر الباز وشاخ لم تبق له قيمته الاجتماعية والقيادة؛ لتعصف به أقل درجة من الريح التي لا تؤثر حتّى في الأوراق، وقريبٌ من هذا المعنى المثل الشعبي في الإمارات، وهو: اللي ما يعرف الصقر يشويه، والمشاركة هنا في الدلالة المعنوية للمثل.

• إذا وقعت البقر غَرَّرَن السكاكين، وهو المثل بعينه لفظاً ومعنىً في الإمارات، إلّا أن كلمة البقر جاءت مكانها كلمة البعير، ونقول: إذا طاح البعير كثرت سكاكينه.

• إذا أقبلت تقدْها بشعر، وإذا أدبرت قطّعت السلاسل، ونقول في الإمارات:

بشعره تنقادي دنيا يوم أقبلت
يوم أدبرت ما فادي السلاسل قطّعت

• إذا ريت الضّباب أبشر بالطّياب، والطّياب هنا هو الصحو، وهو مثل يتعلّق بالأرصاد والحالة الجوية، ونقول في مِثْلِهِ في الإمارات: إذا ضّبّبَت خَبّبَت؛ أي إذا رأيت الضَّباب قد لفّ شاطئ البحر بحزامه الأبيض، فلا تدخل البحر، فهذا الضباب يَنْبَي بأن في الداخل خُب، وهو اضطراب البحر وارتفاع الأمواج.

• إذا رخص الشعير، غلت الحمير.

• أرنب تَكُلْ لحم؟ قال: ليت لو سِلَمْت بجلدي، ونقول في أمثالنا الشعبيّة في الإمارات: قالوا للأرنب كل لحم، قال: إن سلم لحمي زين.

• برطال في الفم خير من وز في الكم، والبرطال هو العصفور، وهذا المثل هو ذاته المثل العربي بلغته الفصيحة: عصفورٌ في اليد، خيرٌ من عشرة على الشجرة.

• حَج وحاج، وهذا المثل أقرب إلى الكلام المأثور، ونقول في الإمارات: حِجّة وحاجة، وكثيراً ما يتم قلب الجيم ياءً فتصبح حِيّة وحَايِة.

• حكم العزيز على الذليل، وهذا المثل ربمّا يكون موجوداً في جميع الدول العربية بالمعنى والألفاظ ذاتها، ونقول في الإمارات: حكم القوي على الضعيف.

• حتّى يجي من مات، وهذا المعنى يأتي في التعجيز



واستحالة الشيء وعدم وقوعه مهما كان أو حصل، ونقول في أمثالنا الشعبيّة في الإمارات: لين يشيب الغراب، أي يكبر وينبت له الشعر الأبيض مثل الإنسان، ولكن هذا مستحيل ولن يحصل أبداً؛ لأن الشعر الأسود يبقى على جسد الغراب مهما كَبِرَ وشاخ، فالرهان على بياض شعر الغراب رهانٌ خاسر، كما أن انتظار الميت حتى يأتي انتظارٌ لا طائل منه، لأنه لن يأتِ أبداً.

• ركب عبّاس دبّاس، وهذا المثل شائع في معظم الدول العربية، ومتقارب في ألفاظه ومعانيه، ففي بغداد يقولون: عبّاس قتل درباس، وفي السودان يقولون: خلّاهم عماس على دماس، وفي الإمارات نقول: عبّاس على دبّاس.

• صَبرْ أخير من سَفْر.

• في كل قِدْر مغرفة.

• قِدْر بين نفسين ما تغلي أبداً.

• سوس خير من فلوس.

• وقع النُّقْب على النُّقْب، وهو مثل فيمن طلب شيءٌ فأخطأ، ونقيضه في المثل العربي هو أن يضع الشيء على ما يريده ويطلبه، فتقع الحاجة على الطلب، يقول الشاعر دريد بن الصِّمة:

متبذلاً تبدو محاسنه
يضع الهِناء مواضع النُّقب

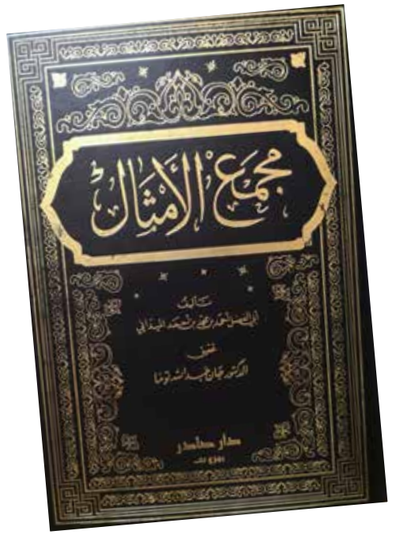


وفي أمثالنا الشعبيّة في الإمارات، نقول: يا الكسر على الفضغ، أي جاء الكسر على العظم المكسور الذي لم يبرأ بعد.

• لا تعيّر فَتْبْتَلَى، ونقول في أمثالنا الشعبيّة في الإمارات: من عَيَّب ابتلى.

• يخدم جهنّم، ويموت بالبرد.

نستخلص من هذه الأمثال التي عرضنا منتخباً منها؛ تمثل في واقعها لغة الشرق والغرب في العالم العربي، كما أن الأمثال في كثيرٍ منها تتشابه مع الأمثال الشعبيّة في الدول العربية الأخرى، أحياناً بالألفاظ والمعاني ذاتها، وأحياناً بالألفاظ دون المعاني، وأحياناً بالمعاني دون الألفاظ، وأحياناً دون الألفاظ والمعاني، وإنما بالفكرة العامة والمضمون، وجميع هذه الأمثال الشعبيّة في العالم العربي؛ إنما تأخذ ألفاظها ومعانيها من الأمثال العربية في التراث العربي الأصيل، من خلال الأبواب الكثيرة التي تطرّق إليها جامعوا الأمثال العربية بدءاً بالمفضّل الضبّي في كتابه أمثال العرب، ومروراً بأمثال أبي فيد مؤرّج بن عمرو السدوسي وأمثال أبي عبيدة معمر بن المثنّى وأمثال الأصمعي، لتصل إلى مرحلة النضج عند أبي هلال العسكري في كتابه جمهرة أمثال العرب، أمّا مرحلة الاكتمال والتبويب كانت عند الميداني في كتابه مَجْمَع الأمثال.

# الأمثال الشعبية
## في التراث العربي

**د. سالم زايد الطنيجي**
كاتب وباحث تراثي - الإمارات

الأمثال الشعبية تعدّ جزءاً لا يتجزأ من التراث العربي، حيث تمتزج فيها الحكمة والخبرة والتجربة الشخصية للأجيال الماضية، فهي عبارات قصيرة تعبر عن مفاهيم وقيم مجتمعية متعددة، تمتد جذورها إلى عمق التاريخ العربي، وتترسخ في الوعي الشعبي بشكل لا يمكن إنكاره. وتتميز الأمثال الشعبية بالبساطة والوضوح، حيث يتم التعبير عن الفكرة المرادة بكلمات قليلة وبسيطة، مما يجعلها قابلة للفهم والاستيعاب من قبل الجميع، بغض النظر عن مستوى التعليم أو الثقافة. وتعكس هذه الأمثال تجارب الحياة والحكمة الشعبية التي انتقلت عبر الأجيال، وتُعدّ مرشداً قيماً في التصرفات واتخاذ القرارات. تتنوع موضوعات الأمثال الشعبية بشكل كبير، حيث تشمل المجالات الاجتماعية والأخلاقية والحياتية والعاطفية وغيرها.



ومن خلال تلك التنوعات، يُظهر التراث العربي الغني مدى اهتمامه بتعزيز القيم الإنسانية النبيلة، وبناء مجتمع صالح، وتعدّ الأمثال الشعبية أداة تواصل ثقافي بين الأجيال، حيث يتم تداولها من جيل إلى آخر كنصائح وتوجيهات للحياة. وبفضل توارثها عبر الأجيال، تظل هذه الأمثال حية ومفيدة في ظل التغيرات والتحديات التي يواجهها المجتمع العربي المعاصر.

بشكل عام، يمكن القول إن الأمثال الشعبية هي عبارة عن كنز ثقافي يحمل في طياته الكثير من الحكمة والتجربة، وتُعد جزءاً لا يتجزأ من الهوية العربية والتراث الثقافي الغني لهذه المنطقة.

تتميز الأمثال في التراث العربي بجوانب عدة تعكس حكمة وتجربة الشعوب العربية عبر العصور. تُعدّ الأمثال جزءاً مهماً من التراث الشفهي والثقافي للعرب، وتعبر عن قيم ومفاهيم اجتماعية وأخلاقية وحكم عميقة، وذلك من خلال استخدام كلمات قليلة، لكن ذات معانٍ عميقة. تشمل مميزات الأمثال في التراث العربي ما يلي:

1. البساطة: تتميز الأمثال العربية بالبساطة في الصياغة والتعبير، ما يجعلها قابلة للفهم والتطبيق في مختلف الحياة اليومية.
2. العمق: على الرغم من بساطتها، إلا أن الأمثال العربية تحمل معاني عميقة، وحكمة تتعلق بالحياة والعلاقات الإنسانية.
3. التجربة: تعكس الأمثال تجارب الأجداد والحكم المستفادة من التجارب والتحديات التي مروا بها، ما يجعلها قيمة تعليمية وتوجيهية.
4. الشمولية: تشمل الأمثال العربية مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والفردية، بما في ذلك الأخلاق، والعمل، والعلاقات الإنسانية، والحكم الحياتية.
5. الإلهام: تُعدّ الأمثال مصدر إلهام للأفراد، حيث يمكن أن توجههم وتوجه سلوكهم في مواقف مختلفة.

بهذه السمات البارزة، تظل الأمثال جزءاً لا يتجزأ من الثقافة العربية، وتعكس حكمة وتجربة الأجيال الماضية، وتستمر في تأثيرها وتطبيقها في الحياة اليومية.

**أهمية الأمثال الشعبية في التراث العربي:**

تشكل الأمثال جزءاً لا يتجزأ من التراث العربي، وتحمل أهمية كبيرة في فهم الثقافة والعادات والقيم في المجتمعات العربية. إنها عبارات قصيرة تحمل في طياتها خبرة وحكمة شعبية متراكمة عبر العصور، وتعكس تجارب الناس وحكمتهم في مواقف الحياة المختلفة. وفيما يلي أهمية الأمثال في التراث العربي:

1. توارث الحكمة والخبرة: تعدّ الأمثال وسيلة لنقل الحكمة والخبرة من جيل إلى جيل، حيث يستفيد الأبناء من تجارب الآباء والأجداد التي تتجلى في هذه العبارات.
2. تعزيز الثقافة والهوية الوطنية: تعكس الأمثال القيم والمبادئ التي يؤمن بها الشعب العربي، وتعزز الانتماء والهوية الوطنية لدى الأفراد.
3. التواصل الاجتماعي: تستخدم الأمثال كوسيلة للتواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، حيث يمكن استخدامها في المحادثات اليومية للتعبير عن الأفكار والمشاعر.
4. التربية والتعليم: تستخدم الأمثال في التربية والتعليم لتعزيز القيم والمبادئ الأخلاقية لدى الأجيال الجديدة، وتعليمهم كيفية التفكير النقدي وحل المشكلات.
5. الإلهام الأدبي: تشكل الأمثال مصدر إلهام للكتّاب والشعراء والروائيين في الأدب العربي، حيث يمكن استخدامها كأداة لتعزيز الرسائل وتثبيت الفكرة في النصوص الأدبية.
6. توثيق التاريخ والتراث: تعكس الأمثال القيم والعادات والتقاليد التي كانت موجودة في المجتمعات العربية في مختلف العصور، وبالتالي تسهم في توثيق التاريخ والتراث الثقافي لهذه المجتمعات.
7. تعبير عن الحكمة الشعبية: تعكس الأمثال حكمة الشعب وفطنته في فهم الحياة ومواجهة التحديات، وتظهر كيفية تفكيرهم الإبداعي والعميق في صياغة العبارات.
8. تحفيز الفكر الابتكاري: يمكن أن تلهم الأمثال الأفراد للتفكير بطرق جديدة، وإيجاد حلول للمشكلات المعقدة، فهي تحتوي على رؤى مفيدة قد تشجع على الابتكار والتجديد.
9. تعزيز الفهم الثقافي والاجتماعي: من خلال دراسة الأمثال، تمكن الأفراد من فهم أعمق للتقاليد والقيم والعادات الاجتماعية في المجتمع العربي، ما يسهم في تعزيز التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع.
10. الاستخدام في الأدب والإعلام: يتم استخدام الأمثال في الأدب ووسائل الإعلام كوسيلة فعّالة لنقل

الرسـائل والأفـكار بشـكل موجـز وملمـوس، وتعزيـز فهـم الجمهـور للموضوعـات المختلفـة.

11. الحفـاظ عـلى الـتراث اللغـوي: تسـهم الأمثـال في الحفـاظ عـلى اللغـة العربيـة الفصحـى وتنويـع اسـتخدامها، حيـث تعـدّ مصـدراً غنيـاً للمفـردات والتعابـير التقليديـة.

12. التعبـير عـن الهويـة الشـخصية: يمكـن للاختيـار الـذكي للأمثـال في المحادثـات اليوميـة أن يسـهم في بنـاء صـورة إيجابيـة عـن شـخصية الفـرد وقدرتـه عـلى التفكير العميـق والاسـتنتاج السـليم.

**دور المؤسسات الحكومية في المحافظة على الأمثال الشعبية؟**

دور المؤسسـات الحكوميـة في المحافظـة عـلى الأمثـال الشـعبية يمكـن أن يكـون متعـدد الأوجه؛ فالأمثال الشـعبية تشـكل جـزءاً مهـماً مـن الـتراث الثقـافي للمجتمـع، وتعكس قيمـه وتقاليـده. لـذا، يمكـن للحكومـات أن تلعـب دوراً مهـماً في الحفـاظ عـلى هـذا الـتراث مـن خـلال:

- دعـم الأبحـاث والدراسـات الثقافيـة: يمكـن للحكومـة تخصيـص مـوارد للبحث والدراسـات حـول الأمثال الشـعبية، وذلـك لفهـم أصولهـا وأهميتهـا وتأثيرهـا في المجتمـع.
- التوثيـق والحفـظ: يمكـن للحكومـة توفـير الدعـم لبرامـج التوثيـق والحفـظ التـي تهـدف إلى جمـع وتوثيـق الأمثال الشـعبية ونقلهـا إلى الأجيـال القادمـة.
- التعليـم والتوعيـة: يمكـن للحكومـة دمـج الأمثـال الشـعبية في مناهـج التعليـم والتوعيـة الثقافيـة، سـواء في المـدارس أو مـن خـلال الفعاليـات الثقافيـة والمهرجانـات.
- الحمايـة القانونيـة: يمكـن للحكومـة وضـع قوانـين تحمـي الأمثـال الشـعبية مـن الاسـتغلال غـير المـشروع أو التشـويه، وتشـجيع الاحـترام والاعـتراف بهـا كجـزء مـن الـتراث الثقـافي.
- الدعـم المـالي والتشـجيع: يمكـن للحكومـة تقديـم الدعـم المـالي للفعاليـات الثقافيـة الـتي تسـهم في نـشر وتعزيـز الأمثـال الشـعبية، وكذلـك تشـجيع الفنانـين والمؤلفـين عـلى خلـق وإنتـاج المزيـد مـن الأمثـال الشـعبية الجديـدة.
- الإعـلام والتواصـل: يمكـن للحكومـة اسـتخدام وسـائل الإعـلام ومنصـات التواصـل الاجتماعـي لتعزيـز الوعـي بالأمثـال الشـعبية، وتشـجيع النـاس عـلى مشـاركتها واعتمادهـا في توجيـه سـلوكهم واتخـاذ القـرارات.
- الدعـم للفعاليـات الثقافيـة: يمكـن للحكومـة تنظيـم فعاليـات ثقافيـة مخصصـة للأمثـال الشـعبية، مثـل المهرجانـات والـورش الفنيـة والعـروض الثقافيـة، لتعزيـز الوعـي بهـا وتشـجيع المشـاركة فيهـا.
- التشـجيع عـلى الإبـداع الثقـافي: يمكـن للحكومـة تقديـم الدعـم والمنـح للفنانـين والكتّـاب والمبدعـين الذيـن يعملـون عـلى خلـق أمثـال شـعبية جديـدة، وذلـك لتحفيز الإبـداع الثقـافي وتعزيـز التجديـد في هـذا الجانـب.

باختصـار، يمكـن للمؤسسـات الحكوميـة أن تلعـب دوراً شـاملاً في تعزيـز وحفـظ الأمثـال الشـعبية، وذلـك من خلال دعـم البحـث والتوثيـق، وتضمينهـا في التعليـم والتوعيـة، وتقديـم الحمايـة القانونيـة والدعـم المـالي، وتشـجيع اسـتخدامها وتطبيقهـا في المجتمـع بشـكل فعّـال.

دور الأفـراد والإعـلام في المحافظـة عـلى الأمثـال الشـعبية ؟

ويـأتي هنـا دور الأفـراد والإعـلام في المحافظـة عـلى الأمثـال الشـعبية، مـا يمثـل جـزءاً مهـماً في المحافظـة عـلى تـراث الثقافـة والهويـة الوطنيـة. هـذه بعـض الأدوار التـي يمكـن أن يلعبهـا كل مـن الأفـراد ووسـائل الإعـلام في هـذا الصـدد:

1. الأفراد:

- نقـل الأمثـال الشـعبية إلى الأجيـال الجديـدة مـن خـلال الحـوار والتواصـل معهـم.
- تطبيـق الأمثـال الشـعبية في الحيـاة اليوميـة والتعبـير عنهـا في المواقـف المناسـبة.
- المحافظـة عـلى تقاليـد الأسرة ونقلهـا إلى الأجيـال القادمـة، بمـا في ذلـك الأمثـال الشـعبية الـتي تمـر مـن جيـل إلى جيـل.
- المشـاركة في الفعاليـات الثقافيـة والاجتماعيـة الـتي تـبرز الأمثـال الشـعبية، وتعـزز تعاطـف النـاس معهـا.

2. وسائل الإعلام:

- تسـليط الضـوء عـلى الأمثـال الشـعبية في البرامـج التلفزيونيـة والإذاعيـة والمقـالات الصحفيـة.
- اسـتخدام وسـائل التواصـل الاجتماعـي لنـشر الأمثـال الشـعبية وتفسـير معانيهـا للجمهـور.
- إنتـاج محتـوى تعليمـي يسـتخدم الأمثـال الشـعبية كوسـيلة لتعلـم اللغـة والثقافـة.
- دمـج الأمثـال الشـعبية في الأعـمال الفنيـة مثـل الأفـلام والمسلسـلات لإبرازهـا وتعزيـز وعـي الجمهـور بهـا.

في غابـة مـن الحكـم والمواعـظ، تتراقـص الأمثـال كأوراق الشـجر في رقصـة الحيـاة، تنـثر الحكمـة والتجربـة، تُـضيء لنـا دروب الحكمـة والتفكـير العميـق. إنهـا كنـز لا يفنـى، موروثنـا الثقـافي الـذي يـراوح بـين البسـاطة والعمـق، الجـمال والعمليـة. فـكل حـرف في هـذه الأمثـال يحمل عبق التاريـخ والحكمـة، يـروي لنـا قصـص الأجـداد، ويسـتلهم لنـا دروس الحيـاة. كذلـك تعكـس الأمثـال قيمنـا ومبادئنـا، وتذكرنـا بأهميـة الترابـط والتعـاون في المجتمـع. إنهـا ليسـت مجـرد كلـمات، بـل هـي دليـل عـلى حكمـة أجدادنـا ورؤيتهـم العميقـة للحيـاة والبـشر. في عـالم مملـوء بالتحديـات والصعـاب، تظـل الأمثـال كنـور يسـلط الضـوء عـلى طريقنـا، تشـجعنا عـلى التفكـير العميـق والتأمـل، وتعلمنـا كيـف نواجـه التحديـات بحكمـة وثقـة، كـما يقولون: «إذا تكلـم السـفيه فـلا تجبـه، فخـير مـن إجابتـه السـكوت»، ففـي بعـض الأحيـان يكـون الصمـت أقـوى مـن الـكلام.

في الختـام، فـإن الأمثـال في الـتراث العـربي تشـكل جـزءاً لا يتجـزأ مـن هويتنـا وثقافتنـا، وهـي مصـدر إلهـام لنـا جميعـاً في رحلتنـا في هـذه الحيـاة. دعونـا نحتفـظ بهـذا الـتراث الثمـين، وننقلـه إلى الأجيـال القادمـة كنـور يـضيء لهـم طريـق الحكمـة والتفكـير العميـق.

# روائع الأمثال في التراث العربي:

## مخزون الذاكرة ومرآة التاريخ

**د. عائشة الغيص**
كاتبة وباحثة - الإمارات

المثل نوع من التعبير الاجتماعي التواصلي والإبداعي شديد التكثيف، يتداوله الناس بكل فئاتهم وطبقاتهم وأماكنهم، في البدو والحضر وفي القرية والمدينة، وفي الساحل والصحراء وفي البر والبحر وفي الجزر والجبال، إنه صورة تعبيرية لحكمة الأجداد التي تتنقل من جيل إلى جيل، حتى وصلت إلى العصر الحالي الذي نعيشه اليوم، ثم يسلمه هذا الجيل للجيل اللاحق وهكذا، إنه صورة تاريخية وواقعية لأصالة الشعب، مُختّدة فيه قيمه، ونظرته إلى الحياة والعلاقات الإنسانية، ونظراً لصياغته الفذة المتفردة في أشكاله المعروفة الموجزة تجعله يرسخ في الأذهان، ويسهل على الشفاه ترديده وعلى الأسماع استقباله وعلى الذاكرة الفردية والجمعية حفظه وتسجيله، فيتداوله الناس في كل عصر وفي كل مكان.

الأمثال جمع، ومفردها (مثل)، وجاء في المعاجم أن المثل: جملة من القول مقتطعة من كلام أو مرسلة بذاتها، تُنقل ممن وردت فيه إلى مشابهه من دون تغيير[1]. وفي تعريف آخر: «المثل: جمع أمثال، وهو القول السائر بين الناس، الممثل بمضربه أي الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام. وألفاظ الأمثال لا تعتبر تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً، بل هي عامة تطلق على كل ما يماثل وقائعها ويناظر ظروف نشأتها الأولى»[2]، فعندما تتمثل بقول القائل: (مكسورة تجبر عرجا)، أو قولهم (عميا تخيط لمجنونة)، فإن المثل يطلق على الكل، ذكراً أو أنثى، أو في موقف، فالعبرة منه هي مفهومه ومضربه، ولا يجوز في العرف اللغوي تغيير المثل ومبناه.

والأمثال تعد «من أجلّ الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله؛ لقلة ألفاظها وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها»[3]، فتأمل في دلالة هذه الأمثال وقوة إقناعها ومتعة إطلاقها، يقولون : (إليّ ما يعرف الصقر يشويه)، وقولهم: (لو بيه خير ما رماه الطير)، فالأول يضرب للجاهل بمقام الأشخاص وجواهر الأمور أو التقليل من قيمة الأشياء الثمينة، والمثل الثاني يعبر عن الأشياء المستهلكة التي يتخلى عنها الناس أو أمر يترك ويأتي من يأخذه أو يعتني به، وهو بلا فائدة، وهو مثل مشهور في معظم دول العالم العربي.

وفي القرآن الكريم نجد دعوة صريحة إلى أهمية الأمثال، وهي الأشباه والأحداث والسنن المماثلة التي فيها عبرة وعظة، «ونوع فيها، فأنار كل جانب من جوانب النفس الإنسانية، وقرّب كل حقيقة من حقائق الوجود ودقيقة، تقريراً للحق وترغيباً في الأخذ بأسبابه، وتحذيراً من الباطل وترهيباً من الوقوع في أحابيل الهوى والشيطان»[4]. وفي ذلك يقول تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}[5]، وفي آية أخرى يقول: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[6].

وبالانتقال إلى الثّقافة العربيّة نجد أنّ الأمثالَ الشّعبيّةَ العربيّةَ كانتْ حاضرةً وبقوةٍ في الثّقافةِ العربيّةِ على مرّ عصورها، الأمرُ الّذي دفعَ عدداً من الكُتّابِ إلى جمع هذه الأمثالِ في مؤلفاتٍ خوفاً من ضياعها، ولعلَّ أشهرَ كتبِ الأمثالِ القديمةِ: كتابُ المستقصي في أمثالِ العربِ للزمخشري، وكتابُ مجمعِ الأمثالِ للميداني، ومن تلك

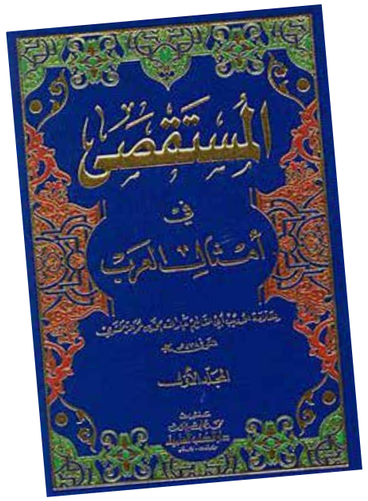

الأمثال العربية الفصيحة التي وردة قولهم، (بلغ السيل الزبى)، والزبى هي حفرة امتلأت بالسيل حتى فاض منها، وعبر عليها، وقريباً منه المثل الشعبي القائل: (ما يبطي السيل إلا من كبره). ومن ذلك قولهم: (على نفسها جنت براقش)، وبراقش هي كلبة قوم نبحت حتى عرف الأعداء موطن أصحابها فغزوهم وقتلوهم وقتلوا معهم براقش، ويضرب المثل لمن كان السبب في هلاك نفسه. وقولهم: (كل إناء بما فيه ينضح)، ويضرب لبيان الطبائع وأخلاق الناس الدالة على أصولهم، وقريباً منه قولهم: (الطيور على أشكالها تقع)[7].

ومن هنا، فإن الأمثال كما يقرر علماء الاجتماع صورة ناطقة، من خلالها تعرف المجتمع وتقاليده وأعرافه وشخصياته وواقعه، إذا أردت أن تعرف مجتمعاً فادرس صفحات أمثاله، ففي الأمثال تبدو فلسفة الواقع وحكمة الحياة، ومنها تستلهم التجارب وتنضج الخبرات. ولذلك قالوا: (بلغ قوله قاموس البحر)؛ أي قعره الأقصى. وقالوا: (كما تَدِينُ تدان)، وغيرها من الأمثال التي تحتوي أبعاداً فلسفية. وخلاصة القول في هذا إن: «الأمثال عبارة موجزة يستحسنها الناس شكلاً ومضموناً، فتنتشر فيما بينهم، ويتناقلها الخلف عن السلف من دون تغيير، متمثلين بها، غالباً في حالات مشابهة لما ضرب لها المثل أصلاً، وإن جهل هذا الأصل، ويجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، حسن التشبيه، وجود الكناية فهو نهاية البلاغة».

وعلى كل، فإن المثل سواء الفصيح أو الشعبي، له قيمة عالية في منطق العرب في كل زمان ومكان، وهو أصل الثقافة العربية، وتظهر أهميته «من حيث اللغة، فهي مصدر من مصادر اللغة، ومن حيث الأسلوب، فهي تمتاز بالإيجاز، وهو أسلوب بلاغيّ، ومن حيث الصياغة والبراعة في التصوير، والصدق في التعبير»[8]. وإن معظم الأمثال الشعبية الحالية لها أصول في المثل العربي، وتمتد جذورها إلى حكمة الأجداد الأوائل، فنسمع الآن المثل الشعبي القائل: (إذا بغيت علة بلا ثمن، كل سمك واشرب لبن)، وفيه حكمة صحية خالدة معروفة. وفي التراث يقال في النهي عن ذلك: (لا تأكل السمك وتشرب اللبن)، ومن ذلك قولهم في المثل الشعبي: (أقوله تيس يقول احلبه)، ويُضربُ للمتعنّت، أو للذي لا يفهم ما يقال له، ويصف الشخص الذي يحار المرء في إقناعه.

والأمثال تناولت كل الموضوعات الحياتية، السلبية منها والإيجابية، فلطالما نبهت إلى قضايا خفية قد تحمل السخرية في تناولها، فتكون أكثر تأثيراً، كما في قولهم: (إذا تصادقت الرعيان ضاعت الغنم)، ويُضربُ في التحذير من الغفلة والسخرية من العلاقات الملهية عن الأمور الجادة.



ولعل من أهم سمات المثل الشعبي، أنه شعبي ينتشر على الألسنة وتتلقفه الأسماع؛ ومعظم الأمثال العربية الشعبية متشابهة، لتشابه التجارب الإنسانية، وهي وثيقة الصلة باللهجة العامية الخاصة بكل بيئة، فهو يتوسل باللهجة العامية التي تختلف بين البيئات الثقافية؛ ذلك أنه كلما تعقدت الروابط الاجتماعية تفرعت اللغة إلى مجموعة من اللغات الخاصة، حتى يسهل تواصل المجتمعات بلهجاتها المتسمة بالسرعة والسلاسة والسهولة[9].

إن كثيراً من الأمثال الشعبية العربية هي أمثال مشتركة تتشارك فيها الشعوب ومن ذلك قولهم: (طنجرة ولقت غطاها)، وهو مثل واسع الانتشار، ويضرب عندما يجتمع شخصان متشابهان بالطباع والسلوك والتفكير، سواء كانا على خطأ أو صواب، على خير أو شرّ، والطنجرة هي الحلّة أو القدر، ومثيله في العربية الفصيحة المثل القائل (وافق شنّ طبقة).

لقد تناولت الأمثال الشعبية العديد من القضايا الاجتماعية والقيمية، وعالجت مسائل متعددة تخص الجوانب الإيجابية والسلبية في المجتمعات، فتجدهم يقولون في التجارب والخبرات: (اسأل مجرّب ولا تسأل طبيب)، ويقولون في تقلب الزمان والأحول: (يوم لك ويوم عليك)، ويقولون في الهرج والمرج (إذا جتمُّوا الكبار خذا النبأ مِن الصّغار). وفي التواصل والتجاهل يقولون في المثل الشعبي: (البَلما تْعرفْ رَمْسة وَلَدْها) والبلماء: هي الخرساء التي لا تتكلم. ويقال في المثل العربي الفصيح: (خاطب القوم بما يفهمون)، وقد تكلم قوم من النحويين بالإعراب مع العوام، فكان ذلك من جنس التغفيل، وإن كان صواباً لا ينبغي أن يكلم كل قوم إلا بما يفهمون[10]. كما نجدهم يقولون في عناية الإنسان بشأنه وما يخصه، والاعتماد على ما يملكه: (حَلَاةْ الثّوبْ رِقْعِتَهْ مِنَّهْ وفِيهْ)، ويقال في المثل العربي الفصيح: (مَا حَكَّ جِلْدَكَ غَيرُ ظُفْرِكْ)[11].

**ختاماً:**

فإن الأمثال العربية القديمة تعتبر منبعاً من منابع الأمثال الشعبية الحاضرة بيننا اليوم، ومصدراً من مصادرها، كما أن الأمثال الشعبية صورة صافية للهجات العربية القديمة؛ وذلك لأن طبيعة العلاقة القائمة بين لهجاتنا الحديثة ولهجاتنا العربية القديمة قوية جداً، فلقد بقيت اللهجات القديمة تنتقل على ألسنة الأجيال المتعاقبة، عن طريق المشافهة والتداول حتى وصلت إلينا، تحمل في طياتها أبعاداً وإضاءات خالدة. إنها صورة تاريخية وواقعية للشعب العربي الأصيل، مُخلّدة فيه قيمه، ونظرته إلى الحياة والعلاقات الإنسانية الواسعة.

# الأمثال الشعبية
## في الإمارات ذاكرة وهوية

**فاطمة سلطان المزروعي**
رئيس قسم الأرشيف الوطني

لا يعرف تحديداً كيف بدأ ما يعرف بالأمثال، كما لم يتم الاتفاق على كيفية انتشارها وأين ظهرت، ويرجع العلماء عدم الاتفاق على تاريخ تقريبي أو من أي الشعوب والحضارات بدأت لقدمها وعمق استخدام الإنسان لها، ويعتقد أن الأمثال بدأت ببداية الإنسان، بمعنى منذ أن بدأ الإنسان في تعلم اللغة ومن ثم الكتابة، فإن الأمثال، كانت نتاجاً طبيعياً لأحداث ومواقف، وبالتالي فهي قديمة قدم اللغة نفسها.

تعرف الأمثال الشعبية بأنها ذاكرة الأمم والشعوب، وهي بمثابة سجل لوقائع وأحداث جسام، تم اختزالها في كلمات قصيرة، تحمل معاني كبيرة؛ لذا فإن بعضهم يعتبر اختراع الأمثال – إذا صحت التسمية – جاءت لحاجة الإنسان، الدكتور سمير عبده في كتابه «التحليل النفسي للأقوال المأثورة»، حاول أن يوضح وظيفة الأمثال، فقال: «الأقوال المأثورة هي عبارة عن مجموعة من الملاحظات، كوّنها أشخاص نتيجة خبراتهم في المجالات الحياتية المختلفة، فمنها ما يتضمن النصائح والحكم، ومنها ما يتضمن الأسباب أو التفسيرات لسلوك معين، ومنها ما يضع شروطاً مسبقة للحصول على نتائج سلوكية معينة، فاستعمال الأقوال المأثورة في الظرف المناسب يدل أولاً على تفهم صحيح لها، ويدل على استيعاب غير مباشر للأقوال المأثورة التي ينشأ فيها الفرد، كما يدل استعمال القول على التزام الفرد باتجاه ما، إن الأقوال المأثورة تتألف من كلمات عدة تؤلف في مجموعها جملة قصيرة، تشير إلى نوع من السلوك له معنى أوسع في الخبرة أو الموقف المعين الذي تشير إليه الألفاظ»، وفي ظني إذا حاولنا تعريف الأمثال، فإن ما سبق وقدمته الدكتورة موزة غباش، عن الأمثال الشعبية هو الأكثر عمقاً وإحاطة، ولعل هذا يعود للسنوات الطويلة التي قضتها في مجال الأبحاث والدراسات الثقافية، وأيضاً لاهتمامها بالتراث والموروث الشعبي بصفة عامة، حيث قالت في تعريفها: «الأمثال الشعبية هي التعبير اللفظي والمتداول بغير تبديل أو تغيير في لفظه الحرفي، والتي تمثل بما تنطوي عليه نصوصها وألفاظها من استخلاصات للتجربة، واستقرار للواقع، وتراكم للخبرة والمعاناة التاريخية، وهي قد تشبه القواعد والخطوط النظرية للسلوك العلمي». وهذا التعريف يقودنا إلى الجزم بمثالية الأمثال، وما وصلنا من الآباء والأجداد، من أقوال اختصرت الكثير من الكلمات في جملة موجزة. يبقى تساؤل كبير لماذا وحدها الأمثال هي التي كانت تنتقل بسلاسة وسهولة من جيل إلى آخر على امتداد العصور والعقود، دون عقبات أو تمحيص أو رفض وإنكار؟ هناك إجابات عدة اهتم العلماء بتحليلها ومحاولة الوصول للحقيقة المطلقة حولها، لكن تبقى تخمينات، وفي أفضل الأحوال اجتهادات لدارسين ومتخصصين في مجال العلوم الاجتماعية، لكنني أعتقد أن ملاصقة تلك الأمثال لحياة الناس اليومية وخروجها من بوتقة هذه الحياة، ومن عمق التجربة الإنسانية اليومية التي قد يكتنفها بعض الألم والحزن، تكون مثل هذه الأمثال مقبولة، بل مفيدة للآخرين الذين لم يخوضوا تجارب قاسية أو تجارب حياتية صادمة، يأتي المثل فيختصر عليك هذه التجربة، ويكون واضحاً وقاطعاً، هذا المثل لم يصدر عبثاً أو جاء عفوياً، بل كان نتيجة لحياة، لذا اجتهد الإنسان في المحافظة عليه، بل ذاكرته اختزلته وقدمته للأجيال التالية التي قامت بالمهمة نفسها في نقله للجيل التالي، وهناك أمثال لا يعرف لها تاريخ عندما تسمعها تشعر بأنها تختصر عليك كثيراً من الحيرة أو القرارات التي قد تكون غير صائبة، وصدق من قال إنها خلاصة تجارب وخبرات الإنسان الماضي، والأمثال في مجملها قد تعطي صورة للحياة الماضية، بمعنى أنها أيضاً تنقل لك وجهاً من أوجه الحياة في سنوات وعقود مضت، فهي تعطي مؤشراً لجانب من جوانب الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية أو المحلية،

وكيفية التعامل مع الصعاب أو المشكلات أو بعض المشكلات التي تطرأ على تلك المجتمعات في تلك الحقب، والأمثال رغم هذا الضوء الذي تنقله لنا من الماضي وتضعه بين يدينا في هذا الحاضر، إلا أنها لا تنفصل عن حاضرنا، ولا عن مستقبلنا، فيمكنك أن تأخذ المثل الذي قيل قبل مائة عام أو أكثر وتسقطه على واقعك، سواء في مجال العمل أو مجال الأسرة وتربية الأطفال أو الرفقة والصحبة أو حتى في القيم والمبادئ الحياتية، وغيرها. وهي أيضاً تعطي صورة مشرقة عن واقع أي أمة من أمم الأرض، والأمثال وقوتها وتميزها اللفظي ووضوح الهدف والرؤية دليل على تميز إنسان تلك البقعة بثقافته ورؤيته. الأمثال ليست خاصة بوطن أو أمة، بل إنها حالة إنسانية عامة، وهي مرآة الأمة التي تعكس أحاسيس الناس على مختلف مستوياتهم، وهي المتنفس الوحيد لمشكلاتهم والتعبير عن عمومهم، فكانت تعدّ بمنزلة ضابط، سلوكاً ومنهجاً أخلاقياً لعامته، يتناقلها الخلف عن السلف فتظل محفورة في الذاكرة تعبر عن كفاح أبنائه عبر سنين، حياتهم في سرائها وضرائها، نعيمها وبؤسها، يسرها وعسرها، خيرها وشرها،

وفي الإمارات لدينا غزارة تراثية كبيرة خلّفها لنا الآباء والأجداد على امتداد تاريخ هذه الأرض الطيبة، فكانت كلماتهم نبعاً من عقل إنسان الإمارات وقوته في مواجهة الصعاب والحياة القاسية، ونظراً لتنوع التضاريس الجغرافية لدولة الإمارات وتنوع المهن التي كان يمارسها الإنسان آنذاك، ولبساطة الحياة، فقد كان يعتمد الإنسان الإماراتي على حصيلة خبرات أجداده وآبائه الموثقة في شكل جمل مفيدة ومختصرة في مجموعة من الأمثال الشعبية التي تجمع الكثير الكثير من الأخلاقيات والحكم والسلوك الحميد، إضافة إلى النصائح والإرشادات والقيم الحياتية القيمة، لقد تأثرت الثقافة الإماراتية في مرحلة ما بعد النفط بسبب الانفتاح والتطور المتسارع بعدد من العوامل، حيث خالط الموروث الشعبي روافد جديدة من ثقافات خارجية، ما أدى إلى ظهور نزعة من التقليد والنقل الذي أسهم في اندثار الثقافة الأصيلة في الإمارات وتجاهل الآباء والأمهات دورهم في ترسيخ اللهجة الإماراتية المحلية، وما تحمله من مفردات وأمثال وغيرها، كما أن سيطرة الثقافات الدخيلة عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، وفقدان روح التكافل والترابط التي من شأنها الحفاظ على الروح الوطنية واللهجة الإماراتية المحلية، وتجسيد روح التعاون بدأت تندثر وحلت محلها نشاطات وممارسات بشرية جديدة مواكبة للتطور والانفتاح في دولة الإمارات ودول الخليج، ورغم ما شهدته الدولة من تحولات في مجالات الحياة، إلا أنها انتبهت لضرورة المحافظة على ركائز التراث والحضارة، وأعدت خططاً للحفاظ على موروثها، وذلك بفضل توجيهات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، وقد شكلت اللهجة العامية أساس بناء المثل الشعبي وصياغته، واستخدمت رموز مختلفة على حسب الموقف الذي قيلت فيه، كما أن هناك علاقة وطيدة بين الإنسان وبيئته، حيث لكل بيئة مميزاتها الاجتماعية ومفرداتها السلوكية وسماتها الأدبية، ولكل بيئة مفرداتها اللغوية. ودولة الإمارات ذات بيئات متعددة، صحراوية، ساحلية، جبلية، فجاءت أمثالها معبرة عن معطيات كل بيئة بعينها، ومستخدمة مفرداتها التي تصف المعيشة، فالبيئة الصحراوية جاءت أمثالها وهي متضمنة لمعطياتها ومثال ذلك (الحوار ما تضره وطية أمه)، و(داير بين اليمل وشداده)، و(حمرانة زادها مريس)، و(إستاف من اليمل قيده)، كذلك البيئة الساحلية لها خصوصيتها ومعطياتها، حيث تشير هذه المجموعة إلى دلالات اجتماعية خاصة بهذه الفئة من السكان في دولة الإمارات، وهم أهل مهن الغوص والأسفار وصيد الأسماك، وقد أوجد الغوص نظاماً اجتماعياً لمن يعمل به ناتج عن طبيعة العمل البدني والممارسات اليومية، ومن الأمثلة الشعبية المتداولة بين الناس في الساحل، (كل هوا وله وشراعه)، و(السمكة الخايسة تخيس السمك كله)، و(يكسر الدقل قبل الخب)، و(عومة ماكولة ومذمومة)، و(بحري وحطوه نوخذة على بحرية مثله ذبحهم)، و(الشيص في الغبة حلو). أما البيئة الجبلية والزراعية، فقد وردت فيها أمثال معبرة عن جوها العام، ومثال على ذلك: (مسوي للحشف مكاييل)، و(كل من قطعنا سيح يانا وادي)، و(يت شوعة من اليبل وقالت تزحزحي يا تينة)، وقد كانت للأمثال أدوار كثيرة ومختلفة، فقد جاءت لتحقيق بعض الأهداف والأغراض مثل الحث على عمل الخير دون انتظار مردود مادي، ومثال ذلك (سو خير وفره بحر) بمعنى أفعل الخير والصواب ولا تنتظر رد المعروف، ومنها ما يدعو للخير والسلام والمحبة، ومنها ما يحذر من الجبن والخداع والكذب، لذا لا يستغرب أن تكون هناك موضوعات عدة للأمثال، من تلك الأمثال التي تدعو الأبناء وتحثهم على سماع كلام وتوجيهات الأب والأم، أو تحث على الطاعة، ما نسمعه يتردد علينا عندما يقال «اللي ما يطيع يضيع»، وهناك مثل يضرب عند الحث على التعاون، «الناس للناس والكل بالله»، وأيضاً ما يقال للترغيب في مواصلة النهج والطريق وعدم الملل «عليك بالدرب ولو طال»، وما يقال في التنبيه بعدم الإكثار في نقد الأصدقاء «لا تكثر الدوس على الخلان يملونك» ولن ننسى أمثال، تحذر كـ «اليدار الواطي كلن يحومة» وأخرى تنبه على أهمية اختيار الرفقة كقول «السمكة الخايسة تخيس السمك كله»، وهناك أمثلة تقال عند التحدي كقول «الساحة فضاحة» ولن تنسى الأمثال التي تقال عند اكتشاف معدن الشخص وجوهرة كقولهم «اللي ما زارني والديار مخيفة لا مرحبا به والديار أمان»، وهناك أمثال تقال على الحسرة واللوم على تفويت فرصة أو نحوها مثل ذلك المثال الذي يقول «يوم الناس أتقفل خميس راح الغوص»، ونشر الحكمة النابعة من التجارب الواقعية والعمل بها مثال ذلك (أدب ولدك ولو تزعل أمه)، والحث على الأمانة والوفاء والصبر والتحلي بالفضيلة ومكارم الأخلاق ومثال ذلك (اصدق وشارك الناس في أموالها) بمعنى اصدق القول والتزم الأمانة مع الآخرين لتكتسب ثقتهم بك التي قد تصل إلى حد إشراكك في أموالهم، ومخاطبة المرأة في الأمثال واضحة، لأن المرأة لها خصوصية في الأمثال الإماراتية مثال ذلك (اللي ما عندها بنيه تموت وعلتها غبية) وتعزية النفس بسبب عمل ما أريد به كسب الشكر والثناء، ولكن جرت الأمور عكس ذلك، ومثال ذلك (سار يدوّر يته المصايب زايدة)، وقيل لتوجيه اللوم للنفس وتوبيخها عما يبدر منها ما يشينها، وأيضاً للتحذير من الانسياق وراء ما يخدع من الماديات، ومعاني تلك الأمثال واضحة، بل يظهر أن تلك الأمثال وغيرها جاءت وفق قصة وأحداث قيلت فيها، لكنها اختزلت واختصرت الكثير، في بضع كلمات. إن تراثنا اللفظي – الأمثال – ذا قيمة إنسانية عظيمة لا في جوهره وحسب، بل في عمقه الإنساني المتمثل في التجربة البشرية بكل تفاصيلها الحياتية، إن الاهتمام بهذا المجال مفخرة لنا، وهو يحقق لنا فوائد ثمينة عدة، منها استلهام تجارب الآباء والأجداد والسير على نهجهم الجميل، وأيضاً الاعتزاز والفخر بهم. فنحن أمة منتجة ولها وجودها منذ الزمن السحيق وحتى يرث الله الأرض ومن عليها!

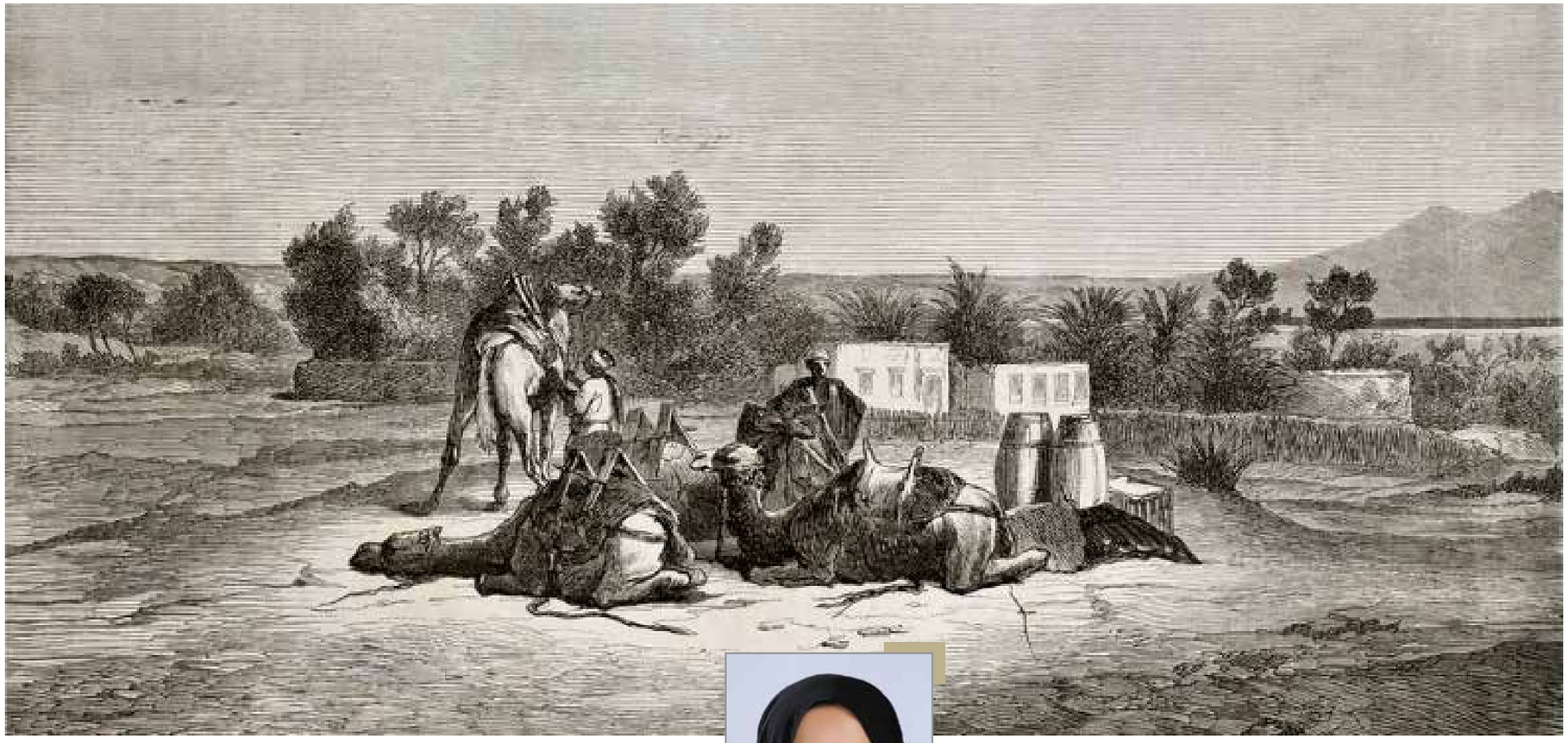

# المرأة والأمثال الشعبية..
## ما بين الإرث والتحول

مريم سلطان المزروعي
كاتبة - الإمارات

يعدّ التراث الثقافي أقوى حوامل المثل والمبادئ والقيم في المجتمعات، وبفضل هذا التراث الثقافي، يصبح المجتمع محصّناً ضد أي مؤثرات خارجية، فالأمثال، سواء كانت شعبية أو فصيحة، تعد أكثر من أقوال أو كلمات تتردد، فهي تمثل الاحتواء للعديد من القيم والعادات والتقاليد البسيطة، السريعة الوصول إلى قلب السامع ووجدانه.

ويمكن القول إنها ضوابط محكمة للحفاظ على النظم الاجتماعية. والأمثال هي موروث حضاري، وخلاصة لتجارب أجدادنا في الماضي، وتزداد أهمية فهم موروثنا الشعبي كخطوة أولى تمهد لفهم الذات من أجل الحفاظ على هويتنا الحضارية في عصر الثقافة والعولمة، إذ يشكل المثل الشعبي واحداً من أهم عناصر هذا الموروث، ويأتي المثل في تعبيره عن الحياة الاجتماعية، بأشكال تعبيرية أخرى، كالحكايات والأشعار والقصص؛ لأنه يصور بصيغة مباشرة حالات واقعة، تتكون من مجموعها النسيج المجتمعي الذي يقوم أساساً على العلاقات القائمة بين الناس في تعاملهم أيام العسرة والميسرة. فالأمثال توصف بأنها أقوال موجزة بليغة تعبر عن تجربة ما، وتم تناقلها عبر الأجيال، فهي تعدّ حكمة الشعوب، ومخزوناً تراثياً عميقاً تتراكم فيه تجارب الشعوب وخبراتها بكل تنوعها وتناقضها، ما يجعلها تكشف عن ملامح المجتمع وأسلوب عيشه ومعتقداته ومعاييره وما تتناقله الألسن؛ فيذاع وينتشر ويصبح مثلاً يردّدُه النّاس في كل موقف شبيه بالموقف الذي ورد فيه. وكل ثقافة نجد فيها الرموز، وهذه قد أبدعها المجتمع والأفراد في تشكيل وإعادة تشكيل الهوية الثقافية.

هناك مجموعة من النصوص جاءت في الأمثال الشعبية برموز متعلقة بالمرأة، جعلت منها رمزاً لتعانق الأرض والقضايا الاجتماعية الكبرى، فالمرأة أخذت حيزاً كبيراً من هذه الأمثال، سواء قد أعلت من منزلتها أو قللت من شأنها، ولا نستطيع القول إن المثل الشعبي قد ظلم المرأة، فهو ليس أكثر من مرآة تعكس تفكير المجتمع الذي خرجت منه؛ لذلك كثيراً ما تأتي الأمثال متناقضة تبعاً لاختلاف البيئات التي خرجت منها، وغالباً ما تنتقص هذه الأمثال من قيمة المرأة، إلا أنها قد تشيد بها أحياناً أخرى، وهذا ما يفسر هذه الازدواجية، فملاحظ أن المدح محصور في فئة محددة من النساء، والذم ينطبق على جميع النساء، وبالتالي توظيف المأثورات الشعبية، لاسيما الأمثال الشعبية، تكشف عن المكانة التي تمتلكها المرأة في المجتمع، وعند تتبع الأمثال التي تطرقت للمرأة تنوعت فيها الصفات والأدوار؛ ففي هنغاريا (انظر إلى المرأة وتزوج الابنة)، وفي الهند (لا تكف المرأة عن الكلام إلا لتبكي)، وفي إيطاليا (جمال السماء في نجومها وجمال المرأة في شعرها) والأمثلة كثيرة ومتعددة.

تذكر إحدى الراويات أثناء حديثي معها: «كانت والدتي هي من تقوم بجميع أعمال المنزل، تستيقظ في الصباح الباكر، وأنا وأخواتي نتبعها ونتعلم منها كل ما نستطيع أن نتعلمه، وإذا قمنا بعمل غير جيد أو أخطأنا كانت لا تحاسبنا، بل تسعى لتوجيهنا بمثل أو بحكمة، ودائماً ما كانت تبدأ بقولها: (يقول متوصف) أو (على قولة راعي الوصف)؛ لأن قائل المثل مجهول الهوية، وقد وصل إلينا عن طريق كثرة تكراره على الألسنة في مواقف مشابهة، فالغرض من هذا أن نتعلم على الاحترام والأخلاق والسنع، واحترام كبار السن، وتصحيح أي سلوك غير جيد، فوالدتي كانت تمتاز بالحكمة والفطنة؛ لذلك لا يمكن الجزم هل المرأة هي أو الرجل الذي روى هذه الأمثال وابتدعها أو كلاهما معاً، فهي أمثال أعتقد أنها نتجت عن مواقف معينة لشيء معين، لعبت فيه الثقافة الاجتماعية دوراً كبيراً في إنتاج هذه الأمثال، وعلى سبيل المثال: (بنات الأصول

أخـير مـن المـال والمحصـول)؛ بمعنـى الحـث عـلى الـزواج مـن الأسر الكريمـة، وقالـت العـرب: (المناكـح الكريمـة مـدارج الـشرف). وأيضـاً (تقـول حـق القمـرْ قـم وأقعـد مكانـكْ): وأصـل المثـل: تقـول الفتـاة الحسـناء للقمـر: قُـم وأنـا أقعـد مكانـك، ويـضرب في وصـف الفتـاة الحسـناء، بحيـث يمكـن الاسـتغناء بسـنا جمالهـا عـن نـور القمـر. (اللـي مـا يـزرع الدبّـاس مـا يأخـذ بنـات النـاس) وهـذا إشـارة إلى أهميـة نخلـة الدبـاس ورطبهـا الشـهية المشـهورة بقدرتهـا عـلى تحمـل طبيعـة المنـاخ، وكيـف جعـل قدرهـا مـن قـدر المـرأة ورفـع مـن مكانتهـا. (قلـب الأم عـلى الولـد والولـد قلبـه عـلى الحجـر)، والـذي يعـبر عـن شـدة حـب الأم لأبنائهـا وعـن اهتمامهـا العميـق بمصالحهـم وسـلامتهم، فـلا تكـون اسـتجابتهم لحـب والدتهـم بالقـدر الـلازم. و(أم الـروازن لا غنّـى اللـه مـن غناهـا): يعـد مـن الأمثـال المتداولـة ويحمـل بـين جنباتـه قصـة وعـبرة، عـن امـرأة فقـيرة وجميلـة كانـت تمـارس (الطـرارة)؛ أي التسـول، وكانـت تـدور عـلى البيـوت لهـذا الغـرض، فرآهـا أحـد الأمـراء فأعجبتـه، ووقعـت في نفسـه موقعـاً حسـناً، فقـال في سره سـأتزوجها وأنقذهـا مـما هـي فيـه، وفعـلاً خطبهـا مـن أهلهـا وتزوجهـا، وأتـى بهـا إلى قـصره ووضعهـا في غرفـة عاليـة، وكلـف الخـدم بمتابعتهـا، ومع هـذه العيشـة حنـت إلى أيامهـا الخاليـة، فكانـت إذا أحـضر لهـا الخـدم الطعـام، تقـوم بأخـذه وتفريقـه عـلى النوافـذ (الـروازن)، وتـدور عليهـا وتقـف أمـام كل نافـذة وتمـد يدهـا بقولهـا: «يـا اللـه مـن مـال اللـه»، كـما كانـت تفعـل سـابقاً، فلـما رآهـا الخـدم عـلى هـذه الحالـة: «أم الـروازن لا غنـى اللـه مـن غناهـا»، فانتـشر خبرهـا بـين النـاس، وذهبـت قصتهـا مثـلاً.

وهناك أمثال يضرب بها شعراً، حيث يقول الشاعر:

إذا لم تكن في منزل المرء حرةٌ
تـدبـره، ضـاعـت مصـالـح داره

وهـذا المثـل يـضرب في المـرأة الصالحـة والمـرأة السـيئة، وكذلـك:

بيت بليا مره ما ينقعد لي فيـه
أما تجي تهدمه ولا تجي تبنيه

أي أن البيـت الـذي يخلـو مـن المـرأة؛ أي الزوجـة، لا يصلـح سـكناً، ولا يمكـن أن يكـون محـلاً للاسـتقرار الجسـدي والنفـسي، والزوجـة حينـما تدخـل بيـت الـزوج أو عـش الزوجيـة، إمـا أن تكـون زوجـة صالحـة تمـلأ البيـت سـعادة وغبطـة وحبـوراً بالحـب والقناعـة والأخـلاق الكريمـة الفاضلـة، أو أن تكـون سـيئة الخلـق شرسـة الطبـاع، تقلـب حيـاة الـزوج رأسـاً عـلى عقـب، وتملأ البيـت نكـداً وخصومات لا تنتهـي، فتهـدم البيـت قـولاً وفعـلاً، وتعشـعش فيـه الخفافيـش والظـلام.

الملخص: إن المثـل الشـعبي يلخـص خبرة الجماعـة، ويقدم بصياغـة سـهلة التـداول لقيمهـا وتقاليدهـا وأعرافهـا الاجتماعيـة، فهـذه الأمثـال عبـارة عـن رسـالة تربويـة شـاملة وعفويـة، الغـرض منها التنبيـه والتشـجيع والتحبيب أو التنفـير مـن سـلوك سـيئ. والمـرأة بـكل أدوارها كزوجـة وأمّ وجـدة وخالـة وعمـة.. إلـخ، تعـدّ إضافتهـا رصيـداً قويـاً ووافـراً في الثقافـة الإماراتيـة عـلى كل الصعـد، وبـكل أنـواع الـتراث الثقـافي، فهـي سـيدة الموقـف وبطلتـه؛ لذلـك لابـد مـن تجديـد الأفـكار والتعبـيرات وتطويرهـا، بمـا يناسـب مـع الزمـن الحـالي وتحدياتـه.

المصادر والمراجع:

- «من أفواه الرواة.. مأثورات من التراث الشعبي»، علي عبدالله الفياض، قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2009، الطبعة 2.
- «السنع.. قيم وعادات المجتمع الإماراتي، منهج الحياة المستدامة»، د. محمد فاتح صالح زغل وأ. فاطمة مسعود المنصوري، أبوظبي: نادي تراث الإمارات، 2022، الطبعة الأولى.
- «المتوصف: أمثال وحكم من الإمارات»، عبدالله بن دلموك، دبي: مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، 2014، الطبعة الأولى.

# المثل الشعبي: ومختبر الحياة

**د. فهد حسين**
أكاديمي وناقد - البحرين

لكل مجتمع إنساني ثقافة خاصة، وأخرى مشتركة، وكلاهما منحوتتان من قيم المجتمع وأعراف وتاريخه المتعدد والمتنوع الذي تراكم عبر الأزمان والعصور، والمثل إن كان بلغة فصيحة أو بلغة محكية، يمثل ويشكل ملمحاً ثقافياً وتراثياً لهذا البلد أو ذاك، وقد تتوارث الأجيال الأمثال والحكم، وقد يندثر بعضها بحكم الزمن وتحول المجتمعات والتراكم الثقافي المتجدد، لكن تبقى الأمثال عموماً، والحكم كأنها قواعد يستند إليها الإنسان في أوقات هو بحاجة لاستحضارها أو تكرارها، وكما يؤكد لنا تاريخنا العربي، وثقافتنا المتعاقبة والمتواترة، أننا نحمل بين طيات تاريخنا الثقافي الكثير من الأمثال التي صاغها الإنسان العربي من خلال تجاربه وتجارب العالم، وأخضعها إلى حقل التجارب اللفظي والعملي للوقوف على مدى أهميتها وصلاحيتها وضرورة تواترها بين الأجيال.

وإذا كانت الحكم والأمثال الفصيحة تشكل عتبة ثقافية شاملة لمجتمع متعدد ومتنوع، فإن الأمثال الشعبية عادة تشكل عتبة أيضاً، ولكن لمجتمع أقل جغرافية ومساحة وعدداً، بحكم تعدد اللهجات والألفاظ التي تحكى بها هذه الأمثال، غير أن هذا المثل وذاك يشكل حالة ثقافية وذهنية لدى الأفراد، حيث بنيت هذه الأمثال وتمت صياغتها في خضم التجربة الإنسانية الاجتماعية والثقافية لهذا المجتمع أو ذاك، بمعنى أن المثل يشكل توجهاً اجتماعياً وحياتياً لأفراد المجتمع، كما تشكل الحكم توجهاً ثقافياً وربما فلسفياً، كما تعكس ماهية المثل مساحة التواصل ومستويات التعامل بين أفراد المجتمع نفسه، وبخاصة أن المثل هو جزء أساسي من تراكم الموروث الذي يعزز بعض سلوك أفراد المجتمع، ويؤصل توجهاته، ويعضد ممارساته اليومية، وينقد ما لا يتوافق والسلوك العام في المجتمع، حيث هناك أمثال تؤكد سلوكاً، وأخرى تفند سلوكاً آخر، بل بعض الأمثال تسهم في بناء طريق سوي للإنسان اجتماعياً أو معرفياً من خلال الممارسة الفعلية والتجربة، كما يسهم في إحداث تغيير وتحول صحي حين نتمسك به أو نؤكد عليه بين الأفراد والممارسات لما له من دور في تعزيز القيم والسلوك وتدعيم المبادئ.

إن الأمثال الشعبية تشكل حالة ثقافية وذاكرة ذهنية لأفراد المجتمع، وبخاصة حين يكون المثل قد بني وفق تجربة إنسانية، وتمت صياغته في قالب لغوي سهل التناول والانتشار والحفظ والترديد بين الحين والآخر، وله سطوة إيجابية على طبيعة الواقع المعيش، فالمثل الشعبي حاله حال المثل الفصيح والحكمة، هذه كلها ترتبط بالمجتمع وتركيبته الاجتماعية والثقافية والروحية والفلسفية، إنما صياغاتها تختلف وتتباين وفقاً لمعطيات لغوية وثقافية ومكانية، والمتحدث بها عادة.

لم يعد المثل الشعبي محصوراً في القول بين الأفراد في مناسبات معينة، بل دخل في مجالات عدة، دخل في التربية والتعليم حين يحاول المعلم تذليل صعوبة ما أو توصيل شيء غامض، فهو يوظف المثل ليقرب المعنى لطلبته ويحقق هدفه، كما وظف في الإعلانات المكتوبة والمرئية، إذ نجد الكثير من هذه الأمثال منشوراً في الإعلانات لما لقرب المثل من حياة الناس عامة، وسهولة فهم دلالته التي تعطي مدخلاً لفهم الإعلان، وقبول ما يدعو إليه، وبخاصة أن المثل عامة يحمل رسالة معينة يريد بثها عبر لغته بين أفراد المجتمع.

وقد يتساءل المرء إن كان في حياتنا المعاصرة من يفكر في نحت أمثال بصورة عامة، والشعبية بصورة خاصة،

نقول: لا شك هناك بعض الجمل التي يطلقها الآباء والأمهات وهم يمارسون تربيتهم، ومع الوقت تتحول هذه الجمل أو العبارات إلى صياغة معينة تشكل مثلاً أو حكمة يرددها الناس وقتما يتطلب الأمر، لكن لن تكون كما في السابق، حيث التوجهات والتطلعات وحالة المجتمع، وما تمثله الحداثة والتكنولوجيا والعالم الافتراضي من سطوة كبيرة تحتم التركيز في عقلية التفكير العلمي والتجارب العلمية، وليس التي تلامس مسيرة الإنسان اليومية، إذ لم يعد الإنسان – نت مجبراً على خوض تجارب الآباء والأجداد، وما تمخض من خلال حياتهم لتكوين أمثال أو بعض ممارسات تتحول إلى لغة شعبية ثم إلى مثل يتداوله الناس فيما بعد. علماً بأن من صاغ المثل أو الحكمة أو القول، هو لا شك يتمتع بتجربة حياتية مغلفة بثقافة المجتمع وتجارب أفراده، كما يتمتع برؤية ثاقبة تجاه الحياة والإنسان والواقع المعيش، والمستقبل، لهذا حين يصيغ جملة ما تتحول إلى مثل، فهي خلاصة تجربة ومعرفة ودراية وعلم يجعله يعبر عن موقف معين أو تجربة معينة أو حالة ما بلغة سهلة الحفظ والتواصل.

إن هذا الإنسان وغيره من أفراد المجتمع الذين يسطرون بتجاربهم وخبراتهم وعفويتهم الأمثال الشعبية، هم يضعون نهجاً اجتماعياً للمجتمع، ولعيش أفراده الذين ينبغي عليهم أن يتأملوا في هذه الأمثال؛ لأنها تشكل حالة ثقافية معينة، تفكك الرؤية للمجتمع، وتحلل طبيعته وتطلعات أفراده الماضين الذين شكلوا مرحلة من مراحل هذا المجتمع أو ذاك، بل الملاحظ كلما كان المجتمع متصفاً بحالة شعبية أو بطبيعة بيئية بسيطة وعفوية، نرى الأمثال الشعبية تكثر في ثقافته، وهذا عكس المجتمع المدني الحديث الذي بني على البناء العمودي والحداثة في كل شيء.

لا شك في أن الكثير من الأمثال صيغت برغبة اتخاذها براهين وحججاً واستدلالاً في أثناء الحديث والمناقشات، أو التدليل والتوضيح، أو بيان لترك الأثر عند الإنسان، لهذا هناك أمثال صيغت لتعبر عن التناقضات في الحياة، الخير والشر، الحلال والحرام، القيم السوية والقيم غير السوية، وهناك أمثال تعبر عن ذكاء الإنسان وحكمته في المواقف الصعبة، وأمثال تشير إلى دور القانون في المجتمع، والعدل الذي ينبغي أن يسود، وأمثال تعبر عن الكرم والبخل في المجتمع، وتلك الصفات التي تلصق بالإنسان، أو تلك الأمثال التي تعبر عن تجارب المجتمعات وتحولاتها، وقد يصاغ مثل له من الأهمية القصوى لدى الأفراد أكثر من التعلم نفسه أو قراءة كتاب، وبخاصة إذا كان هذا المثل يشكل حالة من حالات الإنسان والمجتمع، وكيفية التحولات ومواجهتها إن كانت سلبية، فحين تتحدث مع الفلاح مثلاً، فأنت تسمع في حديثه الكثير من الأمثال التي شكلت حياته وعمله وتاريخه، وهذا لن تجده في كتاب أو مجلة أو صحيفة بقدر ما تجده بين ألفاظ هذا الرجل البسيط الذي يرمي المفردات بعفوية ولغة بسيطة، لكنها تحمل الدلالات والمعاني تجاه حياة الإنسان؛ لأنها بمثابة القوانين التي تسير حياة الناس، مثلها مثل تلك القوانين التي يتعلمها الإنسان في الجامعات، وإنما هذه من جامعة الحياة، بمعنى أن الأمثال الشعبية تخرج من مختبر الحياة العام، ومع كل هذا هناك من الأمثال التي صاغها المجتمع، بهدف التهكم والسخرية أو الاستغفال، سواء على الرجل أو المرأة أو المجتمع أو الحياة أو العمل أو الدراسة والتخصص.

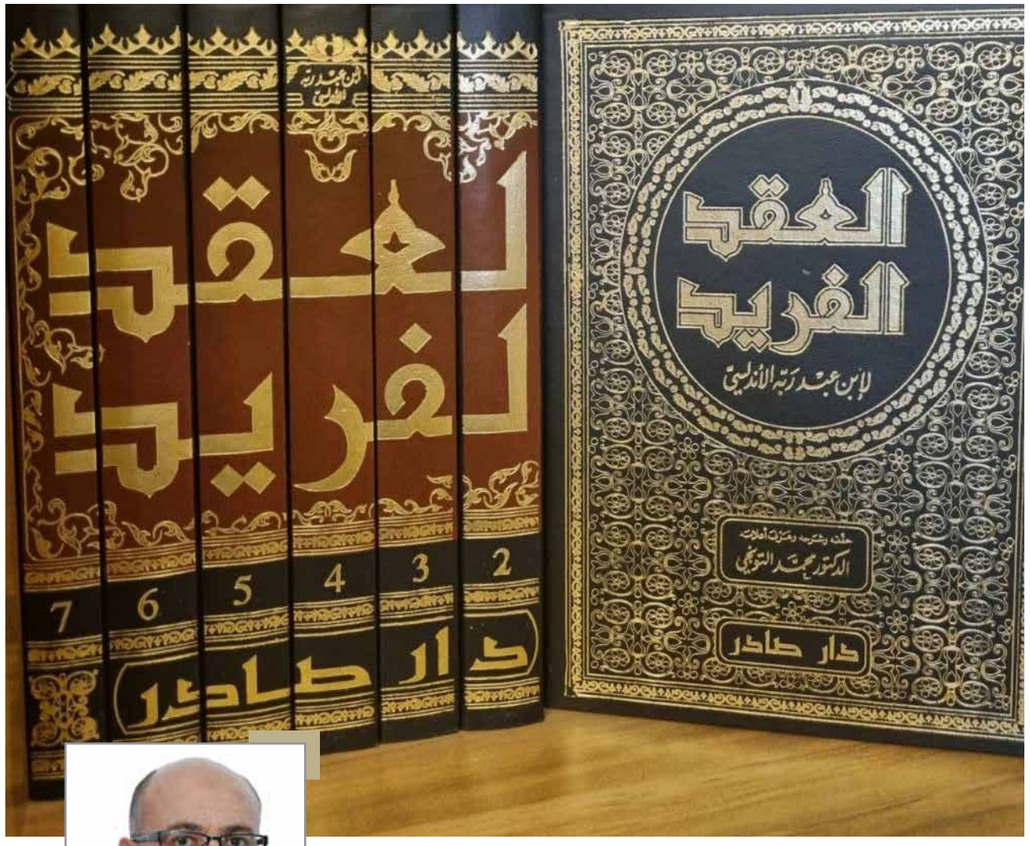


# المثل الشعبي..
# أبلغ الحكمة وإنسانيّ المنبت

**خالد صالح ملكاوي**
باحث وإعلامي - الأردن

تحتل الأمثال الشعبية مكانتها في كل الثقافات، فلا تخلو منها ثقافة. وفي ثقافتنا العربية حفل الموروث بنصيب وافر من الأمثال الشعبية، باعتبارها من أكثر فروع الثقافة الشعبية ثراء وشيوعاً، إذ لازمت العرب منذ نشأتهم، واستمرت حتى اليوم، تُحتضن من الشعوب، متماهية مع مناطقهم وبيئاتهم، تمثّل سجلات ناطقة لهم، وتجسّد أفكارهم ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم في صور حيّة ودلالات إنسانية.

ولا غرابة في أن يُعدّ ضرب المثل من أكثر الأشكال التعبيرية الشعبية انتشاراً وشيوعاً، ذلك أن الأمثال الشعبية تمثل عصارة حكمة الشعوب وذاكرتها، فهي تعكس مشاعر الشعوب على اختلاف طبقاتها وانتماءاتها، وتجسد أفكارها وتصوراتها ومعتقداتها وعاداتها وتقاليدها ومعظم مظاهر حياتها، في صورة حية وفي دلالة إنسانية شاملة. وتتسم بسرعة انتشارها وتداولها من جيلٍ إلى جيل، وبسهولة انتقالها من لغة إلى أخرى عبر الأزمنة والأمكنة، كما تمتاز بإيجاز نصّها وجمال لفظها وكثافة معانيها، ما يميزها عن غيرها من صنوف الثقافة الشعبية وألوانها.

والمثل الشعبي من أكثر فروع الثقافة الشعبية ثراء، فهو يجسّد تعبيراً عن نتاج تجربة شعبية طويلة عاشتها الشعوب تخلص إلى عبرة وحكمة، هو كلام واضح المعنى، صادق في التعبير، دقيق في الملاحظة، وعفوي في الصياغة، وموجز في التبليغ. والأمثال كما يصفها ابن عبد ربه الأندلسي صاحب العقد الفريد هي وَشيُ الكلام، وجوهرُ اللفظ، وحلي المعاني، والتي تخيّرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسرِ شيء مسيرَها، ولا عمّ عمومَها، حتى قيل: أسْيرُ مِن مَثَل. وقال الشاعر:

ما أنت إلا مثلٌ سائرٌ  يعرفه الجاهلُ والخابرُ

وقد احتلت الأمثال مكانة خاصة عند العرب، وعني العرب بها منذ نشأتهم، فضربوها واستشهدوا بها، باعتبارها جُمل رصينة جُمعت فيها تجارب الأمة واجتمع فيها إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وكونها صورة صحيحة من صور الأمم، لا تمثّل عقلية طبقة بعينها، ولكنها تمثل عقليات الأمة جميعها. ولما جاء الإسلام أقر الأمثال ولم يهملها، واتخذها وسيلة للتذكير والاعتبار. وقال سبحانه وتعالى: {ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذّكرون}. (الزمر،27).

### ماهية المثل وسماته

والأمثال نوع من أنواع الحِكَم، لا تُضرب للتشبيه فقط، إنما تُضرب للتعقّل والتفكّر أيضاً، فعنصرا الحكمة والموعظة هما قوام المثل، وهما صنوان لموضوع واحد؛ لذلك قالوا: «الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام»، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ به ما حاولت من حاجاتها في النطق بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث، خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه. كما أن الأمثال تعتمد على الكناية التي هي من وشي الكلام والتشبيه وحسن اللفظ والتعبير، وفيها نغمة وترنيم يؤثران في النفوس.

فالمثل، كما يقال عنه، هو لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه، معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل على غيره. والمثل عند العرب له ميزات إضافية، إذ يقول أحمد حسن الزيات: «المثل جملة مقتطعة من القول، أو مرسلة بذاتها، تنقل عمّن وردت فيه إلى مشابه دون تغيير، وهذا النوع خاص بالعرب لانتزاعه من حياتهم الاجتماعية وحوادثهم الفردية»؛ لذا فالأمثال من آداب العرب المهمة؛ لأنها تجري على ألسنتهم مجرى الشعر، وهي عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح.

ويكتسب موضوع الأمثال أهميته من حيث ذيوع مادته وانتشارها بين الناس، وامتزاجها الشديد بلغتهم، وارتباطها بمختلف جوانب حياتهم، إذ إن الأمثال تمثل رصيداً حضارياً هائلاً لكل شعب ولكل أمة، فهي خلاصة تجارب الأمم، ومستودع خبراتها، ومثار ذكرياتها، ورجع عاداتها ووقائعها، وترجمان أحوالها، ومصدر تراثها

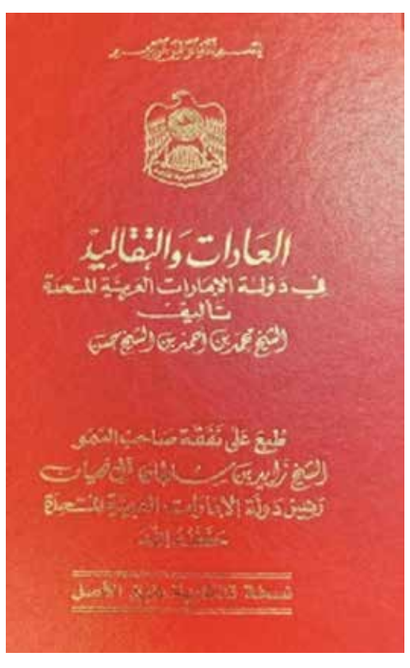

ومتنفس أحزانها، إذ هي مرآة الأمة، تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح، بوساطتها تكشف خفايا المجتمع التي سهت عنها بطون كتب المؤرخين. وقضايا الأمثال مما تتظاهر العقول البشرية على التسليم بها، فاذا عرض للناس في حياتهم أمر من الأمور التي تدخل في مفهوم أحد الأمثال، تمثّلوا به فتأنس النفوس لذلك. ولعل ذلك يتماهى مع ما ورد في كتاب ديوان الأدب للفارابي، إذ يقول: «المثل ما ترضاه العامة والخاصة، في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرّجوا به عن الكرب والمركبة، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة».

**المثل والموروث العربي**

وفي تراثنا العربي، ثمة من اعتنى من أئمة الفكر وجهابذة اللغة بالمثل جمعاً وتمحيصاً وتبويباً. وبلغت عناية اللغويين العرب حدّاً مميزاً عن سواهم، إذ كان المثل بالنسبة لهم يجسّد اللغة الصّافية إلى حدٍّ كبير، فأخذوا منها الشواهد، وبنوا على أساسها شاهقات بنائهم اللغوي، وكانت عناية الأدباء العرب بهذا الشكل التعبيري لها طابع مميز، نظراً للأهمية التي يكتسبها المثل الشعبي في الثقافة العربية، ما ترك لنا نتاجاً ثرّاً حفظ هذا الجانب المهم من موروثنا العربي، وامتد هذا النتاج الموروث يحافظ على أصالته في بعضه، ويتماهى في بعضه مع ما تكتسبه المجتمعات الحاضنة من متغيرات في بيئاتهم وتطورات تطرأ على جوانب حياتهم، وغدا من الأمثال ما هو أصيل وما هو مُولّد، وتوازى معها ما أضافت الشعوب من أمثال تستجيب لبيئاتهم ومفردات عيشهم المتطورة.

وكما كان لكلّ ضربٍ من ضروب حياة العرب مثلٌ يُستشهد به، فمن البدهي أن يكون لكل أمة أمثالها، ولكل شعبٍ أمثاله، بل لكل منطقة أمثالها، ولكل بيئة أمثالها، ولكل مجتمع أمثاله؛ لأن الأمثال سجلٌّ ناطق للبشر أينما كانوا، يعبّرون فيها عن حياتهم، وعن عيشهم، وعن بيئتهم ومجتمعهم. ولأن المثل الشعبي ليس مجرد شكل من أشكال الفنون الشعبية، وإنما هو عمل يستحثّ قوة داخلية على التحرك، فالأمثال الشعبية على اختلافها تعبر عن تاريخ الأمم وفكرها، وهي في كل أمة خلاصة تجاربها ومحصول خبراتها، والمرآة التي تنعكس على صفحتها عادات الأمة وتقاليدها وأخلاقها وأفكارها، وسائر مظاهر حياتها في كل شأن من شؤونها.

ومما لا شك فيه أن وحدة التراث العربي قد تجاوزت نطاق اللغة المعربة إلى اللهجات العامية، وإلى الأدب الشعبي، ومن الأمثال العامية في البلاد العربية ما يتفق معنى ولفظاً، ومنها ما يتفق معنى، كما أن الكم الأكبر من الأمثال الشعبية السائدة في العالم العربي، بلهجاتها العامية المختلفة، وبصيغها اللغوية المتنوعة؛ هو متشابه من حيث المعنى والموضوع، ويدل هذا التشابه على الأصول المشتركة للأمثال العربية، ويعبر عن دينامية البنية الثقافية الشعبية، وعلى قدرتها على التفاعل مع معطيات الحضارة.

فرغم الخصوصية التي تتسم بها الشعوب، إلا أنه يمكننا الحديث عن تشابه الأمثال، فكما تختلف الأمثال وتتباين في التعبير، نجدها أيضاً تتماثل وتتشابه، ومردّ هذا التشابه في جانب كبير منه إلى الجانب الإنساني الذي تستقي منه جميع الأمثال، فالأمثال، في كل مكان وزمان، هي واحدة في جوهرها الإنساني.

**صون المثل في الإمارات**

حفلت المكتبة العربية الحديثة بالمؤلفات العديدة عن الأمثال الشعبية التي تعددت أساليبها واختلفت. وقد أسهمت هذه الكتب كلها في تنشيط وإحياء هذا الجانب المهم من التراث. وفي الإمارات، إلى جانب ما كُتب عن أمثالها في موسوعات اهتمت بالمثل في الخليج العربي أو في العالم العربي، فقد ندب بعض الباحثين الإماراتيين أنفسهم لجمع الأمثال في مجتمعهم، واهتموا بتصنيفها وتبويبها، إدراكاً منهم لقيمتها المعرفية والأخلاقية والجمالية، وكانت أولى محاولات جمع الأمثال الشعبية على يد خبير التراث الشعبي عبيد بن راشد بن صندل، الذي أصدر كتاباً صغيراً يحوي مجموعة من الأمثال الشعبية العامة والمتداولة محلياً تحت اسم «الأمثال الشعبية في الإمارات».

ثم أصدر بعده الشيخ محمد بن حسن الخزرجي كتاب «العادات والتقاليد في دولة الإمارات العربية المتحدة»، وشرح فيه مجموعة من الأمثال الشعبية. بعد ذلك أصدر إبراهيم الصبّاغ كتاب «الأمثال الشعبية في الإمارات»، ثم تلاه الإعلامي ورجل التراث إسماعيل خميس، بإصدار كتاب يحوي مجموعة من الأمثال تشبه أمثال من سبقوه، إلا أنه تميّز عنهم بتقسيم هذه الأمثال حسب الموضوع وشرحها شرحاً موجزاً.

وكان أحدث المنشغلين بجمع الأمثال الشعبية في الإمارات الباحث التراثي الدكتور راشد أحمد المزروعي، فأصدر الجزء الأول من «موسوعة الأمثال والأقوال الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة»، إذ تعد هذه الموسوعة الأولى من نوعها في تدوين الأمثال الشعبية الإماراتية بدقة وشمولية وشروحات مرافقة، حيث ضمت قرابة خمسة آلاف من الأمثال والحكم والأقوال والمصطلحات الشعبية العامة.

المصادر والمراجع

1. أمثالنا العامية، مدخل إلى دراسة الذهنية الشعبية، زاهي ناضر، بيروت: دار الحداثة، 1996م.
2. تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، تحقيق: محمد عبدالعزيز عبدالخالق، بيروت: دار الكتب العلمية، 2022م.
3. ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، 2003م.
4. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: محمد سعيد العريان، بيروت: دار الكتاب، (د.ت)، (2/3).
5. موسوعة الأمثال والأقوال الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة، راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: المؤلف نفسه، 2016م.
6. موسوعة الأمثال والأقوال الشعبية في الخليج العربي، أنيسة فخرو، الشارقة: معهد الشارقة للتراث، 2021م.
7. موسوعة الأمثال الشعبية العربية: الجمان في الأمثال: دراسة تاريخية مقارنة، جمانة أمين طه، الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، 1999م.
8. موسوعة الأمثال الشعبية في الوطن العربي، محمد الراوي، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2000م.
9. وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، محمد قنديل البقلي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1968م.

اللوحة رقم (1) للفنان نبيل احود

اللوحة رقم (2) للفنان نبيل احود

# الأمثال الشعبية
## سبيل للإبداع التشكيلي

**د. خالد متولي**
كاتب - مصر

مما لا شك فيه أن أول العناصر التي ألقي عليها الضوء من خلال الفنانين التشكيليين العرب، هي الأمثال الشعبية التي يرجع لها الفضل في التأكيد على إثبات الهوية الثقافية للتراث العربي، وفي هذا الصدد تحتل الفنون التشكيلية مكانة مهمة في الثقافة العربية، حيث تعكس تعبيراتها الفنية الثروة الثقافية والتاريخية للمنطقة، ومن جانب آخر؛ تحتفظ الأمثال الشعبية العربية بحكمة وحكايات الأجداد، وتعكس القيم والتجارب الحياتية للشعوب العربية، الأمر الذي بدوره يكشف عن رؤية الفنون التشكيلية من خلال الأمثال الشعبية العربية، فهناك تقاطع واضح للأمثال في التراث العربي مع الفنون التشكيلية بطرق متعددة ومتنوعة، حيث من الممكن أن تكون الأمثال مصدر إلهام للفنانين في إبداع أعمالهم الفنية.

فقد يستوحي الفنان فكرة أو مفهوماً من مثل عربي، ويحاول تجسيده في لوحته أو منحوتته. وبالتالي يتم تحويل الحكمة المحملة في المثل إلى لغة بصرية تعبر عنها الأعمال الفنية. وتوضيحاً لمعنى المثل الشعبي، فهو شكل من أشكال الأدب الشعبي الذي يعبر عن فلسفة الشعوب وقدرتها على التفكير، وخلاصة تجربة عاشها الفرد أو الجماعة، وهو ضرب من التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة كل البعد عن الوهم والخيال.

ومن هذا المنطلق، يمكن أن يوظف الفنان التشكيلي الأمثال التراثية كوسيلة للتعبير عن أفكاره ومشاعره في أعماله الفنية، فقد يستخدم الأمثال كعنصر رئيس في تصميم لوحة فنية أو قد يضمها كعناصر تفصيلي في العمل، كما تتيح الأمثال للفنان التواصل مع المتلقي والمشاهد بترك انطباع قوي وعميق عند الناظر إلى العمل الفني.

وبتأكيدنا على أن الفنون التشكيلية الشعبية والأمثال جزء لا يتجزأ من التراث العربي، حيث يمكن أن تتلاقى وتترابط في العديد من الجوانب، فإن الفنون التشكيلية الشعبية تسعى لتجسيد الحكمة والقيم الشعبية، من خلال الأعمال الفنية، ومن جانب آخر تستخدم الأمثال الشعبية لنقل الحكمة والمعاني من جيل إلى جيل.

فهناك بعض العناصر المهمة التي اهتم بها الفنان في أعماله الفنية، من خلال بعض الأمثال الدارجة في تراثنا العربي، ومن أهم هذه العناصر:

- التراث والهوية: تحمل الأمثال الشعبية العربية التي تتحدث عن التراث والهوية أهمية كبيرة في رؤية الفنون التشكيلية فمثلاً، يقول المثل الشعبي «التراث كنز لا يفنى»، وهو يعكس القيمة العربية للحفاظ على التراث، وهذه الرؤية يمكن أن تلقي الضوء على الفنون التشكيلية.
- الجمال والجسد: تعتبر الأمثال الشعبية العربية التي تتحدث عن الجمال والجسد المثالي من العناصر المهمة في رؤية الفنون التشكيلية فمثلاً، يقول المثل الشعبي «الجمال جمال الروح»، وهو يعكس الفكرة العربية التقليدية بأن الجمال الحقيقي ينبع من داخل الإنسان، ولا يقتصر على المظهر الخارجي، وهذه الرؤية يمكن أن تلقي الضوء على الفنون التشكيلية التي تسعى لتجسيد الروح والجمال الداخلي من خلال التعبير الفني.
- التعبير عن المشاعر: يعد التعبير عن المشاعر والعواطف أيضاً أحد العناصر المهمة في رؤية الفنون التشكيلية فمثلاً، يقول المثل الشعبي «إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب»، وهو يعكس الفكرة بأن التعبير الصامت وغير المباشر يمكن أن يكون أكثر قوة وتأثيراً من الكلام المباشر.

وهذه الرؤية يمكن أن تسعى للتعبير عن المشاعر والعواطف بأساليب غير لفظية وغير مباشرة.

وهناك بعض الأمثال الشعبية العربية التي يمكن استخدامها للتعبير عن الألوان في الأعمال الفنية التشكيلية على سبيل المثال، المثل الشعبي «الأحمر على الخدود يزين» يمكن أن يعكس الحماسة والحيوية، فيمكن استخدام اللون الأحمر في الأعمال الفنية لتعزيز هذا الشعور بالحماسة والحيوية. بالمثل، يمكن توظيف اللون الأزرق للتعبير عن الهدوء والسكينة المرتبطة بالمثل الشعبي «السماء زرقاء والناس في سلام»، كما يمكن استخدام الألوان الداكنة والقاتمة للتعبير عن الحزن والألم المرتبط بالمثل الشعبي «الدموع في العين والقلب يحن».

كما نلاحظ بعض الفنانين التشكيليين العرب الذين قاموا بتوظيف بعض الأمثال الشعبية في إبداعاتهم الفنية كالفنان التشكيلي نبيل لحود، حيث نلاحظ في بعض لوحاته تجسيداً لمعنى المثل من خلال الكتابات والرموز والأشخاص على سبيل المثال (اللوحة رقم 1) بعنوان «اكفي القدرة على فمها تطلع البنت لأمها»، فتعود الرواية الأولى لهذا المثل إلى العصر العثماني، حيث كان من المحظور صعود الفتيات إلى سطح المنزل، فكانت الأم حين تريد أن تصعد لها الفتاة، تقلب (القدرة)، وتنقرها كي تسمع الفتاة الصوت الصادر عن رنة (القدرة) وهنا تصعد الفتاة لأمها.

أما عن رواية الجماعة الشعبية وتفسيرهم لهذا المثل وهو المعنى الذي انعكس على اللوحة الفنية للفنان نبيل لحود، وهو تطابق صفات الفتاة مع الأم أخلاقياً وعملياً، كما انعكس ذلك على شكل ولون الأزياء المستخدمة في العمل الفني، وفي لوحة أخرى من أعمال الفنان نبيل لحود (اللوحة رقم 2)، وهي بعنوان «اللي في حضن أمه ما ينحملش همه» وفي هذا العمل الفني وظف الفنان الأم وابنها كعنصر رئيس في العمل الفني، في محاولة منه لتجسيد المشاعر المرتبطة بحضن الأم ابنها كرمزية للأمان.

وفي النهاية يمكن أن تكون الأمثال الشعبية مصدر إلهام للفنانين في إبداع أعمالهم الفنية، فقد يستوحي الفنان فكرة أو مفهوماً من مثل شعبي، ويحاول تجسيده في لوحته، وبالتالي يتم تحويل الحكمة المحملة في المثل إلى لغة بصرية تعبر عنها الأعمال الفنية.

# الأمثال الشعبية
## بين الإيجابية والسلبية

**د. مهدي الشموط**
محاضر لغة عربية
في كليات التقنية العليا

تعدّ الأمثال الشعبية مادة خصبة للدراسات الاجتماعية والأدبية، للاطلاع على الموروث العربي بشكل عام، إذ يعمد كثير من الدارسين إلى استكمال دراساتهم عن طريق العودة إلى الأمثال، واستنباط الحياة الاجتماعية ونمط التفكير والعيش والتعامل، وذلك من خلال استنطاق تلك الأمثال، وكشف النقاب عنها، وتفكيك جملها ومفرداتها، والسياق الذي قيلت فيه، والمناسبة التي ذكر فيها المثل.

وأحياناً يتوسع الدارسون في التأصيل لتلك الأمثال لمعرفة القائل ومناسبة القول والجو العام الذي قيل فيه المثل؛ فالأمثال هي المنهل العذب الذي يستقي منه المهتمون بالتراث مادة اجتماعية للاطلاع على نمط الحياة وأسلوب العيش.

ويعد كتاب «مجمع الأمثال للميداني» من أوائل الكتب التي عنيت بدراسة الأمثال والتأصيل لها وعادة ما يختصر الميداني قصة المثل؛ فيكتفي برواية المثل وشرحه والقائل والمناسبة.

وقد تكون الأمثال أشعاراً أو حكماً أو أقوالاً تجري مجرى المثل، وفي رأيي لا يقتصر المثل على الحكماء فقد يمر شخص ما بتجربة، فيقول قولاً ثم يصبح مثلاً. والأمثال هي أقوال موجزة تختزن مواقف معينة وخبرات خاصة، وهي سهلة الحفظ والتلقين، وتستخدم في مواقف مشابهة، وهي تحمل انعكاساً واضحاً لشقاء الناس وعاداتهم وضعفهم وفقرهم والتعبير عن أحوالهم النفسية والسلوكية، وعادة ما تكون مسجوعة تحمل جرساً موسيقياً يساعد على الحفظ والاستحضار.

**نماذج من الأمثال الشعبية:**

تزخر الذاكرة العربية بكثير من الأمثال الشعبية، وأريد هنا أن أسرد بعض الأمثال التي تنتشر في بيئة بلاد الشام، وخصوصاً الأردن، وسنحاول أن نشرح باختصار ما يحتاج إلى شرح منها، ومن هذه الأمثال ما يدعو إلى الكرم، ومن ذلك:

- الجود من الموجود
- لا قيني ولا تعشيني
- بيت السبع ما يخلا من العظم
- اللقمة الهنية تكفي مية

وكذلك فإن بعض الأمثال تدعو الشخص إلى الاتكال على نفسه، والابتعاد عن حاجة الناس، ومن ذلك قولهم:

- طهّر ابنك بالفاس ولا تترجى الناس (وهذا مثل صريح يطلب من السامع أن يستغل كل ما لديه من وسائل حتى لو اضطر إلى ختن ابنه بالفأس، وهذا مستحيل فهذا خير له من أن يترجى (أي يطلب برجاء حاجته من الناس).
- أعمل حاجتي بإيدي ولا أقول للكلب يا سيدي، وهذا المثل واضح، وهو يدعو إلى الاكتفاء عن الناس.
- اللي يغيب عن عنزه تجيب جدي: وهذا مثل طريف، إذ يعمد كثير من الناس إلى أن يكلف صاحب الغنم الكثيرة بحفظ غنمه، مقابل أن يأخذ صاحب الغنم الأنثى، ويأخذ من توضع عنده الذكر، وحين تلد العنز، فإن غياب صاحب الحلال يجعل من يحفظها يدّعي أن عنزه أنجبت جدياً (ذكراً) فيكون من المودّع عنده.

وهناك أمثال تدعو إلى الاقتصاد كقولهم:

- كل شي ودّه تدبير حتى الميّه بالبير.
- خذ من الجبل يختل
- قرشك الأبيض ليومك الأسود

ومن هذه الأمثال ما يدعو إلى الخير ومساعدة الآخرين بغض النظر عن صلة القربى، ومن ذلك قولهم:

- اعمل خير وارمِ بالبحر
- قوم تعاونوا ما ذلوا
- الطيب ما يضيع بين الرجال يضيع بين الثعالب والبساس، وهذا بيت شعر مشهور للشاعر السديري ضمن قصيدته المشهور «يقول من عدّى على راس عالي»، وهذا من الأشعار التي صارت تجري مجرى المثل.
- الحمل إذا تفرق ينشال

ومن الأمثال ما يدعو إلى القوّة والبطش، ومن ذلك قولهم:

- الحق اللي ما يتبعه سيف ضايع
- اضرب بالسيف تلحس عسل
- أنا وأخوي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب

**الأثر النفسي والاجتماعي للأمثال:**

علينا أن نعرف أن الأمثال الشعبية، كما ذكرنا مادة مهمة وخصبة للدراسات الاجتماعية والنفسية ولمعرفة الظروف والأحوال التي عاشها الأهل قديماً، ولكنها ليست تشريعاً يجب أن يصدّق فبعض الأمثال يدعو إلى السلبية والأنانية، ومنها ما يدعو إلى البطش والقوة، ومنها ما يدعو إلى البخل، ومنها ما يدعو إلى الجبن، وأن يكون الإنسان مهتماً بنفسه فقط، ومن ذلك قولهم:

- مال عمّك ما يهمّك
- ميّة عين تبكي ولا عين أمي تبكي
- كل واحد حاطط شيطانه تحت باطه (أي كل شخص يستعين بشيطانه القريب منه وهو تحت إبطه)
- الكف ما تنطح مخرز
- امش الحيط الحيط وقول يا الله الستر
- حط راسك بين الروس وقول يا قطّاع الروس
- الموت مع الجماعة رحمة
- ارض بالعيشة ولو تحت حافر حمار
- قول للكلب يا سيدي حتى تاخذ حاجتك منه

فالأمثال السابقة جميعها تدعو إلى ترسيخ الجبن والخوف والحيادية، وأن يكون الإنسان مع القطيع، وفي هذا انهزام وتسليم للأقوى الذي يفرض بطشه على الأضعف، وبرأيي أن هذه الأمثال تمثل الشريحة الأضعف من المجتمع، وأن الاستشهاد بها قد يكون على سبيل السخرية والاستهزاء، وأنها قد تكون مؤقتة حتى تحين الفرصة المناسبة؛ ليقوى الضعيف ويكبر الصغير، وتأتي الفرصة المناسبة، وهي كما ذكرنا ليست تشريعاً، ولكنها قول يقبل أو يرفض، وأحياناً نستطيع أن نصفها بالمغالطة التي تمثل خطأ شائعاً علينا أن نحذّر المجتمعات منه.

**تأصيل الأمثال الشعبية:**

ربما يعود أصل كثير من الأمثال الشعبية العامية إلى اللغة العربية الفصحى، مع تحوير لتلك الأمثال وإخراجها من سياقها الفصيح إلى سياقها العامي؛ فثمة من يقول إن العاميّة بنت الفصحى، وإن الأمثال الشعبية مثلها مثل الأشعار الشعبية، قد تخضع لقواعد البلاغة العربية، ولكنها لا تخضع لقواعد لنحو العربي، وأن أصل كثير من الأمثال، إما أن يكون حديثاً أو آية قرآنية، أو شعراً أو حكمة أو قولاً فصيحاً، وقد يكون لتناقله من جيل إلى جيل مشافهة، ما جعل ذلك المثل يتعرض للتصحيف والتحريف حتى انتقل من الفصحى إلى العامية، وهذا في كثير في الأمثال الشعبية، ويستحق دراسة تؤصل لتلك الأمثال، وتبحث عن العلاقة بين الشعبي والفصيح فيها، وهذا الأمر يجب أن تفرد له دراسات مستقلة تؤصل للعلاقة وتبينها.

وبقي أن نقول: إن الأمثال الشعبية حفظت في الذاكرة مشافهة، ولم تذكر كثير من المصادر قائل المثل، باستثناء ما يقترن بالشعر منها، فعادة ما يحفظ الناس المثل، ويتجاهلون القائل الأول، فيصبح ذلك المثل ملكاً للذاكرة الجمعية التي عمدت أو تغافلت عن القائل الأول الذي أصبح في طي النسيان.

# الموصف.. يقول

**ميسون يوسف الأنصاري**
كاتبة – الإمارات

الأمثال الشعبية هي حصيلة تجارب أجيال متعاقبة، ضمنتها معاناتها وفلسفتها في الحياة، فالمثل الشعبي ليس وليد ترف فكري، بقدر ما هو تعبير عن واقع اجتماعي وإنساني، وهي وليدة البيئة الاجتماعية التي نشأت فيها، وهي نتاج طبيعي لظروف الفرد، فهي تجسد عاداته وتقاليده، وتعكس همومه وأشجانه على ضوء المعاناة العصيبة التي مر المجتمع العربي في حقبات تاريخية متعاقبة والمعروفة بحكمة الشعوب.

وكانت هناك معايير أخلاقية يضعها عقلاء القوم لتكون ضابطاً سلوكياً، ومنهجاً أخلاقياً لعامة الشعوب، وخاصتهم، يتناقلها الخلف عن السلف، جيلاً بعد جيل، فتظل محفورة في ذاكرة الناس، وكما أشرت فإن الأمثال وليدة البيئة، فنجد أن أمثال البيئة الساحلية أو البحرية تختلف عن البيئة الصحراوية، وكذلك عن البيئة الجبلية والزراعية.

عادة ما تتسم الأمثال الشعبية بروح الفكاهة، وهي تعبير عن المعاناة الإنسانية، تعكس ما يشعر به الإنسان من يأس وفشل أو خيبة أمل ومرارة، وذلك هو سر انتشار الأمثال الشعبية، كونها نابعة من واقع البيئة التي نشأت بها.

كانت الأمثال الشعبية بمثابة وسيلة تعليمية مختصرة، تساعد الناس على فهم معاناتهم، وهي دروس من سبقهم من أسلافهم، تعينهم على تخطي المشكلات، وتجد لهم حلولاً سريعة للتغلب على أي مشكلة أو معضلة قد تواجههم، وتحثهم على المثابرة والجد والاجتهاد، وتحمل الصعاب والصبر عند الشدائد، ولا ننسى أن الأمثال الشعبية كانت المعلم الأول للقيم الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، وارتباطها بالدين في المقام الأول، فهي لا تبتعد أبداً عن أحكام ديننا الحنيف، وسنّة رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم. عادة ما تكون هناك قصة أو حدث ما وراء تلك الأمثال الشعبية، وبموجبها ظهر ذلك المثل على لسان أحد الحكماء من ذلك الزمن، وروي على لسانه ليكون كحكمة وعبرة للأجيال المتعاقبة، وهكذا صارت الأمثال تروى على ألسنة الناس جيلاً بعد جيل، حتى وصلت إلينا، ونحن بدورنا وللمحافظة على موروثنا العريق علينا المحافظة عليها من خلال التدوين والنشر، حتى لا تندثر ولتصل إلى الأجيال القادمة، وبدورهم التعلم منها والأخذ بما جاء فيها.

إن موروث الأمثال الشعبية لبيئات دولة الإمارات لا يختلف كثيراً عن بقية دول الخليج، إلا من حيث النص أو المضمون في بعض الأحيان؛ لأنهم يلتقون في النهاية بقيم واحدة، وتراث واحد، ومصير مشترك واحد.

الأمثال الشعبية في الوطن العربي أيضاً لا تختلف كثيراً عن أمثالنا، إلا من حيث اختلاف اللهجة، وتلتقي في المعنى في أحيان كثيرة، فمثلاً يقول الموصف:

«اللي ما أدبه أبوه.. يؤدبه زمانه».

ويقول الموصف عند بعض البلاد العربية:

«ابنك لا تعلمه.. الدهر بيعلمه».

وللإسهام في ترسيخ هذا الموروث، قد نشرت مؤخراً كتاباً اسمه «سوالف سكيك»، حيث تناولت فيه قصة من التراث الشعبي، تعبر عن مثل يقال في آخر كل قصة يعبر عن مضمون القصة والحكمة التي تستنبط من ذلك المثل.

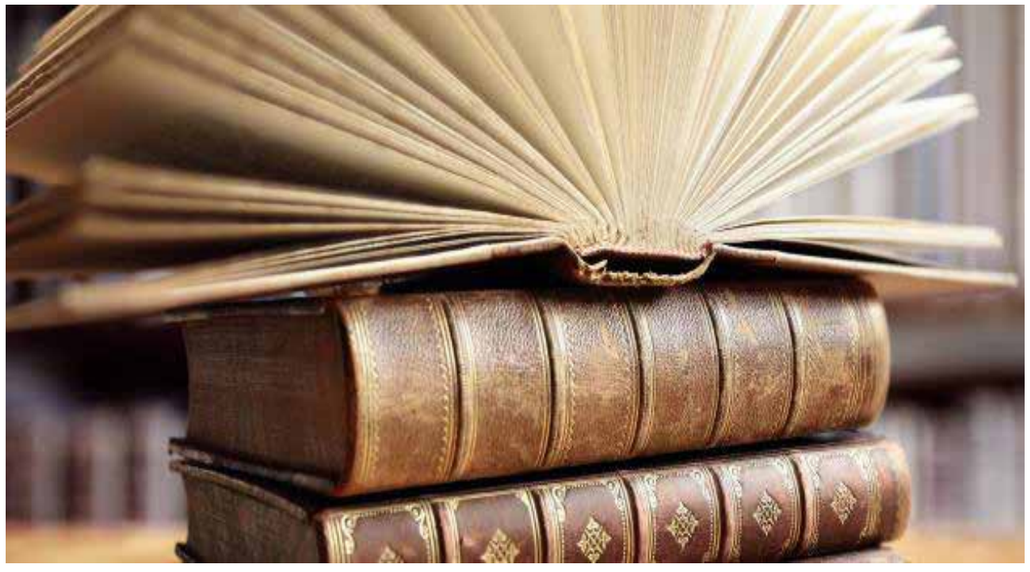

# أهمية الأمثال الشعبية في التراث الإماراتي

لينا فريح
كاتبة -مراود

تعدّ الأمثال الشعبية جزءاً لا يتجزأ من التراث الثقافي لأي مجتمع، فهي تعكس حكمة الأجيال السابقة وتجاربها الحياتية. وفي الإمارات العربية المتحدة، تحتل الأمثال الشعبية مكانة مرموقة في الثقافة والتقاليد، حيث تمثل وسيلة لنقل القيم والمعارف من جيل إلى آخر، وتبرز أهمية الأمثال الشعبية في التراث الإماراتي من خلال جوانب عدة.

**أولاً: حفظ التراث والتاريخ**

تعمل الأمثال الشعبية كأرشيف حيّ لحفظ التراث والتاريخ الإماراتي، ومن خلالها يتم توثيق التجارب والممارسات اليومية التي عاصرها الأجداد، فعلى سبيل المثال، تعكس الأمثال التي تتناول الصيد البحري والتجارة البحرية حياة الإماراتيين قبل اكتشاف النفط والتحول الاقتصادي الكبير. كما تعكس الأمثال التي تتناول الزراعة والرعي الظروف المعيشية الصعبة التي عاشها الإماراتيون في المناطق الصحراوية.

**ثانياً: تعزيز الهوية الوطنية**

تساعد الأمثال الشعبية على تعزيز الهوية الوطنية للإماراتيين؛ فهي تسهم في بناء شعور بالفخر والانتماء إلى الوطن، حيث تذكّر الناس بجذورهم وتاريخهم العريق. إن الأمثال التي تتناول قيم الشجاعة والكرم والمروءة تعزز من هذه الهوية، وتجعل الأفراد يشعرون بأنهم جزء من مجتمع يمتلك تاريخاً مشرّفاً وقيماً أصيلة.

**ثالثاً: التربية والتعليم**

تلعب الأمثال الشعبية دوراً تربوياً مهماً في المجتمع الإماراتي، فهي تُستخدم كأدوات تعليمية لتوجيه السلوك والأخلاق، وغالباً ما يتم توظيفها في تربية الأطفال وتعليمهم المبادئ الأساسية. مثلاً، المثل القائل «من جد وجد»، يشجع على العمل الجاد والاجتهاد، ويعزز فكرة أن النجاح يأتي نتيجة الجهد والمثابرة.

**رابعاً: التواصل والتفاهم**

تعدّ الأمثال الشعبية وسيلة فعالة للتواصل والتفاهم بين الأفراد، فهي تستخدم في الأحاديث اليومية لتوضيح الأفكار وتبسيط المفاهيم المعقدة. الأمثال تختصر الكثير من الكلام في جمل قصيرة، ما يسهل عملية التواصل، ويوضح الرسائل بطرق مألوفة ومفهومة للجميع. على سبيل المثال، يمكن استخدام مثل «الصبر مفتاح الفرج» لتهدئة شخص مضطرب، وتذكيره بأهمية التحلي بالصبر.

**خامساً: الحكمة والموعظة**

تعدّ الأمثال الشعبية مصدراً غنياً بالحكمة والموعظة، فهي تحتوي على دروس مستفادة من تجارب الحياة، وتقدم نصائح قيمة يمكن تطبيقها في مختلف المواقف. الأمثال مثل «لا تدع العمل إلى الغد» تحث على استغلال الوقت بشكل فعال، وعدم تأجيل الأعمال المهمة، ما يعكس قيمة التخطيط والانضباط في الحياة اليومية.

في الختام، تعدّ الأمثال الشعبية جزءاً أساسياً من التراث الإماراتي، حيث تلعب دوراً مهماً في حفظ التاريخ وتعزيز الهوية الوطنية وتربية الأجيال الجديدة. إن قدرتها على التعبير عن الحكمة والتجارب الإنسانية بجمل قصيرة وبسيطة، يجعلها وسيلة فعالة للتواصل والتعليم والتوجيه. من خلال تقديرنا لهذه الأمثال وإدماجها في حياتنا اليومية، نحافظ على التراث الثقافي الإماراتي، ونسهم في نقله للأجيال القادمة.

# سفر الأمثال الشعبية

**محمد نجيب قدّورة**
كاتب وباحث - فلسطين

من لوازم ثقافتنا العربية التراثية أن نقول: الشيء بالشيء يذكر؛ لتوصيل المعاني دون الحاجة إلى إطالة السرد، فيكون خير الكلام ما قلّ ودلّ، حيث إذا تمّ العقل نقص الكلام، واللبيب بالإشارة يفهم.. فبمجرد أن تقول: هذا الشبل من ذاك الأسد، فأنت ترمز إلى سلالة بطولة وجرأة، مؤكداً ما يغنيك عن صفحات، وإذا قلت الحديد بالحديد يفلّ، فأنت تعني حكمة اشتقت من تجربة سابقة أوصلتك إلى وعي ثقافة تراثية توارثها الأبناء أباً عن جد، بل تزيد على فهمك ألا تكون ليناً فتعصر، ولا صلباً فتكسر.

من هنا لم يكن عجباً أن ضرب الله الأمثال للناس، وهو العالم بطباعهم، فشبّه المعلوم بالمعلوم (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة)، (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة)، والفارق بينهما أن الثبات والرسوخ والبقاء للخير من جهة، وأن الاقتلاع والزوال والهشاشة للشر... فالله سبحانه يضرب الأمثال للناس لعلهم يستوعبون فحوى الممارسة والمعتقد.

ونحن الناس بتنا نستخدم الأمثال لحاجة اجتماعية أو فكرية، تلخص النظر إلى الأمور حتى يكون الطرف الآخر أشدّ انجذاباً للاقتناع أو الحذر، بل إن كثيراً من الأمثال صار يشكل كنزاً من كنوز الحكمة التي لا غنى عنها في خطاب الآخر، وفي طريقة الاستجابة لسلوك الآخر، سواء بطرح المثل مجرداً كقولنا:

- العافية أبدى من المال.
- مطول الغيبات ياب الغنايم
- يات الحزينة تفرح ما لاقت مطرح
- فلان بكل عرس له قرص
- من بغى الدح ما قال الأح

**ماذا يقول راعي المثل**

لو سألنا أيّ إنسان: من أين تستقي حكمة حياتك؟ لأجاب حسب ثقافته عن مصدر حكمه، لكنه سيلجأ مباشرة وبلا تردد إلى الأمثال التي تعبر عن أعمق معاني الحياة، خاصة في الوجدان الشعبي، ولعل السبب هو أن الأمثال في الأذهان تشكل عصارة تجارب لها أصداؤها في الاستعمال اللحظي.

ونحن نرى أن الأمثال لا تأتي إلا مقرونة بحدث أو حكايات أو حاجة للبرهنة على اختصار في السرد، والمتبقي يفسره (راعي المثل) أو (المتوصف) الذي لديه خبرة في مجريات المثل وتداولاته، رغم تغير الزمن وموطن الفكرة، إذ نحن نطلق مثل (قيس قبل ما تغيص)، ليس في معرض الطقس البحري فقط، إنما امتداد الموروث يؤدي إلى تعميم المصطلح، فلا يكون مثل: (اللي ما يعرف الصقر يشويه) محصوراً في ماهية الصقر، بل يتعدى الأمر حتى إلى كل تصرف غشيم في الحالات والأدوات مما يفقد الشيء قيمته.

**التشابه بين الأمثال**

قد تختلف الأماكن، لكن الأمثال تتشابه في البنية اللفظية أو التصويرية، وهذا يحتاج إلى التأصيل الدلالي في اللغة كوصف (العين المليانةْ والعين الفارغةْ) فنراه في سياقات أخرى (البطن الشبعانة والبطن الجوعانة)، مع أن المقصود في الطرح واحد، فيقع الحافر على الحافر، ويكون التناص والتشابه.

وينطبق هذا على النقل المسافر للمثل من الشعبي إلى الفصيح أو العكس، كقول المثل: (أنا الغريق فما خوفي من البلل)، بينما الشعبي يقول (المبلول ما يبالي بالرش).

نـرى في السـودان مثـلاً يقـول (النـار تلـدي الرمـاد)، وفي الشـام (وردة خلّفـت شـوكة)، والمثـل الفلسـطيني (الحـكي إلـك يـا كنّـة اسـمعي يـا جـارة)، ليـس بعيـداً عـن (اضرب المربـوط يخـاف السـايب).

إذن، نحـن في حالـة تشـكل الأمثـال نحسـب حسـاباً، لأن النفـس البشريـة لا تحيـد عـن تعابيرهـا إلا في التصاويـر، بينـما البنيـة النفسـية متشـابهة.

مـا ذكرنـاه آنفـاً هـو طريقـة مـن السـفر الخفـي للأمثـال التوافقيـة، فالمثـل التـالي موجـود في الشـام والسـودان في صيـغ مختلفـة.

السودان: العود لو ما فيه شق ما بيقول طن.

الشام: اللي على راسو بطحة بيحسس عليها.

**أجل إنه سفر الأمثال:**

أجـل الأمثـال تسـافر حرفيـاً أو ببعـض مـا يناسـب اللهجـة المحليـة، والمثـل الشـائع: (الـلي سـبق لبـق)، هـو ذاتـه (الـلي سـبق أكل النبأ)، وهـو ذاتـه (الـلي سـبق أكل النبـق).

نلاحـظ الحفـاظ عـلى (الـلي سـبق) في التشـكيل البنيـوي للمثـل، أمـا مثـل (جنـت عـلى نفسـها براقـش)، فقـد عـمّ الحديـث عنـه في كل البلـدان، وإن حمـل في الحكايـة غـير محملـه.. فقـد قيـل إن الحكايـة هـي أن كلبـة تسـمى براقـش نبحـت فقلهـا اللصـوص، لكـن الروايـة الأصليـة الحقيقيـة أن قريـة كانـت عـلى الطريـق التجـاري بـين اليمـن والحجـاز، لم تقنـع برزقهـا فحاولـت السـطو عـلى القوافـل، وكان اسـم القريـة (براقـش)، فأرسـل ملـك اليمـن جيشـاً قـضى عـلى القريـة قضـاء مبرمـاً، ومـن هنـا جـاء المثـل، ثـم تفـرع عـن هـذا المثـل أمثـال، كأن يقـال: (الـلي مـن إيـدو الله يزيـدو) أو (مسـتاهل الـلي جرالـه).. حتـى إن بعـض الأمثـال تتلـون، فنحـن في بـلاد الشـام نقـول: (بكـرةْ بيـذوب الثلـج ويبـان المـرج)، وفي الخليـج يقـال: (الـلي في القـدر يطلعـه الملاس)، وفي مـصر: (يـا خـبر بفلـوس بكـرة ببـلاش)، بـل إن هنـاك أمثـالاً لا تختلـف في الصيغـة إلا في النـادر:

الخليج: (قلب الأم على الولد والولد قلبه على الحجر).

الشام ومصر: (قلبي على ولدي انفطر.. وقلب ولدي حجر).

وفي هذا كثير إذا قمنا بعملية المقاربات المثايلية.

- خذ علوم الدار من يهالها = خذ سرارهم من صغارهم.
- اعمـل خـير وعقـه البحـر = اعمـل المعـروف وكـب في البحـر.
- حظه يكسر الحصى = حظه يفلق الصخر.
- الـلي مالـه صـدر مالـه تفـر = الـلي مالـه أول مالـه ثـاني.
- تابع المساعيد تسعد = جاور السعيد تسعد.

حتـى إن الأمثـال تسـافر في انسـجام حروفهـا (الريـح - اسـتريح - الطـول طـول، والعقـل عقـل والحصايـد والقصايـد، وريـت - وليـت ، سـارت – غـارت...).

سـفر الأمثـال الحـرفي: البـاب الـلي تجيـك مـن الريـح سـدّه واسـتريح.

إذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله.

الحسود لا يسود.. وكل أيامه سود.

الطول طول نخلة وعقله عقل صخلة.

الناس في الحصايد.. وهو قاعد ينشد قصايد.

كلمة يا ريت ما بتعمر بيت.

مركب الضرايـر سارت ومركز السلايف غارت.

لو بدها تشتي كانت غيمت.

**من غايات الأمثال الطرفة والحكمة:**

- ولعل الطرائف تكون مجالاً لانتشار الأمثال:

جت الحزينة تفرح ما لاقت لها مطرح.

رجعت حليمة لعادتها القديمة.

تموت الدجاجة وعينها في السبوس.

طنجرتها على النار وعينها على طنجرة جارتها.

الطول طول الخشب والقصر لسبيكة الذهب.

حضن الأم آمن من فراش الورد.

- أو تكون في طرافتها حكمة:

عصفور باليد ولا عشرة على الشجرة

فلان مثل ذنب الكلب حطوه تحت المخدّة أربعين سنة ظل أعوج.

إذا بغيت الجود دق أهله.

الباب اللي تجيك منه الريح سدّه واستريح.

اللي ما يزرع الدباس ما يأخذ بنات الناس.

بين عاقل ومجنون ينشق الثوب.

مَن طوّل الغيبات جاب الغنايم.

بو طبيع ما يوز عن طبعه.

هكـذا نـرى أن الأمثـال حقـل واسـع ممتـد لدراسـة طبـاع النـاس وأنمـاط سـلوكهم، ومـدى وعيهـم الاجتماعـي والثقـافي، حيـث بيـان عمـق النظـرة في النقـد كقـول الأمثـال:

العنزة ما تشوف ذيلها.

الشيفة شيفة والمعاني خفيفة.

فنقول نحن أمثال الوعي واليقين:

ياما صرارة سندت عمارة

والناس بالناس والكل بالله

وكل شي بوقتُه حلو.

وبعـد: فالأمثال تحتاج الى موسـوعة أو دائرة معارف لها بدايـة وليس لها نهايـة، وفقـاً لتجدد التجـارب، وتبقى الأمثـال طريقة منهجـاً في إقنـاع الطرف الآخـر ليعرف كوعه مـن بوعه، وأن في رأسـه خلاصه، لـو تأمل وتخيل المثل في مشـهد بارق شـارق.

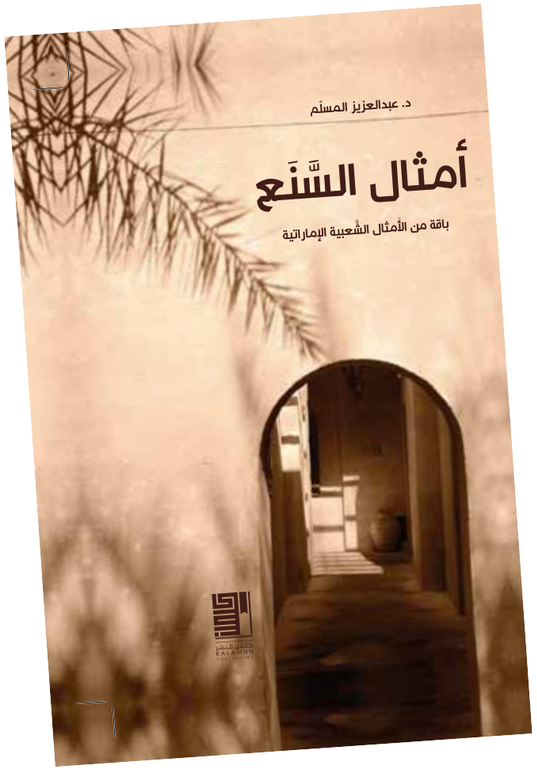


# أمثال السنع..

## تجارب إنسانية في الحكمة والموعظة

**سارة إبراهيم**
كاتبة - مراود

يسلط الدكتور الكاتب عبدالعزيز المسلّم، في كتابه «أمثال السنع: باقة من الأمثال الشعبية الإماراتية» الضوء على ما يزيد على 150 مثلاً، تقدم دروساً في الأخلاق والتعامل، من خلال باقة مختارة من الأمثال الشعبية الإماراتية المستقاة من التجارب الإنسانية التي خلصت للحكمة والموعظة وتقويم السلوك.



يتنقل المسلّم في كتابه الصادر عن دار «كلمن للنشر» ما بين الآداب العامة وآداب الطريق وآداب المأكل والمشرب، ويأخذ قارئه إلى آداب التعامل مع الآخرين، وآداب الحديث والاستماع والضيافة والقناعة، وفي كل واحدة مما ذكر سرد من الأمثال ما هو أخيرها، وما فيه منفعة للقارئ الراغب في التعرف إلى حكم الأولين، وما تركوا من مآثر القول، ورغبتهم الدائمة في تقويم السلوك الإنساني.

وفي تتبع لعشرات الأمثال التي أغنى بها الكاتب كتابه وذائقة قرائه، يقول في أحدها «اللي ما شبع من بيت أبوه، ما يشبع من بيت الناس»، وهو مثل يراد به التذكير بأن الشبع الحقيقي يكون في بيتك أنت؛ لذا فإنه يلزم الأسرة أن تعتني بأولادها، وتُشبع حاجتهم كلّها حتى لا تكون لهم حاجة. وفي نص المثل «العومة ماكولة ومذمومة»، في بعض الناس الذين يأكلون من رزق الله ولا يشكرون، وهو سلوك مذموم.

ولأن تقاليد الشعوب مقرونة بتعاملاتهم فيما بينهم، ومع الآخرين، وفق الأعراف والعادات والتقاليد، فإن الإمارات العربية المتحدة جزء أصيل من شبه الجزيرة العربية، أرض العرب الأولى، ومنبع أخلاقهم النبيلة التي لا يضاهيها خلق شعب آخر في العالم، وفي ذلك ذكر لبعض الأمثال في حسن الأخلاق والتعامل، منها «حلّ لسانك وكل الناس خلّانك»؛ أي اجعل لسانك عذباً يصحبك الناس جميعهم. ويقال «الزاد يفنى والربيع يدوم»، ذلك أن كل الماديات تزول، لكنّ الصداقة هي التي تبقى. وفي التنويه لضرورة الالتزام بالعهود والوفاء بها، وأنها من شيم الرجال، يقول المثل «عيب على رجال ما تمْ أقوالها».

والإماراتيون قرنوا السلوك الحسن بحسن الكلام والمنطق؛ فقالوا: «المذهب ذهب والمعاني حروف»، والمذهب هنا بمعنى السلوك، والمعاني أي الكلام المنطوق المعلوم. فيقول المثل «ليت رقبتي رقبة بعير، قبل لا تطلع الكلمة أثمّنها»؛ أي تريّث كثيراً قبل أن تُخرج الكلمة من فمك. ويشير مثل آخر «الرمسة قوت، لكنها خراب بيوت» أي أن كثرة الكلام معدوم الفائدة ضارة مهما اعتقدت أنها نافعة لك .

ولكرم الضيافة وحسن الاستقبال مكانة خاصة عند الإماراتيين، فبالكرم يكون التباهي، وبالعطاء يكون التفاخر، ويقول المثل «من لفا الأكرام ما حاتا العشا، ومن لفا الأبخال خلوه امحقور»، فإن تقصد كريماً فأنت بمأمن من عاديات الزمن، لكن أن تقصد بخيلاً فلن تنال إلا الإهمال والصد.

والقناعة تحقق للإنسان خيراً عظيماً في الدنيا والآخرة، ومن فضائل القناعة البركة، ويقول المثل «بلادي ما أبيع ابها ديار حسا ولا ديار عامر»، وهنا مثل في حب الوطن فلا يضاهي حبه حب أي بلاد أخرى مهما كانت. وفي القناعة أيضاً يقال «ثوب مب ثوبك يعقك»؛ أي كن على طبيعتك دائماً، ولا تتطلع إلى أمور كبيرة قد تطيح بك.

# الموسيقا والغِناء
## في الأمثال الشعبية

**علي العَبْدان**
مدير إدارة التراث الفني
معهد الشارقة للتراث

تتسِمُ الأمثالُ عامّةً بسِمَةٍ أساسيّة، هي إيصالُ المعاني الكثيرة بألفاظٍ قليلة، ولذا عُدَّ ضربُ الأمثال من البلاغةِ الرفيعة، فهي ممّا «قلَّ ودَلَّ»، وغالباً ما تكونُ الأمثالُ كلاماً منثوراً، وفي أحيانٍ كثيرةٍ مسجوعاً، لكنها لا تقتصرُ على الكلام العاديّ، إذ قد تأتي الأمثالُ من القرآن الكريم، أو من الأحاديث النبوية، وقد تأتي الأمثالُ من الأشعار، وغيرها من مَقولاتِ الحكمة. والأمثالُ كالأحلام، قد تُصاغُ من كل ما قد يَرِدُ في الذهن من الأسماء والأفعال، والحيوانات، والنباتات، والآلات، وأعضاء الإنسان، والأرض والسماء، والجبال والبحار، ومختلِف العادات والمِهن، وصولاً إلى الغناء والموسيقافي هذه المقالة سأعرضُ بإيجاز بعضاً من الأمثال الشعبية التي تتخذ من الموسيقا والغناء موضوعاً يرمزُ إلى موضوعاتٍ ومعانيَ أخرى في الحياة، وهذا لا يعني أن الأمثلة الفصيحة لم يوجد فيها ذلك، فقبلَ الأمثال الشعبية العامّيّة، وُجِدت أمثالٌ سائرةٌ بالفصحى، كان موضوعُها الرمزيُّ الموسيقا والغناءَ والطرَب، وذلك مثل قولِهم: **زامِرُ الحَيّ لا يُطرِب**، ويُضرَبُ في الإنسان الذي لديه ما يُقدِّمُهُ لقومِهِ ومجتمعِه، لكنهم زاهِدون فيه، غيرُ مكترثين به، لكثرة مخالطتِهم له، فلَربمّا فضّلوا عليه إنساناً آخَرَ غريباً عنهم، وذلك لأنهم يبحثون عن الجديد؛ لا المألوف، أو الاعتياديّ، الذي قد لا يتوقَّعون منه جديداً. ومن تلك الأمثال الفصيحة ما جاء من طريق الشِعر، مثلُ قولِ الشاعِرِ سِبْط ابنِ التعاويذيّ: **إذا كان ربُّ البيتِ بالدُّفِّ ضارباً .. فَشِيمةُ أهلِ البيتِ كلِّهِمُ الرَقصُ**، وقد حَرَّفَ بعضُ العامّةِ الشطرَ الثاني من البيت إلى: **فما شِيمةُ أهلِ الدارِ إلا الرقصُ**، فهذا مثَلٌ يُضرَبُ لبيان أثر الراعي في الرعيّة، ولتفسير – إن لم يكن تسويغ – ما يُستغرَبُ من حال القوم بتأثير كبيرِهم فيهم، فإذا كان هو مَن يقومُ بالأعمال الغريبة المُنكرَة، وهو قدوتُهم؛ فلا يُستغرَبُ منهم القيامُ بذلك أيضاً، وبهذه المناسبة أودُّ أن أستطرِدَ هنا بأن أقولَ إن اقتباسَ أبياتِ الشِعرِ وأشطارِهِ لجعلِها أمثالاً سائرةً قد استمرَّ إلى عصرنا هذا، حتى في الشِعر الشعبيّ، فمن ذلك المَثَلُ الخليجيُّ الشهير: **الضرس ليمَن رِقَل مِن شَلْعته لابد**، فهو من موّالٍ منسوبٍ لشاعر الزهيريّات البحرينيّ فَرَج بو مثيوح، ويُنسَبُ كذلك لشاعر زهيريّاتٍ آخَرَ من الكويت، وكذلك المثلُ المشهور: **حَشْرٍ مع الناس عِيد**، هو بعضُ شطرٍ من بيتٍ في قصيدة الشاعر والموسيقيّ الكويتيّ عبد الله الفَرَج (تريد الهوى لك على ما تريد). ويوجد من الأمثال الفصيحة في هذا السياق ما أصبحَ عامّيّاً فيما بعد، مثل المثَل القائل: **عاشِرِ المُصَليّ تُصَلّ، وعاشِرِ المُغنّي تُغَنّ**، فهو ما زالَ مستعملاً في العامية بلفظ: **من عاشَرَ المصلّين صلّى، ومن عاشَرَ المغنّين غنّى**، ولفظةُ في العامّيّةِ الإماراتية: **من رابَع المصلّين صلّى، ومن رابَع المغنّين غنّى**، أي: مَن صاحَبَهم وزاملَهم، لكنني وقفتُ على طريقة قول هذا المثل في العراق، ووجدتهُ يُلفظ لديهم قريباً من لفظِهِ الفصيح، فيقولون: **عاشر المصلّي تصلّي، وعاشر المغنّي تغنّي**.

وفي الغناء رمزاً لبعض السلوكيّات جاءت بعضُ الأمثال، ومن قديمِها: **كلّ يُغنّي على ليلاه**، ويُضربُ في انشغالِ كلِّ امرئٍ بما يُهِمُّه، ويُحكى أن الأصمعيَّ سألَ أحدَ الأعرابِ من بني عامرٍ عن مجنون ليلى، فقال لهُ الأعرابيّ: عن أيِّهم تسأل؟ ويوجد مَثَلٌ شعبيٌّ خليجيّ بمعنى هذا الفصيح، ولكن خارج قيدِ الغِناء، وهو شطرٌ من بيت شِعر، يقول: **كلٌّ بقلبه شقا اللي له**. ومن الأمثال الشعبية المرتبطةِ بالموسيقا وآلاتِها قولُهم: **يموت الزمّار واصبعه يلعب**، ويُضربُ للدَلالة على تأصُّلِ بعض العادات في بعض الناس، وعدم تخلّيهم عنها طيلةَ حياتِهم، والمثل بهذا اللفظ يُقالُ في تونس، أما في العراق فيُقالُ بلفظ: **يموت النايَاتي وأصابعه تلعب**، أو: **وإيده تلعب**، ومعنى هذا المثل قد يرِدُ في أمثالٍ أخرى لا تتعلق بالموسيقا، مثل المَثَل الخليجيّ: **تموت الدجاجه وعينها على السبوس**، وكذلك: **يموت الجَمَل وعينه في الراكه**، أي: في الأراكه، أو شجرة الأراك، وهذا من باب تعدُّد صِيَغ المَثَل في الموضوع الواحد. ومن الأمثال الشعبية في الإمارات قولُهم: **الدق على حسب الرزيف**، ويُروى بلفظٍ آخر، هو: **على حسب الدق يجيك الرزيف**، والمعنى على أيِّ لفظٍ كان هو توكيدُ اعتِمادِ أمرٍ ما على عاملٍ آخَر، كأن تطلبَ من صانِعٍ ما تجويدَ صنعتِه، وتفخيمَها، فيذكر لك هذا المثل: الدق على حسب الرزيف، ويكون مقصودُهُ بذلك واضحاً، أي: إن تجويدَ المصنوع وإحسانَ صنعتِهِ يعتمِدُ على مقدار المال الذي ستدفعهُ للحصول عليه، ومن الأمثالِ الشعبيةِ في هذا السياق أيضاً قولُهم: **كل من دق طبله قال انا قبله**، ويُقالُ في العراق بلفظ: **كِلمَن يدق طبله إنتَ قبله!**، ويُضربُ فيمَن يندفِعُ إلى التصرّف دون رَويّة، ويُسابقُ غيرَه في اقتحام أمورٍ لا تعنيه، ومن تلك الأمثال أيضاً قولُهم: **فلان مثل الطبل، صوته عالي وبطنه خالي**، ويُروى في العراق بلفظ: **مثل الطبل، كبير وبطنه فارغ**، وهو يدلُّ على حالِ مَن يتعالى بدون سبب، أو يُحاجِجُ بمُجرّد رفع الصوتِ والصياح، دون أن تكونَ لهُ حجةٌ واضحة، أو دون أن يكون على قدر المسؤولية، ونحو ذلك من المعاني.

ومن الأمثلةِ الشعبيةِ المغربيّةِ في هذا السياق قولهم: **بْحال بَنديرِ البنات، بعد ما يشبع ضرب يتعلّق**، والبندير آلةٌ إيقاعيةٌ تُشبه الطار، أو الدفَّ الكبير، ويُستعمل في أهازيج النساء، ولهذا سُمّيَ في المَثَل: بنديرِ البنات، ومن العادةِ أن يُعلَّقَ على الحائطِ بعدَ الاستعمال، ويُضربُ هذا المثلُ فيمَن يُستغلّ، ثم يُستغنى عنه. ومن أشهر الأمثلةِ الشعبية المرتبطةِ بالغناء قولُهم: **ابعد عن الشرّ وغنّي له**، إلا أن بعضَ الباحثين يقولُ إن هذا المَثَلَ لا علاقةَ له بالغناء، وأن لفظةَ (غنّي) فيه مُحَرَّفةٌ عن (قَنّي)، أي: اصنع بينك وبينه قناةً إمعاناً في الابتعاد، لكنّ الصيغةَ المشهورةَ للمَثَل هي الأولى، وفسَّرَ بعضُهم عبارة «غنّي له» بأن المَثَلَ يطلبُ من الإنسان أن يبتعدَ عن الشرّ، ثم أن يُغنّيَ لهُ تهكُّماً به، ولعلّ هذا التفسيرَ يُوافِقُ دَلالاتِ الصِيَغِ الشعبيةِ الأخرى للمَثَل، كما في الصيغةِ الكويتية: **ابعد عن الشرّ وصفّق له**، والصيغة اليمنيّة: **ابعد عن الشرّ وارقص له**، وفي بعض بلاد اليمن مَثَلٌ آخرُ عن الغناء، هو: **فتحنا له يقرأ قام يغنّي**، ويُضربُ فيمَن تتوقَّع منه تصرفاً ما، فيتصرّفُ بالعكس.

# فن الحساوي

**علي العشر**
خبير تراث فني
معهد الشارقة للتراث

فـن الحسـاوي هـو مـن الفنـون الشـعبية البحريـة الخليجيـة التـي تدخـل في إطـار الفنـون الداخلـة في فـن الفجـري.

تؤكـد المصـادر أن فـن الحسـاوي هـو اسـم نُسِـب إلى منطقـة الأحسـاء في المملكـة العربيـة السـعودية.

فـن الحسـاوي هـو مـن الفنـون التـي تمتـاز بـأن بدايتـه عـادة مـا تكـون بجرحـان شـعبي حزيـن، يتغنـى بـه الحـداي، ثـم تـرد عليـه المجموعـة حتـى نهايـة الجرحـان، ثـم تبـدأ التنزيلـة فتغنـي المجموعـة بالتنزيلـة التـي تناسـب المقـام الـذي بـدأ بـه الحـداي، وبعـد الانتهـاء مـن التنزيلـة يحـدو عليهـا الحـداي بمـوال أو موالـين، وفي بعـض الأحيـان يتنـاوب عليهـما اثنـان مـن الحدايـين، إذا وجـد أكـثر مـن حـداء يقـول كل واحـد منهـم مـوالاً.

فـن الحساوي ذو ألحـان خفيفـة، وحـداؤه متقطـع الوحـدة الزمنيـة للإيقـاع، وأغلـب جرحـان فـن الحسـاوي يسـتخدم في البوذيـات.

يـؤدى فصـل فـن الحسـاوي كـما يـؤدى فصـل الحـدادي وفصـل المخولفـي نفسـهما، حيـث تجـد المجموعـة وهـي تجلـس بالطريقـة التقليديـة نفسـها لجلسـات الفنـون البحريـة، في شـكل شـبه دائـري، ويحـرص أفرادهـا عـلى توحيـد الأداء في التصفيقـة، وذلـك مـن الأشـياء التـي تميـز الحسـاوي هـي طريقـة زخرفـة التصفيقـة، ثـم العـودة مـرة أخـرى إلى تصفيقـة موحـدة في رتـم زمنـي معـيّن.

الإيقاعـات المسـتخدمة في فـن الحسـاوي هـي طبـل لاعـوب بحرينـي، وعـدد مـن ثلاثـة إلى خمسـة إيحـال ومـرواس أو مرواسـين وزوج طـوّس نحاسـية.

ومن تنزيلات الحساوي ما يلي:

شلع جوده شلع جوده
وبان النقش ونقيشاته
كّ لون الورد يافضه يامال
تبين النقشة ونقيشاته
كّ بون الورد
لك دان ولي دانا
إيه واويلاه
لك دان ولي دانا
يا عيوني لك واويل  يا عيوني
تفاح ما ناكله
إن شاء الله ناكله
حلو يسليني
يا عيوني لك واويل  يا عيوني
غريب وما ناخذه
إن شاء الله ناخذه
يرحل ويخلينا
يا عيوني لك واويل  يا عيوني
حنا بنات البدو
إي يا بدو
وازين حنانا
يا عيوني لك واويل  يا عيوني
هالله هالله

# الباحث
# عبد الجليل علي السعد

**محمد عبدالله نور الدين**
كاتب وناقد ـ الإمارات

قُدِّر لكل أمة من الأمم أن تحظى بوافر من المبدعين والمفكرين والباحثين، يكونون ذخراً حقيقياً لها، ونبعاً فكرياً فياضاً لا ينضب ولا ينفد، وعندما نتحدث عن باحث وناقد فذّ كالباحث عبد الجليل السعد، نتحدث عن أحد الأمناء الذين سخّروا وقتهم وجهدهم للغوص في عمق تراثنا العريق، واستخراج كنوزه الزاهية، لتكون رحلتهم قصة في الإبداع والوفاء والإخلاص، تستحق البحث والدراسة والتوثيق.

شاءت الأقدار أن تكون ولادة الباحث عبد الجليل السعد في بيت كبير لأسرة ميسورة في مدينة المحرّق في مملكة البحرين، وهو من مواليد 22 نوفمبر 1952م، ولعله كان واعياً لأهمية تدوين نشأته، حيث كتب سيرته الذاتية في كتاب غاية في الأهمية بعنوان «المحرّق رائحة المكان»، وصدر هذا الكتاب في أواخر حياته، تحدث فيه عن بداياته، وعن أسرته الكبيرة التي تتكون من اثني عشر فرداً، وقد كان أصغر أفراد هذه الأسرة، بدأه بالحديث عن والده ووالدته؛ أبوه كان من الأشخاص الميسورين في البحرين، حيث كان يملك مكتباً للصرافة في البحرين، وآخر في المملكة العربية السعودية، وكذلك كان تاجراً في مجال العقارات والذهب وتجارة البضائع المتنوعة، وكان والده قد تزوّج ثلاث مرات، قبل أن يتزوّج والدة الباحث عبد الجليل السعد، حيث يذكر



أن والده عندما كان في رحلة إلى عُمان، تعرّف هناك إلى تاجر اسمه محمد عبد الله الفارسي، فتزوّج ابنته، وأنجب من هذه المرأة الفاضلة أبناءه، ومن آخر أبنائه باحثنا عبد الجليل، ثم يتوسع في الحديث عن مدينة المحرّق كثيراً، فهو يوثق سيرة مدينة المحرّق في البحرين في فترة الخمسينيات، ويحسن وصف بيتهم في تلك المدينة، وعلى الرغم من أن باحثنا لم يبق في هذا البيت لفترة طويلة، ولكنّه كان يعود في كثير من الأحيان إلى المحرّق وإلى البيت الكبير الذي يحتوي على أكثر من عشرين غرفة؛ ليجد فيه الكثير من ذكريات طفولته، وتاريخ والده الذي كان كبير هذه المنطقة في تلك الفترة، حيث كان يرجع إليه الجميع لحلّ المشكلات، وفي كثير من الأمور الأخرى أيضاً، ونجد الباحث يذكر الكثير من هذه الذكريات التي مثلت طفولته وأفكاره بشجون وشوق في هذا الكتاب.

**مراحل دراسته**

تلقى عبد الجليل السعد تعليمه في البحرين في بداياته لمدّة سنة واحدة، وبعد ذلك أرسله والده إلى القاهرة للدراسة هناك في مدرسة داخلية اسمها (وادي النيل)، درس فيها حتى الصف الخامس، يتذكر الباحث عبد الجليل رحلته من البحرين إلى القاهرة عبر السعودية، حيث انطلق من البحرين إلى السعودية على ظهر مركب بحري، ومن مطار (الظهران) في السعودية انطلق إلى القاهرة، استمرت دراسته في القاهرة خمس سنوات، وقد كان لهذه الفترة كبير الأثر في حياته وأفكاره، فقد رأى في ذلك الوقت مدينة متطورة وكبيرة، فيها الأفكار القومية منتشرة، ورمزية الرئيس جمال عبد الناصر يحرك الجماهير، ومن الجدير بالذكر أنه في تلك الفترة سمع بانقلاب الجزائر وغيرها كثير من الأحداث الإقليمية المهمة التي كانت مصر بوصلة مهمة للدول العربية، ما أدى إلى صقل شخصيته، وإلى نضجه الفكري المبكر.

رجع بعد ذلك إلى البحرين، وهو في الصف السادس، وهناك عبر المرحلة الإعدادية من الأول الإعدادي إلى الثالث الإعدادي، وبعد ذلك أرسله والده إلى الكويت ليتلقى تعليمه في المرحلة الثانوية، وفي الكويت التقى جاليات من دول كثيرة، وقد ذكر منهم الشيخ حشر آل مكتوم، الذي درس معه، وكان يذكر أشخاصاً آخرين تعرّف إليهم من خلال وجوده في الكويت.

وكعادة المبدعين، فقد كانت للباحث عبد الجليل السعد رؤية مختلفة؛ فعلى الرغم من أنه كان يملك حلماً خاصّاً في مرحلة الشباب، وهو أن يقوم برحلة حول العالم بعد المرحلة الثانوية، لكن سرعان ما غير رأيه واتجه إلى إكمال مراحل التعليم العالي في بغداد، وقرر أن يكمل دراسته في مجال طب الأسنان، ولكن شاءت الأقدار أن يغير رأيه عندما رأى التشريح وطريقة التشريح، فهو يذكر أنه عندما رآهم يشرحون قدم رياضي، لم تتقبل نفسه التي تتوق إلى الفن والشعر والموسيقى هذه المناظر، وانسحب من مجال دراسة طب الأسنان، وانتقل إلى دراسة الاقتصاد في بغداد لسنتين، وهذا كان مخالفاً لإرادة والده، سواء في دراسة طب الأسنان أو الاقتصاد؛ لأن والده كان يأمل أن يكون عبد الجليل السعد عالماً أزهريّاً، وذلك بسبب اهتمام آبائنا وأجدادنا بالدين وحبّهم له، فكانوا يودون أن يروا أبناءهم صالحين، وأن يتجهوا إلى الاتجاهات القويمة والرزينة، ومنها الاتجاه الديني، ولكن عبد الجليل السعد كانت له رؤية أخرى، فبعد دراسته الاقتصاد في بغداد سنتين عاد إلى البحرين؛ وذلك لأن والده توفي في تلك الفترة أي في سنة 1971م، وبعد سنتين توفيت والدته وهي في زيارة للكويت، فخسر عبد الجليل السعد والديه أثناء مرحلة دراسته الجامعية، واستكمالاً لمسيرة حياة عبد الجليل السعد بعد تخرّجه في الجامعة عمل في وكالة (دنمن للسفريات) موظف حجز، ثم عمل مندوب إعلانات في جريدة الوطن، وبعد ذلك استقل في شركة من الشركات وعمل في سنغافورة، ثم انتقل من هذه الشركة إلى المحطة التي تعتبر المحطة الأهم في حياته، عندما انتقل إلى الإمارات، وعمل في الإمارات

مدة طويلة جدّاً، حيث عمل في العين وفي الشارقة، وقد زرته شخصياً في بيته في الشارقة، وفي هذا البيت كان يفرد مساحة مهمة جداً للكتب الكثيرة التي جمعها طيلة حياته، وعندما دخلت إلى هذه المكتبة، انبهرت وخفت على هذه الكتب التي كان يجمعها، ويهتم بها، أن تضيع بعد رحيله، وأرجو أن تكون قد حفظت وأصبحت في أيدٍ أمينة الآن.

**دخوله عالم الفن**

وعندما نتحدث عن الموسيقى التي شغف بها وبدراستها، وكانت رافداً مهماً من روافد تكوينه الفني والفكري، لا بد أن نعود إلى الفترة التي عاشها في الكويت أثناء دراسته في المرحلة الثانوية، فقد صُقِلت شخصيته في الكويت كثيراً؛ لأنّه كان في مرحلة المراهقة ثم الشباب، في تلك المرحلة كان يتعلم الإيقاعات مع الفنانين، ودخل المجال الفني، والتقى الفنان ناظم الغزالي، وارتبط ارتباطاً روحيّاً ووثيقاً بالفنّ والسينما والتلفزيون، وكان ارتباطه وثيقاً جدّاً بالمسرح أيضاً، ولم تكن مسيرته الإبداعية في مجال الصحافة أو الكتابة فقط، ولكنه كان مهتماً جدّاً بالفنّ وبالأغنية وبالموسيقى أيضاً، ولم يكتف بتعلم فن الموسيقى، وإنما بحث فيه وأنتج أبحاثاً مهمة في هذه المجال، ومن الكتب المهمة للباحث عبد الجليل السعد كتاب (الآلات الموسيقية)، وهو من إصدارات هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، تحدّث في هذا الكتاب عن الآلات الموسيقية التي كانت تُستخدَم في الخليج، ويُعتبرَ هذا الكتاب من الكتب المرجعية المهمة، وعلى الرغم من صغر حجمه، غلا أنه من الكتب المهمة؛ فهو يرد بإخراج جميل وملون، يذكر فيه جميع الآلات الموسيقية التي كانت تستخدم في الموسيقى المحلية، ولا يمكن أن نحكر عبد الجليل السعد في هذا الكتاب؛ فقد كان موسوعيّاً يحبّ أن ينتقل من مجال إلى آخر، وكذلك كان عازفاً إيقاعيّاً معروفاً، حيث كان يمسك الإيقاع أو (المرواس) في كثير من الحفلات، وكانت له ارتباطات مباشرة بكثير من الفنانين، أتذكر أنني عندما كتبت كتابي عن حارب حسن ـ أقدم مطربي الإمارات في عام 2013م ـ رجعت للباحث عبد الجليل السعد وسألته عن إمكانية إضافة أي شيء في هذا الموضوع، وقد ذكر لي الكثير من الفنانين الذين كانوا في فريقهم؛ ومن هؤلاء الفنانين علي الصوري وموزة سعيد وغيرهما، ولكنه لم يعطني أي معلومات شافية عن الفنان حارب حسن، ووجهني إلى الفنان البحريني إبراهيم حبيب الذي يُعتبرَ من أول الفنانين الذين غنوا عن اتحاد الإمارات، فاتصلت به وأفادني ببعض المعلومات المهمة. وقد كتب الباحث عبد الجليل السعد لاحقاً كتاب (جابر جاسم.. الخروج من المألوف)، وهذا الكتاب كتاب مهم، ذكر فيه الكثير عن حياة الفنان الإماراتي جابر جاسم، وألقى الضوء على تجربته، ويُعتبرَ هذا الكتاب من الكتب المهمة التي تناولت مسيرة الفنان جابر جاسم.

كذلك كان للباحث عبد الجليل السعد اهتمام كبير بالسينما، فقد كتب الكثير من النصوص التي كان يحلم أن تُعرَض وترى النور على الشاشة، ولكن ذلك لم يتحقق إلا من خلال نصّ واحد بعنوان (الرمال).

**آثاره في الصحافة**

أحب الصحافة، وقدم العديد من المقالات المهمة في كثير من الصحف والمجلات، فقد كان لقلمه سحر خاص ومعطاء في هذا المجال، كانت بداياته في الكتابة في مجلة «ألف باء»، ومنها بدأت إسهاماته في الصحافة، ومنذ ذلك اليوم لم ينقطع عبد الجليل السعد عن الكتابة في الصحافة، حيث كانت له إسهامات كثيرة في هذا المجال، صحيحٌ لم تُجمَع مقالاته، لكن دائماً ما كان يذكر أنه كتب في صحف كثيرة، منها جريدة الاتحاد، وجريدة صدى الأسبوع البحرينية، والأيام، والوسط، وجريدة رؤى العمانية، وكتب في الإمارات في مجلة تراث وجرائد الاتحاد والخليج والبيان، وأيضاً كتب في مجلة الظفرة المعروفة، وهذا جزء من مسيرة حياته فقط، فله باع طويل في مجال الكتابة الصحفية، ولكن ذلك لم يجمع بين دفتي كتاب حتى الآن.

**نتاجه الأدبي والفكري**

وعندما نتحدث عن باحثنا في مجال الإبداع الأدبي، لا بد أن نتحدث عن طموح ليس له حد، فهو كاتب موسوعي سخر كل ما يملك من معلومات وطاقة وإصرار في البحث في سبيل إنتاج معرفي يشهد له بالإبداع والإخلاص للفكرة التي شغفته، وأحب أن ينقلها للأجيال القادمة، فمن الجدير بالذكر أنه كان يملك مشروعاً كبيراً لإنتاج عدد كبير من الكتب التراثية والمعرفية، ولكن الزمن لم يسعفه على إنجازها، من أهم هذه الكتب كتاب (اللؤلؤ)، وهو كتاب غاية في الأهمية، حيث ذكر الأستاذ علي المغني أنه كان في طور الإنجاز، خاصة أن الباحث عبد الجليل السعد كان يُسأل كثيراً عن الغوص؛ بسبب عمل والده وجدّه في الغوص، ولهذا السبب بدأ يفكر في تأليف كتاب عن الغوص والبحر، وجمع كثيراً من هذه الموضوعات والمعلومات، ولكن لم تشأ الأقدار أن يصدر كتابه عن اللؤلؤ، ومن الكتب الأخرى التي كان يتصل بي ويأخذ رأيي بها هو كتاب (أبجديات تراث الإمارات للأولاد والبنات)، فكما كان يذكر لي أنه يهتم جداً بأن يطلع الجيل الحالي على تراثه، ويكون له دراية واطّلاع على تراث الإمارات؛ لذلك كان يودّ أن يضع موسوعة شاملة بترتيب الحروف الأبجدية تتحدث عن تراث الإمارات، ولم ينجز هذا الكتاب، ولكن أنجز كتاباً آخر شبيهاً بهذا الحلم، هو كتاب (النخلة عروس الرمل والمدى.. أبجدية نخيل الإمارات)، وهو جزء من سلسلة تراثية، كان يأمل أن يتحدث عن كل مفردات التراث الإماراتي، كالنخيل، الدلّة، القهوة، البحر، الغوص، وغيرها من المفردات، وكان يريد أن تكون كلها بجمال شكل هذا الكتاب نفسه الذي أصدره معهد الشارقة للتراث عام 2016م أي قبل وفاته، وبقية كتبه عن مفردات التراث لم تر النور ولم تنجز، ولكنه كان دائماً يلهج بهذا المشروع الضخم، وكان دائما يأمل أن يضع له بصمة في هذه الحياة من خلال التراث، وأن يتذكره الناس باحثاً في التراث، وأنه قدّم لتراث الإمارات وتراث الخليج جزءاً مما يحبّ، وجزءاً من جهده وحياته.

ومن كتب الأستاذ عبد الجليل السعد المهمة كتاب آخر هو كتاب (الموال همس الماء)، وفي هذا الكتاب المهم يذكر أنواع المواويل وأشكالها بشكل علمي ودقيق وبأمثلة كثيرة، وهذا الكتاب من إصدارات وزارة الثقافة في الإمارات، وقد أرّخ وثبّت الكثير من هذه المواويل وأصالتها في تراثنا، وأعتقد أن هذا الكتاب من أهم الكتب التي تناولها الباحث عبد الجليل السعد، وبعد وفاته صدر كتاب (عبد الجليل السعد مجموعة كتّاب في كتاب واحد) للدكتور حمد بن صراي، والدكتور حمد بن صراي التفت إلى أهمية الباحث عبد الجليل السعد، وقد أجرى لقاء معه سنة 2014م، كما ذكر في هذا الكتاب، ودوّن مسيرة حياته، وكتب عنه أكثر مما كتبه هو عن نفسه في كتاب (المحرق رائحة المكان)، وللدكتور حمد بن صراي ارتباط وثيق مع الباحث عبد الجليل السعد بالذات، عندما بدأ معه بجمع مكنز الإمارات عن طريق وزارة الثقافة، وهذا الكتاب أو هذا المشروع كان شبيهاً بمشروع عبد الجليل السعد الذي كان يبحث فيه عن تدوين أبجديات أو مفردات التراث الإماراتي، ولولا الجهد الجميل من الدكتور حمد بن صراي، في هذا الكتاب لضاع الكثير من سيرة هذا الباحث الجميل، ويحسب للدكتور بن صراي أنه أدرج كتاب «الملابس الشعبية في الإمارات» ضمن هذا الكتاب، لحفظه من الضياع.

ومن إصدارات الباحث عبد الجليل السعد المهمة أيضاً كتاب (حكايات شعبية)، وهو قصص للأطفال صدر بالشارقة، وأيضاً كتاب بعنوان (خمس وعشرون سنة من المسرح) وهو كتاب توثيقي صدر عن المسرح الأهلي، وكتاب آخر عن سيرة أحد الرواة في الإمارات، هو الراوي المعروف عثمان باروت، ناهيك عن كتب أخرى من ضمنها كتاب يتكلم عن مقهى الأيام، وهو كتاب يتحدث عن الاستضافات في مقهى الأيام في «أيام الشارقة التراثية»، وكانت مقابلته معي ضمن هذا الكتاب، وقدمني الباحث وشرفني بتقديمي في إحدى هذه المحاضرات، وقد كان عبد الجليل السعد من الكتاب الذين يدعمون الباحثين ويدعمون البحث، كما كان لطيف المعشر، قريباً إلى النفوس، وربما ترتبط به من أول لقاء، وهذه من ميزات هذا الباحث المتواضع الكبير في إنتاجه، وفي حبه للتراث، وأكثر تواضعاً في تعامله. انتقل الباحث عبد الجليل السعد إلى رحمة الله في السابع عشر من فبراير سنة 2017م، وبرحيله فقدنا باحثاً مهمّاً من الباحثين في الخليج، حيث كان حتى آخر لحظات حياته، وقبل دخوله الغيبوبة، يرى الحياة منفذاً للإنتاج وللإبداع، وعلى الرغم من أنه بدأ بوقت متأخر من حياته في إنتاجه وإبداعه في مجال التراث وفي مجال البحث، إلا أن ما استطاع تقديمه في هذه السنين كان إنتاجاً مهمّاً وغنياً يستحق الاهتمام، وإضافة مهمة إلى مكتبة التراث الشعبي.

# اثنينية الذيبب

## ملتقى ثقافي تحت سماء الرياض

**طلال سعد الرميضي**
كاتب - الكويت

عرفت الكثير من المجالس والدواوين بمنطقة الخليج العربي بكونها من منابر الثقافة والعلم والأدب، وتنوعت في تخصصاتها، فنجد مجالس دينية واقتصادية، وثالثة أدبية أو ثقافية، وقلما نجد مجلساً أسبوعياً يجمع أغلب التخصصات المتنوعة، وقد أسهمت هذا المجالس في إثراء المجتمعات ومناقشة الموضوعات والقضايا التي تهم الوطن والمواطن، فنذكر على سبيل المثال، أن فكرة أول مدرسة نظامية بالكويت، وهي المدرسة المباركية، انطلقت من ديوان الشيخ يوسف بن عيسى القناعي عام 1910م.

ومن المجالس المميزة التي حصدت الثناء والصيت الحسن عبر ما قدمته من فعاليات وأنشطة متنوعة، ندكر مجلس السيد حمود بن عبدالله الذيبب، الذي يعقد مساء كل يوم اثنين حتى عرف بـ(اثنينية الذيبب) في العاصمة السعودية الرياض، وانطلق هذا المجلس العامر منذ عام 1976م، وتنوعت أنشطته، حتى عام 2012م، حيث تحول الملتقى إلى صالون أدبي في كل يوم اثنين، واستضاف نخبة من الشخصيات المتنوعة الاختصاص والاهتمام من المملكة العربية السعودية ومن خارجها، وقدم ما يقارب 425 أمسية



في اثنينية الذيبب، وقد أصدر الدكتور عبدالله ناصر الرويشد مؤخراً كتاباً جميلاً جمع فيه جانباً مهماً من إرث هذا الملتقى الثقافي الهادف وفعالياته تحت عنوان «اثنينية الذيبب أمسيات تحت سماء الرياض»، وجاء الكتاب في 565 صفحة من الحجم الكبير في ورق ملون يحتوي على مجموعة من صور الاثنينية وضيوفها، وقد جمع الدكتور الرويشد بعض المحاضرات التي ألقيت في الاثنينية وعددها 211 أمسية، وتناول موضوعها والتعريف بالمحاضر وبعض صور الأمسية، في ترتيب جميل ومشوق للقارئ، وتمت إضافة باركود لعدد 137 أمسية من الأمسيات التي يوثقها الكتاب، ليتمكن القارئ من مسح الباركود بوساطة تطبيقات الهواتف النقالة لمشاهدة فيديو تسجيلي للأمسيات.

وقسم الأمسيات حسب نوعها وتخصصها، سواء أمسيات وطنية، أدب وثقافة وفنون، إعلام وعلاقات عامة، تاريخ وتراث، تعليم وتربية، دينية، رياضية، طب، بيئة، أعلام وسير، قانون... إلخ.

ومن الاثنينيات الثقافية التي قدمت نذكر: «التغيير الثقافي في المجتمع»، قدمها الدكتور راشد أبا الخيل والأستاذ سلطان الطبيب، و«أثر فن الشيلات على اللحمة الوطنية» للشاعر مهنا العتيبي، و«كتابة السير الذاتية» للدكتور عبدالله الزازان، و«تركيم المخطوطات الأثرية بمكتبة الملك فهد» للأستاذ عبدالله الأحمد، و«الجمعية العلمية السعودية للأدب العربي» للدكتور عبدالله الحيدري، و«المسرح وحديث الذكريات» للفنان البدير سعد الفرج، و«شيوع اللحن في اللغة» للدكتور حسن الحفظي، و«الصالونات الأدبية» للدكتور محمد المشوح، و«الوفاء لغازي القصيبي» للأستاذ حمد القاضي، و«الحملة الرومانية على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية» للدكتور سليمان الذيبب، و«البحر وأهميته في الثقافة الكويتية» للدكتور يعقوب الحجي.

وقد سعدت بكوني أحد المتحدثين في هذا المجلس العامر في يوم الاثنين الموافق 8-6-2015م، وتناولت الحركة الأدبية بالكويت، وسعدت كثيراً بمداخلات الحضور التي تنم عن ثقافة واسعة ومتابعة حثيثة للثقافة الخليجية.

الحركة الأدبية بالكويت
أمسية الأديب طلال الرميضي

لا شك في أن هذه المجالس الثقافية هي منابر للحراك والتنوير في المجتمعات الرائدة، وتسهم بشكل فعال في خدمة المثقفين والأدباء والإعلاميين، وتعد اثنينية الأستاذ حمود الذيبب من أبرز المحافل الثقافية في المملكة العربية السعودية، لتنوع القضايا المطروحة فيها، ولاستضافاتها شريحة مميزة من المثقفين، سائلين الله، عزّ وجلّ، التوفيق والسداد لصاحب هذا الملتقى الرائد فيما يسعى إليه في خدمة مجتمعه بطريقة هادفة وراقية.

# إنشاد باغي: أدب

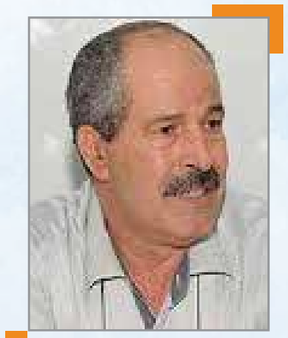

**سعيد يقطين**
كاتب - المغرب

**تنبيه أول: لا يعرف الأصيل والمتميز غير المتميز الأصيل،**

فيكون التوافق والتواد بينهما، والتقدير المشترك.

1. تواصل المغرب والمشرق:

يُعدّ أبو بكر الزبيدي في كتابه «طبقات النحويين واللغويين» (ص262) عباس بن ناصح الجزيري في عداد الطبقة الثانية من علماء النحو واللغة، ويقدمه لنا بقوله: «كان من أهل العلم باللغة والعربية، ومن ذوي الفصاحة في لسانه وشعره. ومذهبه في شعره مذاهب العرب الأُوَل في أشعارهم، وولي قضاء شَذُونة والجزيرة، ووليها ابنه عبد الوهاب بن عباس». يقول ابنه عبد الوهاب عنه: «كان أبي لا يَقْدَم من المشرق قادمٌ إلا كشفَه عمن نجم في الشعر بعد بن هَرْمة؛ حتى أتاه رجل من التجار، فأعلمه بظهور حسن بن هانئ وارتحاله من البصرة إلى بغداد، والمحل الذي حله من الأمين وبني برمك».

وكأني بعباس الجزيري يعتبر ابن هرمة القرشي آخر الفحول، وإن كان المشهود أنه آخر من يستشهد بشعره؛ ولذلك فهو يسأل عمن خلفه، وفرض وجوده بعده. وفي ذلك دليل على متابعة دائمة لما يطرأ في المشرق، وتلهف متواصل لمعرفة جديد الساحة الشعرية هناك.

2. أشعر الجن والإنس:

إن إعلام التاجر عباس بظهور أبي نواس دليل أيضاً على أن التاجر لا يتوقف عمله على تجارته، بين المغرب والمشرق فقط، ولكنه تواصل ثقافي أيضاً. يبدو ذلك في كونه مهتماً أيضاً بما يجري ثقافياً؛ ولذلك نجده يتابع أخبار الشعراء، بل يحفظ من شعر أبي نواس ما يقدمه لعباس عندما سأله إنشاد بعض شعره من قصيدتين يقول مطلع أولاهما:

جَرَيتُ معَ الصِّبَا طلْقَ الجُموحِ  وهان عليَّ مأثور القبيح

أما الثانية، فمطلعها:

أما ترى الشمس حلَّت الحَمَلاَ  وقام وجه الزمان واعتدلا

انبهر الجزيري بما سمعه، ورأى نفسه فعلاً أمام شاعر حقيقي، فقال: «هذا أشعرُ الجنِّ والإنسِ! والله لا حبسني عنه حابسٌ». فتجهز إلى المشرق.

**تنبيه ثان: ضرب أكباد الإبل:**

كان السؤال، وكان السماع، فكان القسم بضرب أكباد الإبل للقاء؛ أي عشق هذا للكلام؟ ومن يضرب أكباد



الإبل للقاء شاعر دال على أنه شخص استثنائي له معرفة ودراية وشغف.

3. مجلس الشاعر:

يواصل عبد الوهاب بن عباس الجزيري سرده عن أبيه: «فأخبرني قال: لما حللتُ بغداد نزلتُ منزلة المسافرين، ثم كشفتُ عن منازل الحَسَن، فأُرشِدتُ إليه، فإذا بقصر على بابه حَفَدَةٌ وخُدَّامٌ، فدخلتُ مع الداخلين، فوجدت الحسنَ جالساً في مقعد نبيل، وحوله أكثر متأدبي بغداد، يجري بينهم المثلُ والتمثل والكلام في المعاني، فسلَّمتُ وجلستُ حيث انتهى بي المجلس، وأنا في هيئة السَّفرِ، فلما كاد المجلس أن ينقضي قال لي: مَن الرجلُ؟ قلت: «باغي أدب». قال: أهلاً وسهلاً، مِن أين تكونُ؟ قلتُ: من المغرب الأقصى. وانتسبتُ له إلى قرطبةَ. فقال لي: دارُ القومِ؟ قلتُ: نعم.

**تنبيه ثالث: صورة الشاعر:**

يقدم لنا سؤال عباس وسماعه، وارتحاله للقاء الشاعر، صورة عنه، وهي الصورة نفسها التي نجدها عند المرتحل إليه. فهما معاً متعطشان للسؤال، ومعرفة أخبار الشعراء في القطر الذي يوجد فيه كل منهما.

4. سماع وتقدير:

يعرف أبو نواس شعراء الأندلس، يسأله عن بعضهم، ومن بينهم عباس الجزيري. سأله أولاً عن أبي المخشي قائلاً: أتروي من شعر أبي المخشي شيئاً من الذي قاله عندكم؟ قلتُ له: نعم. قال: فأنشدني. فأنشدته شعره في العمى، فلما بلغتُ:

كنت أبا للدرى إلَّا الدُّرا ... ما فقأتْ عينيَّ إلَّا الدُّنا

قال: هذا الذي طلبتُه الشعراءُ فأضَلَّتْه. ثم قال: أنشدني لأبي الأجرب. فأنشدته، ثم قال: أنشدني لبكرٍ الكناني. فأنشدته، قال: شاعرُ البلدِ اليومَ عباسُ بنُ ناصحٍ؟ قلتُ: نعم. قال: فأنشدني له. فأنشدته:

فأدتْ القريضَ ومَن ذا فأد

**تنبيه أخير: لا يعرف العظيم إلا العظيم:**

قال لي: أنت عباس؟ قلتُ: نعم. فنهض إليَّ فتلقَّيتُه، فاعتنقني إلى نفسه، وانحرف لي عن مجلسه، فقال له مَن حضر المجلسَ: «مِن أين عرفتَه - أصلحك الله - في قسيم بيت؟». قال: «إني تأملتُه عند إنشاده لغيره، فرأيتُه لا يبالي ما حدث في الشعر من استحسان أو استقباح، فلما أنشدني لنفسه استبنتُ عليه وَجْمةً»، فقلتُ: إنَّه صاحبُ الشعرِ. قال عباس: ثم أتممتُ الشعرَ، فقال: هذا شعر الغَربِ. ثم نقلني إلى نفسه، فكنتُ في ضيافته عاماً، ثم قدمَ عباس الأندلسَ، فتكرر على الحكم بن هشام بالمديح، ثم تعرض للخدمة، فاستقضاه على الجزيرة.

5. نقد الشعراء:

رحلة في طلب لقاء شاعر والاستماع إليه، ولشراء الكتب كما أمره بذلك الأمير وهو يجهز نفسه للرحلة دال على مستوى حضاري راق. مجلس أبي نواس، وما يتميز به من مقومات الرفاهية، والتمدن، دليل آخر على ما وصلت إليه بغداد. السؤال عن منازل أبي نواس والوصول إليه بسرعة، وهو في لباس السفر، يبرز التلهف على اللقاء. صيغ مثل:

- «هذا أشعرُ الجنِّ والإنسِ».
- «هذا الذي طلبتُه الشعراءُ فأضَلَّتْه».
- و«إني تأملتُه عند إنشاده لغيره، فرأيتُه لا يبالي ما حدث في الشعر من استحسان أو استقباح، فلما أنشدني لنفسه استبنتُ عليه وَجْمةً».
- و«هذا شعر الغرب»، كلها دليل على معرفة متبادلة، وتقدير للعظيم والجليل، وقدرة على تمييز الكلام، وإدراك سبك مبانيه وعمق معانيه.

كانت رحلة شاعر عظيم بحثاً عن شاعر عظيم، فكانت الضيافة عاماً كاملاً. أليس في هذا خير دليل على اللقاء العميق بين المشرق والمغرب، حين كان التقدم صفة أمة، والتواصل صلة رحم؟

**خالد عمر بن ققة**
إعلامي - الجزائر

# كُتُب تراثيّة.. قراءة معاصرة

## «مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام».. توصيف «للطيْر الرسائلي»

«تشدنا كتب التراث إليها، وتقتحم حياتنا المعاصرة، فنسائلها وتسائلنا، وأحياناً تشكل لدينا مرجعية للأفكار والأطروحات والدراسات، وفي كل ذلك تأسيس للمعرفة عبر المطالعة، إذا ما تفادينا الاستغراق في قضاياها، أو اتخاذ موقف الخصومة أو العداوة منها، وبحثنا عن سبل استحضار ما جاء فيها، بما تمثله من امتداد زمني وتراكم ثقافي، وتفاعل بشري، من خلال قراءة واعية، تمكننا من توسيع مجالات المعرفة ومتعتها بما تحمله من اتفاق أو اختلاف مع قضايانا المعاصرة، على النحو الذي نقدمه هنا في قراءة كتاب: (مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام)».



في الأرض التي نعيش عليها ـ والتي منها خرجنا وإليها نعود ـ تشاركنا الطيور، وجوداً وحضوراً، حياتنا، ومنها تعلمنا كثيراً من الأمور الحياتية، بدءاً من دفن موتانا، وليس انتهاء بصناعة الطائرات المدنية والعسكرية.

ولم يكتف الإنسان بالتعلم منها، بل إنه اقتحم عوالمها، إما لاصطيادها أو الدراسة وإجراء التجارب عليها، أو تعليمها حتى تمسك له ما عجز عنه من الحيوانات، ناهيك على أنه استأنس الكثير منها، سواء لأكلها أو للتمتع بجمالها، كما أفرغ عليها في أحيان كثيرة بعض ما بنفسه من توقع للخير والشر، تفاؤلاً وتشاؤماً، وذلك انطلاقاً من تجارب مر بها، فيها من الخرافة مثلما فيها من الحقيقة الكثير.

إذن، هناك علاقة بيننا وبين الطيور، الحقيقية منها والوهمية، لها سمات خاصة تميزها عن علاقتنا بالحيوانات الأخرى، من ذلك تحميلها ما بداخلنا من معاناة وأوجاع، على النحو الذي تحدث فيه الشاعر أبو فراس الحمداني عن الحمامة وهو في السجن، حين قال:

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ أيا جارتا هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببال

ويأتي ذكر الحمام هنا دون الطيور الأخرى، من واقع قراءتنا كتاباً تراثياً، أعاد فيه مؤلفه تذكيرنا بدور الحمام في حياة البشر، وتحديداً في الجانب الخاص بالاتصال، ليس فقط لأنه يمثل منجزاً بشرياً في التاريخ، من حيث تطويع الحمام وتدريبه لخدمة الإنسان، إنما لأن دور الحمام يمثل نوعاً من المشاركة العملية في إجراء الاتصال بين البشر في السلم والحرب.

سلوستر دو ساسي

### حمام نوح.. وسلطان الزمان

الكتاب الذي بين أيدينا عنوانه «كتاب مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام» تأليف ميخاييل بن نقولا بن إبراهيم الصباغ، وقد طبع سنة 1805م في باريس بدار المطبعة السلطانية، ونص الكاتب مرفقاً بترجمة من العربية إلى الفرنسية للمستشرق سلوستر دوساسي، وقد اختلط فيه النص العربي مع النص الفرنسي المترجم، وربما يكون ذلك بهدف مساعدة القارئ الذي يجيد اللغتين للمقارنة بين النصين، إضافة لذلك فإن الصفحات الأخيرة للكتاب، شملت بعض الكلمات العربية مع تعريف وشرح مفصل لها بالعربية.

من السطور الأولى في الكتاب يضعنا المؤلف في صلب الموضوع، حيث يعطي للحمام بعداً إيمانياً من ناحية الدور، كما هي في قوله: «الحمد لله الذي هدى نوحاً في حيرته حين كان في السفينة لإرسال الحمام، ووفا برسالته الأمينة، إذ جاءه بدلالة تنبئه عما بقي من فعل الغمام..» (7)، وهو هنا متسق مع ما جاء في ميراث أتباع الكتب السماوية، وربما أيضاً مع ما ورد في التراث الإنساني الخاص بالطوفان.

والكاتب يقرّ في مقدمته بأن الله، سبحانه وتعالى، ميز الإنسان بالعقل على سائر مخلوقاته، لكنه خصّ هذه الأخيرة أيضاً بميزات مختلفة، وعن ذلك يقول: «.. نحمد خالقنا الذي، وإن فضل الإنسان على غيره بالعقل والكلام، فقد خص أيضاً كل ذي جسد من غيرنا بمزايا توجبنا أن نقوم به أحسن قيام حمداً طالما هدر حمام وغرد يمام» (ص9).

وبعد أن يدعو لسلطان الزمان المعظم ـ كما يقول ـ نابليون سلطان سلاطين سلطنة فرنسا بدوام بقائه، ونكس أعلام أعدائه، يذكر خلفية تأليفه لكتابه هذا، حيث إنه كان في مجالسة مع حشد التأم فيه من كل عالم لبيب، وشاعر أديب، ومنطقي بليغ، وناشئ فصيح، وعاقل رجيح، أفضت بهم إلى مذاكرة الأشعار باللغتين العربية والفرنسية، وكلفوه بنظم بيتين يضمنهما مراسلة عاشق، إلى أليف مفارق، فأنشد الآتي:

رح يا حمام إلى الحبيبة مسرعاً  وآت الجواب فإنني مجنون
هاك الكتاب بياض عيني والسوا  د مداده ثم السلام حنين

وحين ترجم للحاضرين البيتين، استحسنوا التشبيه، وتساءلوا: هل شعراء العرب يشبهون الحمام بالساعي أو الرسول؟ ولِمَ أخصوه بهذا التشبيه دون غيره من الطير؟ فكانت إجابته: «إن هذا ليس تشبيهاً ولا مثالاً، ولكنه الحقيقة»، لكنهم انتهوا إلى حال بين مصدق ومعلل، ومكذب ومتعلل، وبعد أن ذهبوا قرر أن يؤلف هذا الكتاب، وعن ذلك يقول: «.. بعد ذهابهم فكرت بانذهالهم، فأخذتني الحمية حتى أني هجرت النوم في ليلتي، وألفت هذه الرسالة، وسميتها مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام.. وقد جعلتُها خمسة فصول» (ص 17).

الأصمعي

**ذوات الأطواق**

ينطلق الكاتب ميخاييل بن نقولا من موقف حضاري، يقوم على فكرة إثبات أهمية الحمام، من منطلق اختيار العرب له رسولاً، وبدأ في الفصل الأول بتعريف الحمام والمقصود منه، وذكر أن التعريف اللغوي لكلمة «الحمام» عند العرب، ينتهي إلى أنه اسم لكل ذوات الأطواق، وأنه يقع على الذكر والأنثى، كما ذهب إلى ذلك الجوهري، في حين ذكر الفيروزآبادي أنه لا يقال الذكر حمام، بينما اعتبر الأصمعي أن اليمام هو الحمام الواحدة.

ويعود المؤلف إلى تأكيد التعريف السابق، وهو أن كل ذات طوق حمامة بغض النظر عن لون الطوق، يضاف إلى ذلك أن كل طائر ـ كما قال الإمام الشافعي ـ عب الماء عباً فهو حمام، وليس منه من شرب الماء قطرة قطرة.

ويذكر الكاتب أن المقصود هنا الحمام الذي يألف ويستفرخ في العمار، وهو نوعان، أولهما البري، الذي يلزم البروج، وهو كثير النفور، والثاني: أنواعه مختلفة وأشكاله متباينة، وهو يألف البيوت والمحال المستو طنة.

وتحدث الكاتب في الفصل الثاني، الذي حمل عنوان: «في أحسن أنواعه وطباعه ومزاجه» استعان بما ذهب إليه الأقدمون، كما في قوله: «قالت العراقيون أقربه للألفة وأفطنه للتعليم وأحسنه الأبيض المطوق، وهو كثير الحرص، فطن، يحمل الكتب جائزاً بها بلا كراهة ولا توانٍ..» (27). وأيّد ذلك بقول بعض العلماء إن من طبعه طلب، وكره من ألف فرسخ يحمل الأخبار، ويأتي بها من المسافات البعيدة في المدة القريبة.

وتطرق إلى رأي بعض العلماء في الحمام من الناحية الفقهية، منها قال الإمام الشافعي: «إنه يجوز المسابقة به، لأنه يحتاج إليه في الحرب لنقل الأخبار.. وإنه يجوز بيعه مرسلاً؛ لأنه كالعبد المبعوث في شغله..» (ص 29). كما جاء على ذكر رأي ابن قتيبة، في كتاب «عيون الأخبار»، القائل: «لم أر شيئاً في الرجل والمرأة إلا رأيته في الحمام»، وأيضاً ما ذهب إليه بعضهم: إنه مثل الإنسان يستعمل التقبيل.

وانتهى في هذا الفصل إلى التعريف بكيفية الاستفادة من لحم الحمام، مستشهداً بقول أرسطو من أن الحمام: «يعمر ثماني سنوات، لحمه حار يابس، وهو جيد للكلى، يزيد في المني والدم، إذا اكتحل بدمه ساخناً نفع من الجروح والقروح العارضة في العين، ودمه أيضاً يقطع الرعاف، وإذا شُقت الحمامة وهي حية ووضعت وهي ساخنة على فهشة العقرب أبرأتها» (33).

**أيام نور الدين زنكي**

في الفصل الثالث، الذي حمل عنوان «في أول من أرسله، ومن بعده بالتوالي»، يعود إلى تأكيد ما ذكره في المقدمة من نبي الله نوح، عليه السلام، هو أول من أرسل حمامة لينظر أمر الماء، لتخبره كيف الحال عنه، ويرى أن هذا الرأي تقول به كل الملل، ففي الأولى رجعت إليه أبية خالية، وهذا دلالة على أنها لم تر مكاناً تضع فيه رجليها، وفي الثانية جاءته بعرق زيتون لتعلّمه انكشاف رؤوس الشجر ووفت بأمانتها، ثم بعده اتخذتها القرى ـ وهم قوم لوط ـ للمراسلة بينهم، كما قال ابن سفيان الثوري، إلى أن جاءهم الغضب.



ثم يقفز قروناً بعد ذلك ليصل بنا إلى العام 1146م إلى زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، حيث كان أبوه السلطان عماد الدين زنكي محاصراً قلعة جعبر، وكان ابنه نور الدين المذكور معه، فأصبح يوماً نور الدين، فوجد أباه مقتولاً في فراشه، قد قتله خادم له، فأجمع رأيه على أنه ترك قلعة جعبر، وقام بمحاصرة حلب فأخذها، وحاصر دمشق واستولى عليها، وجعلها كرسي مملكته، وأخذ بعدها حمص وحماة وغيرهما، ثم مناظرة بغداد، وكثيراً من بلاد الروم، وبعدها جملة من حصون الإفرنج، وكان الملك المنصور شيركوه عم صلاح الدين، وكذلك هذا الأخير في خدمته، فجهزهما بالجيوش وأرسلهما إلى مصر ثلاث دفعات إلى أن ملكها.

أرسطو

ولما استقرت له الأمور وضربوا له السكة باسمه، وخطبوا على اسمه بالمنابر من حدود النوبة إلى أطراف همذان.. جعل يفكر في اتساع مملكته وامتدادها مع رغبته في سرعة وصول الأخبار من أقطارها، فأمر حينئذ بأن يتخذ في كل قلعة وحصن من جميع بلاده، لكي تحمل الرسائل إلى الآفاق في أقرب وقت مع بعد المسافة ووصولها للمحل الذي يقصده ورجوعها إليه، وقد أجاد في ذلك، وانتظم له ما أراد في كل مدة حياته.

ويرى الكاتب أن استعمال الحمام في نقل الرسائل ترك بعد ذلك إلى أن قام في بغداد الإمام الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله في سنة 1179م، واعتنى بحمام الرسائل، ورغب ذلك حتى كان جاعلاً لكل طير من الطيور اسماً، وكان يكتب في البطاقة اسم الحمامة التي متوجهة بصحبتها «وتغالوا به أهل زمانه إلى أن صار يباع الزوج الراشد بألف دينار، مع كثرة وجوده لكثرة من يربيه ويعلمه..» (ص 43).

واستمر الأمر بعده إلى زمن الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة 1242م، فغرم بالحمام غراماً كلياً، وبقي ذلك إلى سنة 1258م، حتى هجم المغول على بغداد، فترك أمر الحمام، واستمر الأمر حتى مجيء الأتراك إلى البلاد العربية.

**سابقة الريح**

يذكر الكاتب أن شيخه الأجلّ يوسف الخراشي أبلغه ذات يوم من عام 1790م، أنه نزل عندهم في الأزهر برواق الأعجام رجل من نواحي تركستان، أخبره أن بعض أكابر تلك الأطراف لا يزالون يعتانون بالحمام، ويستخدمونه إلى الآن، ويضيف: أعقب شيخي حديثه بعد ذلك، بقوله: «إن من الإنس والجن شياطين، والحمام شياطين الطير؛ لأن نبينا، صلى الله عليه وسلم، دعاه شيطاناً، وذلك مذكور في سنن أبي داود وابن ماجة والطبراني وابن حياد بإسناد جيد عن أبي هريرة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، رأى رجلاً يتبع حمامة، فقال: يتبع شيطانه، وفي رواية شيطان يتبع شيطاناً».

وبيّن في الفصل الرابع، أساليب تربيته وتعليمه، وكيفية إرساله بالطاقة، ومتطلبات ذلك، ويطرح كثيراً من المعلومات بخصوص ذلك، لا ندري إن كانت مؤسسة على قواعد علمية، لكن المؤكد أنها بنت تجارب خاضتها البشرية، خاصة في منطقتنا العربية، وذلك منذ القرن الحادي عشر الميلادي.

ولكي يدلل على أهمية ما سرده في موضوع الحمام الرسائلي، وتاريخه الطويل الحافل لدى العرب، كونهم من أوائل الأمم التي عرفت أهميته وتربيته، واهتمت بأنسابه، ووضعت الكتب والدراسات في طبائعه وأمراضه وعلاجه، أورد بعض ما قيل فيه شعراً ونثراً في الفصل الخامس، الذي حمل عنوان: «في بعض إنشاء وإنشاء قالته به العلماء المتقدمون»، من ذلك ما أنشده شعراً أبو أحمد القيرواني:

عجب تفوت الريح في طيرانها  كاللمح بين غدوها ورواحها
تأتي بأخبار الأمور سريعة  مسير شهر تحت ريش جناحها

والمدهش أن المؤلف لم يأتِ على ذكر عبارة «الحمام الزاجل»، الذي تقول المراجع التاريخية إنه استعمل في الأغراض الحربية في عام 24 قبل الميلاد، وربما يعود ذلك إلى كون المؤلف أراد أن يثبت للمثقفين الفرنسيين، أن العرب محقين، حين اعتبروا في أشعارهم الحمام رسول الحب.

# التراث العربي
## وحكمة الخلود

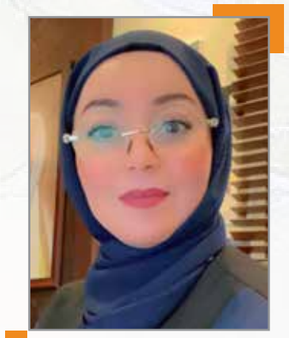

**عائشة مصبح العاجل**
كاتبة وإعلامية - الإمارات

التراث العربي في جوهره تكمن الحكمة المتوارثة عبر الأجيال، والتي تحمل الخبرات وأفضل الممارسات الإنسانية التي مر بها العربي خلال حياته في كل البيئات (الصحراوية، الزراعية، الجبلية الساحلية وغيرها...)، وعلى مجمل التحولات الفسيولوجية، الجيولوجية، البيئية، الديمغرافية والكونية والإنسانية خلال قرون الزمان.

وقد حاز التراث العربي، خاصة الأمثال الشعبية التي تكتنز حصيلة الإرث الفكري والمعرفي والثقافي والحياتيّ، متمثلاً في عبارات بليغة المعنى، مركز المقصد، وناجزة في إيصال الفائدة والمنفعة، تساعد على إيصال المعاني والصور وكنوز الحياة بصورة واضحة، وبطريقة مائزة ومنمقة.

في دولة الإمارات شاع المثل في التراث العربي كبقية الدول العربية، وتقاطع مع دول الخليج في كثير من سماته وخصائصه ودلالاته؛ لتشابه البيئات والثقافة العامة، واعتبر بمثابة بلاغة الحكمة من خبرات السنين، والتي غالباً ما تأتي على لسان كبار السن أو ذوي الشأن في التعليم والتدريب والنصح، ومن الأمثال الشائعة ما جاء ذكره على لسان المغفور له، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مؤسس دولة الإمارات: (من ليس له ماضٍ ليس له حاضر)، وهو الدرس الذي تربى عليه أبناء الإمارات في الحفاظ على الموروث الثقافي والإرث الفكري والتراثي، والعودة للجذور، والتأصيل في كل أمور الحياة، من أجل حاضر تزهو وترتقي به إنسانية الفرد في المجتمع، كما أن دروس الماضي عِبرٌ للحاضر، واختصار للمراحل؛ حيث إن الحكمة الساكنة في لُبِّ الأمثال فرصة لحياة كريمة، وسبيل لبلوغ المعالي وصولاً للفضاء والتقاء الآخر ثقافة وفكراً، والتقارب مع الأفكار وتلاقحها عبر العالم والمجرات، من أصْلٍ أصيلٍ مُغرق في تفاصيل ماضيه، مرتبط بحاضر لصيقٍ بأفق التنوير والتطوير والتحضر والمدنية والإنسانية في الواقع والافتراض.

إن إبقاء صورة الماضي بتجلياتها ومفرداتها، وإحياء طقوس العيش في ذاك الزمان، من خلال الأيام التراثية في الشارقة، والفعاليات التراثية التي تقام بشكل دوري في كل إمارات الدولة، لهو دليل على ترابط أفراد المجتمع ورغبتهم الجامحة في معرفة المزيد عن الماضي الجميل، وتفقد الصور والتفاصيل والحنين إليها من قبل من عايشوا تلك الفترة من ذاك الزمان؛ وبما يحقق الرؤية من المثل في خلود الحكمة والارتباط بالمبدأ والأصل، وتكريم الرواة وحملة التراث، باعتبارهم كنوزاً بشرية حيّة، والباحثين البارزين في مجال التراث الثقافي.

كما أن هناك اهتماماً في دراسة وتحليل الأمثال الشعبية من قبل ذوي الاختصاص، ما يؤكد أهمية هذا المقصد في التراث العربي الذي يدعم صيرورة الإنسان الأصيل وتخليد الحكمة.





# المئنات والمذكار

**د.محمد الجويلي**
أكاديمي - تونس

نعلم من خلال مدوّنات التراث المدوّن والشفوي منه، أنّه على عكس كراهية العرب لولادة الإناث منذ قديم الزمان، التي أشار إليها القرآن الكريم، هذه الكراهية التي وصلت ببعضهم إلى وأدها قبل مجيء الإسلام، كان هؤلاء يحبّون المئناث من ذكور الحيوان ويبجّلونه، وليس ثمّة ما يسعدهم أفضل من أن تتكاثر ولادة الإناث في قطعانهم، فكان يستحبّ لديهم في التيس والكبش والجمل وغيرها من ذكور الحيوان الأهليّة، أن يكونوا مئناثين، والمئناث منهم أي الذي يُنتج عنه كثير من المواليد الإناث، على عكس المذكار، يكتسب وجاهة وحُرمة، ويحظى بالتبجيل لدى مالكه. كانت العرب كما يقول الجاحظ تُخصي فُحولة الإبل لئلّا يأكل بعضُها بعضاً، وتستبقي ما كان أجْود ضِراباً، وأكثر نسْلاً، وكلّ ما كان مئناثاً وكان شاباً ولم يكُن مذكاراً، وهم يُسمّون المذكار «المحْقَ الخفيّ»؛ لأنّ في اقتصاره على ولادة الذكور دون الإناث انقطاع النسل وذهاب اللبن. ومن ثَمّ أطلقوا على الجمل الفحل الذي يُنتج له سبع إناث متواليات صفة الحامي؛ لكونه بولادة الإناث واحدة بعد أخرى وصولاً إلى السبع، يكون قد أفلح في أن يحمي ظهره، فيُهمل ولا يُطرد عن ماء ولا مرعى، وتبعاً لذلك يحظى بالوجاهة نفسها والمعاملة الخاصة التي تحظى بها السائبة وهي الناقة التي تبطن عشرة أبطن إناث، فتهمل ولا تُركب، ولا يُجزّ وبرها، ولا يُشرب لبنها، إلّا لضيف، وكذلك الوصيلة؛ أي الناقة التي تبكر فتلد أنثى، ثم تثنّي بولادة أنثى أخرى ليس بينهما ذكر، أو التي تصل بين عشرة أبطن لا ذكر بينها. لم يكن العرب ليحتفلوا بولادة الأنثى، ويتمنّون الإكثار منها، ويحتفون بمَن ولدها في الحيوان، لو لم يكونوا يعلمون علم اليقين أنّ العبء الأكبر في تجديد النوع يقع على كاهلها بالحمل والولادة والإرضاع، وأنّه كلّما تكاثر عدد الإناث كبر القطيع، وازداد الكسب ونمت الثروة.

# جهود الشيخ سلطان بن محمد القاسمي في النهوض بالأدب

د. خالد بن محمد مبارك القاسمي
كاتب – الإمارات

مراود

دائماً ما يؤكد صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، أن الثقافة والأدب عامل أساسي في دفع عجلة التنمية والتطور وبناء الحضارات، وأن الثقافة والأدب العربي يشكلان محورين مهمين في نهوض الأمة العربية، وتحقيق تقدمها[1].

ومن الصعوبة بمكان حصر جهود صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، في النهوض بالأدب؛ لذا سنكتفي في هذا المقام بعرض بعض جهود سموه في هذا المضمار.



### مجلس كلباء الأدبي:

بتوجيهات صاحب السمو حاكم الشارقة تم إنجاز وافتتاح مجلس كلباء الأدبي، باعتباره منصة لتنفيذ أنشطة دائرة الثقافة، وتنشيط الحراك الثقافي والأدبي في مختلف مدن ومناطق الإمارة، حيث أنجزت دائرة الأشغال العامة بحكومة الشارقة مبنى المجلس وتأثيثه، وبلغت تكلفة المشروع 4 ملايين درهم، وتبلغ مساحة المبنى 950 متراً مربعاً[2].

### مجلس خورفكان الأدبي:

في شهر أكتوبر 2020، افتتح صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، مجلس خورفكان الأدبي.

ويعدّ المجلس أحدث الصروح الثقافية الداعمة للحراك الثقافي والأدبي في مدينة خورفكان، واستكمالاً لرؤية صاحب السموّ حاكم الشارقة الثقافية، وبناء إنسان الإمارة، حيث ينظم المجلس عدداً من الفعاليات والورش والندوات الثقافية، والأمسيات الشعرية، وملتقيات تجمع الأدباء ورواد الثقافة.

وصمّم المبنى على الطراز المحلي، ويشكّل قيمة جمالية تُضاف إلى بقية مباني المدينة، ويقع على دورين بمساحة 950 متراً مربعاً، ويضمّ مرافق عدة، منها: مسرح يسع 112 متفرجاً، ومجلس للشعراء يسع 52 شخصاً، ومكتبة تضم عناوين في مختلف الموضوعات في التاريخ والأدب والفنون، وضروب الثقافة والأدب، فضلاً عن المكاتب الإدارية[3].

### المجلات المعنية بالأدب

بناء على توجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي تم إصدار مجلات متخصصة في الأدب. ومنها:

### مجلة الرافد

مجلة شهرية ثقافية، تسلّط الضوءَ على أبرز الفعاليات الثقافية في إمارة الشارقة، إظهاراً للدّور الحضاري للإمارة.

### مجلة المسرح

مجلة شهرية، تُواكِبُ الأنشطة المسرحية في الشارقة، وتنشر المقالات، والحوارات، والتقارير والرسائل، ومراجعات الكتب من مختلف أنحاء العالم.

### مجلة الشارقة الثقافية

مجلة شهرية، تُعنى بتسليط الضوء على جوانبَ من المشهد الإبداعي العربي والعالمي، تُقدّمها تحت شعار: «الشارقة نافذة الثقافة العربية».

### مجلة القوافي

مجلة شهرية، تُسلّط الأضواء على الشعر والأدب العربي الفصيح، من خلال دراسات وحوارات صحفية وقراءات نقدية، وتفتح باب المشاركة لقصائد الشّعراء من مختلف الدول العربية.

### مجلة الحيرة من الشارقة

مجلة شهرية، مختصة في الشعر والأدب الشعبي، تنشر الإبداعات الشعرية، والرؤى النقدية، والتحقيقات والاستطلاعات، إضافة إلى المقابلات مع المبدعين، وقراءات الكتب والدواوين.

### مجلة الوسطى

مجلة شهرية ثقافية، من المنطقة الوسطى بإمارة الشارقة، تُعنى بالشأن التنموي والثقافي في مدن هذه المنطقة: (الذيد، البطائح، مليحة، المدام).

### مجلة الشرقية

مجلة شهرية ثقافية، من المنطقة الشرقية بإمارة الشارقة، تُعنى برصد ومواكبة المشهد التنموي الثقافي في مدنها: (خورفكان، كلباء، دبا الحصن) [4].

### إطلاق العديد من الجوائز لتشجيع الأدباء

بناءً على توجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، تم إطلاق العديد من الجوائز التي تشجع على المنافسة بين الأدباء والكُتّاب؛ لتقديم أفضل ما عندهم، ما كان له أكبر الأثر في الحراك الأدبي، ليس على مستوى الشارقة أو دولة الإمارات العربية المتحدة فحسب، ولكن على مستوى الوطن العربي ككل. ومن بين هذه الجوائز:

### جائزة الشارقة للإبداع العربي

انطلاقاً من توجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، واتساقاً مع جهود سموه في دعم الموهوبين من الكتّاب والكاتبات، في دولة الإمارات وفي أنحاء الوطن العربي الكبير، أطلق جائزة الشارقة للإبداع

العربي، والتي تخص المخطوطات المعَدَّة للإصدار الأول للكاتب أو الكاتبة، ولم يسبق نشرها في كتاب، وذلك في مجالات: الشعر الفصيح، والقصة القصيرة، والرواية، والنص المسرحي، وأدب الطفل، والنقد[5].

### جائزة الشارقة للتأليف المسرحي

تأكيداً لأهمية الكتابة والتأليف المسرحي في تنمية الحراك والفعل الثقافي والمسرحي، استحدثت دائرة الثقافة في عام 1996، جائزة التأليف المسرحي، استناداً للتوصيات التي أقرتها اللجان المنبثقة عن فعاليات مهرجان أيام الشارقة المسرحية، باعتبار أن المسرح مرآة المجتمع، وبالتالي فإن من الأهمية بمكان أن ينعكس واقع المجتمع مجسداً على خشبات المسرح المحلي، ولما كانت تلك التوصيات تتوافق مع الرؤى والتوجيهات السديدة لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، بضرورة دعم وتشجيع المبدع المحلي، ومد جسور التواصل معه لاستمرار إبداعه وتفاعله مع الوسط الثقافي والمسرحي، كانت الانطلاقة الأولى لجائزة التأليف المسرحي في عام 1996، تثميناً وتقديراً للكتاب والمبدعين المسرحيين من أبناء دولة الإمارات العربية المتحدة، ومواطني دول مجلس التعاون الخليجي[6].

### جائزة الشارقة للتأليف المسرحي المدرسي

تطرح إدارة المسرح بدائرة الثقافة في الشارقة، جائزة الشارقة للتأليف المسرحي المدرسي، كوسيلة من الوسائل التشجيعية والتحفيزية لأبناء دولة الإمارات العربية المتحدة ومواطني دول مجلس التعاون الخليجي والمقيمين فيه، لتقديم إبداعاتهم وتنمية قدراتهم، وتشجيع المواهب والارتقاء بها، وتزويد المكتبة المدرسية بنصوص مسرحية مميزة. وتصنف المسابقة إلى فئتين: فئة المعلمين والمعلمات، فئة الطلاب والطالبات[7].

1. سلطان القاسمي يقترح مشروعاً لترجمة الأدب العربي إلى اللغات الأخرى و«الاتحاد» يتبنّاه: مركز الاتحاد للأخبار، بتاريخ 21 يناير 2015، على الرابط الآتي: https://2u.pw/5iblSPWu
2. كلباء.. درة الشرق: جريدة الخليج، العدد (15226) بتاريخ 25 يناير 2021م.
3. سلطان يفتتح مجلس خورفكان الأدبي: موقع جريدة الخليج، بتاريخ 20 أكتوبر 2020، على الرابط الآتي: https://2u.pw/DKm6TDOZ
4. المجلات، دائرة الثقافة، الشارقة، على الرابط الآتي: https://sdc.gov.ae/ar/Publicationtype
5. جائزة الشارقة للإبداع العربي، دائرة الثقافة، الشارقة، على الرابط الآتي: https://sdc.gov.ae/ar/award/1
6. جائزة الشارقة للتأليف المسرحي، دائرة الثقافة، الشارقة، على الرابط الآتي: https://sdc.gov.ae/ar/award/6
7. جائزة الشارقة للتأليف المسرحي المدرسي، دائرة الثقافة، الشارقة، على الرابط الآتي: https://sdc.gov.ae/ar





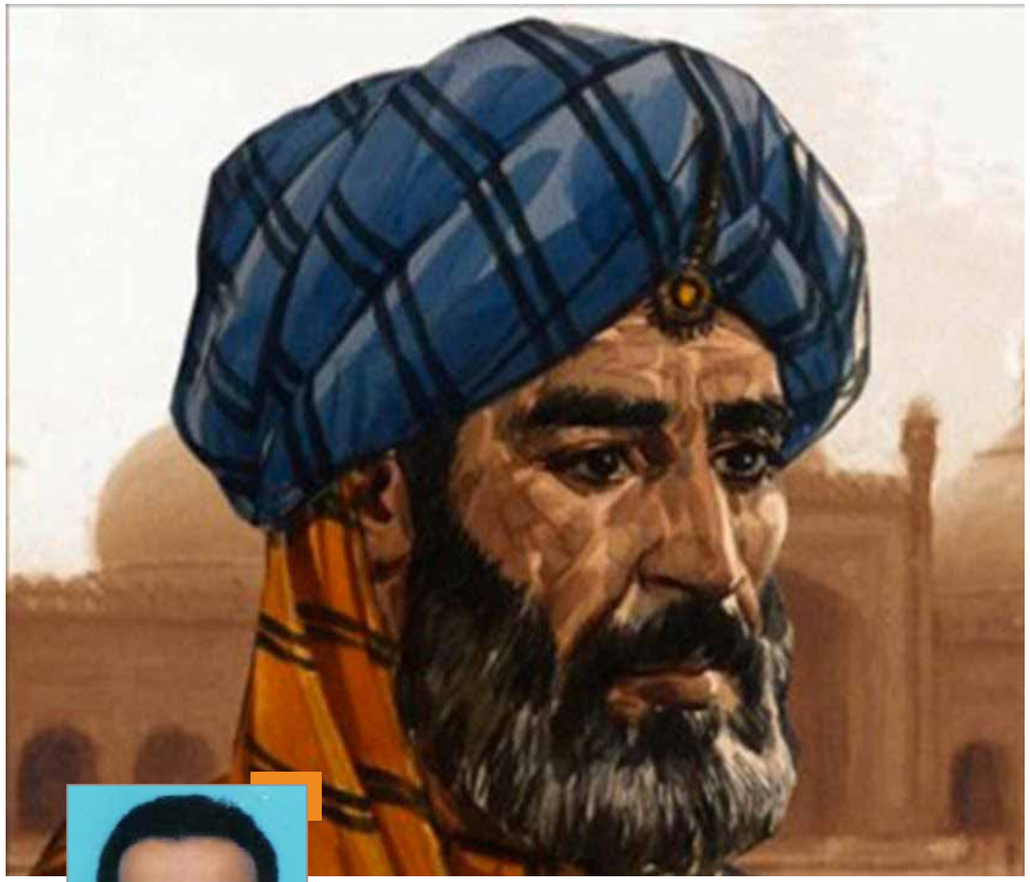

# مصطفى الأزموري..

## مغربي مشارك في استكشاف أمريكا

د. خليل السعداني
جامعة محمد الخامس بالرباط
المغرب

عرف المغرب خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر حالة من الانحسار والتفكك، كان من أبرز نتائجها اكتساح كل من البرتغال والإسبان عدداً من مدنه وثغوره في الشمال والجنوب على السواء، إذ سعى المستعمرون في إطار مخطط غزوهم إلى استنزاف كل خيرات البلاد. ولم يسلم السكان أنفسهم من هذا الاستغلال الشرس، إذ لجأ البرتغاليون في هذا السياق إلى استعمال وسطاء مسلمين ويهود

لاختطاف وقنص كثير من الناس وبيعهم كرقيق إلى الأجانب. وكانت أزمور التي احتُلّت سنة 1513 تمثل سوقاً حيوية للمتاجرة في العبيد وتسويقهم. والجدير بالذكر أن هذا الصنف من التجارة بلغ ذروته إبان مجاعة 1521، حيث دفعت الفاقة بعض المغاربة إلى بيع ذويهم وحتى أنفسهم مقابل الحصول على القليل من الأكل.

وقد كان من أولئك الذين سقطوا في براثين العبودية شخص يُدعى مصطفى الأزموري، إذ تم بيعه إلى قبطان إسباني اسمه أندريس دورانتيس دي كرانكا Andrès Dorantes de Carranca، والذي أُطلق عليه لقب إستيبانيكو Estebanico أو إستبانيو Estabanillo . ولا نعرف الشيء الكثير عن هذا الشخص غير كونه من مواليد أزمور. توجه هذا القبطان والأزموري بصحبة الحاكم بانفيلودي نارباييس Panfilo de Narvéz في رحلة استكشافية نحو العالم الجديد في يونيو 1527. وانطلاقاً من كوبا جهز الحاكم دي نارباييس أسطولاً من خمس سفن تحمل على متنها 400 رجل و80 حصاناً، وتوجه نحو فلوريدا في أبريل من السنة الموالية. وبعد أن أرست السفن بالقرب من خليج طامبا Tampa، انطلق الحاكم بصحبة 300 رجل فقط، يحذوه الأمل في اكتشاف مناجم الذهب، في حين قرر المائة الآخرون العودة خوفاً من الهنود. ومن هذه المنطقة توجه المستكشفون ومن بينهم الأزموري نحو الغرب، وصادفتهم مشكلات عديدة بفعل عداء بعض القبائل الهندية، وقلة الزاد، وصعوبة التحرك داخل مجال مطير، حيث تتكاثر المستنقعات التي تساعد على انتشار الأوبئة القاتلة والأمراض الفتاكة. فقد بلغ عدد إحدى هجمات الهنود على المستكشفين عشرين فرداً، ما اضطر الحاكم دي نارباييس إلى إنشاء خمسة قوارب قصد التوجه نحو المكسيك عبر البحر، ولم يبق آنذاك غير 240 فرداً. وأثناء هذه الرحلة التي استمرت نحو أربعين يوماً عانى المستكشفون الأمرين، نظراً لصعوبة الملاحة في خليج المكسيك، وقلة المؤونة والماء. وبعد تجاوز خليج موبيل Mobile، وعلى مقربة من مصب نهر الميسيسيبي، تعرض البحارة من جديد للهجوم من طرف الهنود، ما حتم عليهم العودة ثانية نحو المحيط. وقد أدت الرياح العاتية إلى تفريق القوارب عن بعضها بعضاً، باستثناء اثنين بمحاذاة لويزيانا لبضعة أيام، قبل أن ترمي بها العاصفة في نوفمبر 1528 نحو جزيرة كالفستون Galveston بالقرب من تكساس. وقد بلغ عدد الناجين ثمانين رجلاً فقط، وبعد ذلك بأسابيع قليلة أسلم معظم المستكشفين الروح، ولم ينج من الموت غير خمسة منهم، من بينهم الأزموري. كما توفي أغلب البحارة على ظهر القوارب الثلاثة الأخرى، نتيجة الجوع والبرد، ومن نجا من هاتين الآفتين لم يُفلت من سهام ونبال الهنود.

ذاق الأزموري ورفقاؤه مرارة العبودية، إذ تعرضوا للأسر من طرف قبيلة هندية. وكانت ظروف عيشهم صعبة للغاية، واضطروا إلى أن يقتاتوا على جذور بعض النباتات والمحار والطحالب. وتمكن أربعة من المستكشفين من الانسلال من هذه القبيلة في أبريل 1529، والتحقوا بأخرى؛ لكن وضعهم لم يتحسن خلال السنوات التي قضوها بين ظهرانيها، ولم يتمكنوا من الفرار إلا خريف 1534. وتوجهوا بعد ذلك نحو المحيط الهادي حتى وصلوا إلى كاليفورنيا الحالية، واستقروا إلى جانب قبيلة أخرى مدة ثمانية أشهر، وتعاطوا مهنة الطب. وكان لنجاحهم في إشفاء أحد المرضى أثره الحسن في نفوس الهنود الذين أطلقوا على الأزموري ورفقائه لقب أبناء الشمس. عقب ذلك، انطلق المستكشفون في مايو 1535 نحو المكسيك جنوباً حتى وصلوا إلى نهر ريو غراندي Rio Grande، ثم عادوا في خريف السنة نفسها، نحو الشمال حتى وصلوا إلى حدود جبال الروكي، ليتوجهوا في خطوة أخرى بعد ذلك نحو الهضاب العليا بالمكسيك في صيف 1536.

لقد تمكن الأزموري ورفقاؤه الإسبان، وهم أندريس دورانتيس دي كرانكا وألونصو دي كاستيو Alonzo de Castillo وكابيصا دي باكا Cabeza de Vaca الذين اشتهر بروايته حول الرحلة، من قطع مسافة تقدر بنحو 9000 كلم، 6000 كلم منها فوق الأراضي الحالية للولايات المتحدة الأمريكية، والبقية فوق أراضي المكسيك، وتعرفوا إلى ما يُدعى بولايات ألاباما ولويزيانا وتكساس وأريزونا والمكسيك الجديدة. وقد صادف وصولهم إلى المكسيك وجود أنطونيو مندوصا Antonio Mendoza الذي عُين منذ 1535 نائب الملك الأول لإسبانيا الجديدة.

وكان هذا الأخير يرغب في توجيه رحلة جديدة نحو شمال المكسيك، من أجل الكشف عن مدن سيبولا Cibola الأسطورية السبع، والتي كثر الحديث حولها بشبه الجزيرة الإيبيرية منذ قرون عديدة. وارتأى أن يوكل أمرها إلى المغامرين الأربعة، نظراً لما أبدوه من صبر وجلد وقدرة على ارتياد المخاطر. ولما رفض الإسبان المشاركة في الرحلة، لم يكن أمام الأزموري إلا الامتثال للأوامر، نظراً لوضعه العبودي. وكان عليه أن يقوم بدور المستطلع والمترجم في آن معاً.

وفي ربيع 1539، انطلق الأزموري بصحبة راهبين، هما الفرنسيسكاني ماركوس دي نيصا Marcos de Niza وأونوراتو Onorato ومجموعة من الهنود، وسرعان ما تخلى أونوراتو عن الرحلة لأسباب صحية. كانت مساعي الأزموري والراهب مختلفة، لأن هدف هذا الأخير كان متصلاً بالتنصير ليس إلا. وكان الأزموري أكثر معرفة بمجال الرحلة. وباعتباره مستطلعاً، فقد يسير أمام ماركوس دي نيصا، ويخبره عن كل شيء بوساطة مراسليه من الهنود. ففي مايو 1539، عبر الأزموري الحدود الحالية لجنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية بأريزونا، وكان أول من وصل إلى أراضي قبائل الزوني Zunis بالمكسيك الجديدة، معتقداً أنه وصل إلى مدن سيبولا الجديدة، حيث الجنة الموعودة والمعادن النفيسة.

وكانت نهاية الأزموري المملوءة بالمغامرات نهاية مأساوية، إذ لقي حتفه في السنة نفسها على يد قبائل الزوني، ما اضطر رفقاءه إلى العودة إلى المكسيك. ولا تزال الذاكرة الهندية تحتفظ بذكرى وصول هذا المغامر المغربي. أما الراهب ماركوس، فقد وضع تقريراً مغلوطاً أكد فيه وجود المدن الأسطورية، ما أفضى إلى إرسال بعثة استكشافية أخرى تحت قيادة فرانسيسكو باسكيس دي كورونادو Francisco Vàsquez de Coronado لم تفض إلى أي نتيجة.

لقد غيبت الكتابة التاريخية الغربية دور المغامر المغربي، وركزت فقط على قام به رفقاؤه ذوو السحنة البيضاء. بل تم وضع تمثال للكوكستادور كورونادو، على الرغم من أن الأزموري سبقه إلى التعرف إلى كثير من المناطق والتعريف بها. إن المطلع على تاريخ المنطقة، والمدرك لحجم وخطورة المصاعب والمعيقات الهائلة التي رافقت استكشاف القارة الأمريكية من طرف الأوروبيين، لا يسعه إلا أن ينظر بعين التقدير والإعجاب إلى هذه الرحالة المغربي المغمور، الذي أبدى صموداً ومقدرة نادرين لعقد من الزمن، في مواجهة مختلف التحديات الطبيعية والبشرية التي اعترضت سبيله عبر طول الرحلة التي قادته من المغرب ابتداء، ومروراً بشبه الجزيرة الإيبيرية، وأمريكا انتهاء.

نعرف الكثير عن الرحالة المغربي ابن بطوطة، ونجهل الكثير عن مصطفى الأزموري، نظراً لغياب دراسات تاريخية رصينة عنه؛ لذا قررنا أنا وزميلي الأستاذ أحمد الشكري، الشروع في إنجاز دراسة حول هذا المستكشف الفذ.

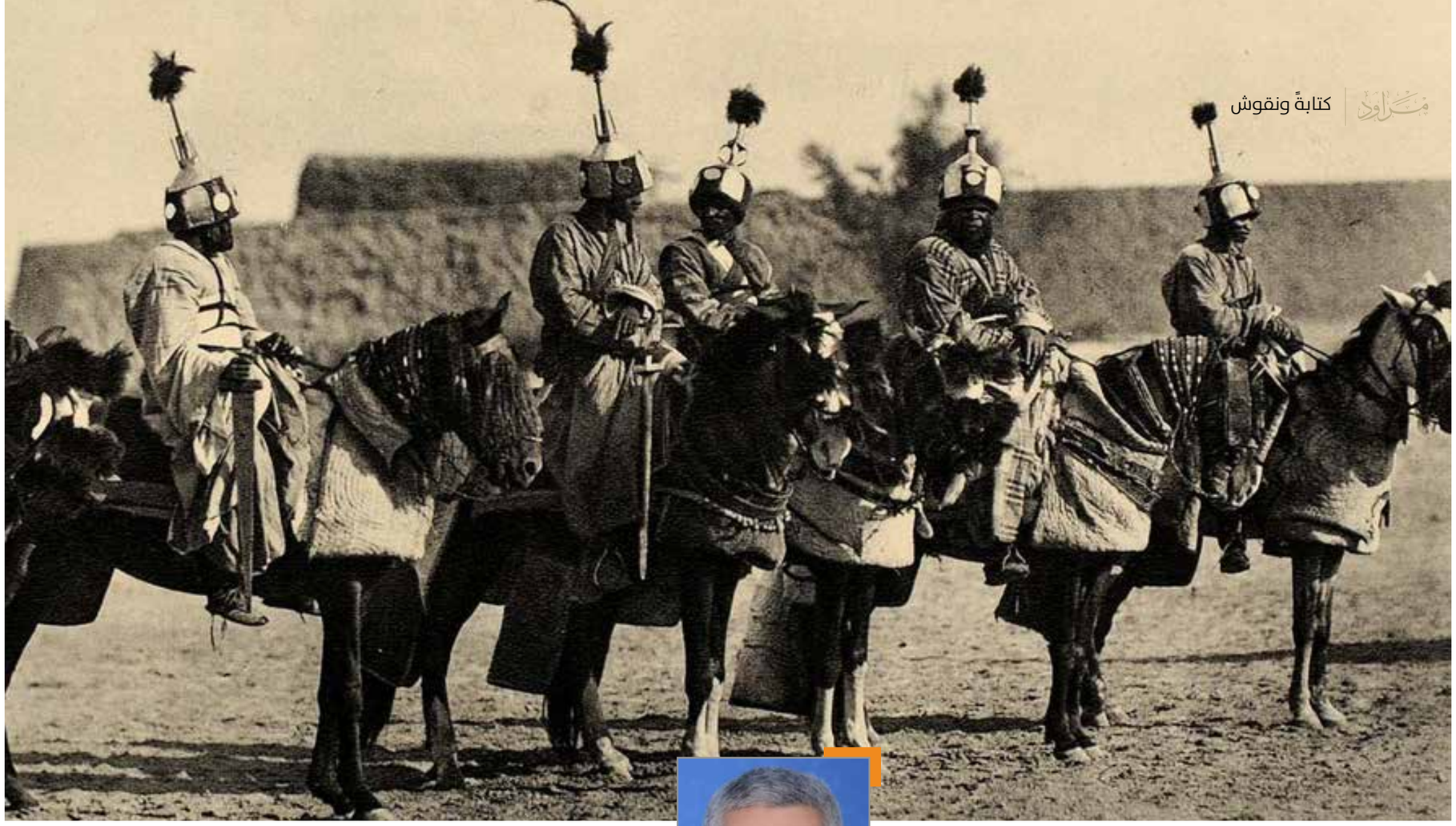

# مملكة كانم - برنُ
## بحوض بحيرة التشاد

**د. أحمد الشكري**
أستاذ التعليم العالي
بجامعة محمد الخامس بالرباط

حين استعراض لائحة الدراسات المنجزة حول إفريقيا منذ مطلع القرن العشرين، يلاحظ أن منطقة غرب إفريقيا حازت عناية بالغة مقارنة مع بقية الجهات. وهذا ما يفسر هيمنة الباحثين المنتمين للمنطقة المذكورة في التأليف الموسوم بـ«تاريخ إفريقيا العام»، الذي أصدرته منظمة اليونسكو خلال العقدين من القرن الماضي. وباعتبار هذا الخلل، تجد الدارسين متطلعين ومتشوقين لاستقبال أعمال جديدة ورصينة، تهم بقية جهات قارتنا، خاصة إذا تعلق الأمر بقلب منطقة الساحل (حوض بحيرة التشاد)، أين تقع مملكة كانم - برنُ.

وقد شاءت الأقدار أن أتعرف إلى باحث فرنسي مطلع شهر مارس من سنة 2017، اسمه ريمي دوبير (Rémi Dewière)، سبق له أن انشغل بتاريخ مملكة كانم - برن خلال العصر الوسيط والحديث، فأهداني نسخة من عمله باللغة الفرنسية، صدر قبل شهر واحد من لقائنا، يحمل عنوان: من بحيرة التشاد إلى مكة: عالم سلطنة برن خلال القرنين 16-17م، منشورات السوربون 2017. وأصل العمل أطروحة جامعية أعدّها سنة 2015 برسم نيل الدكتوراه بالسوربون 1: باريس. وبالنظر لأهمية الدراسة، ارتأيت تقديمها للقارئ العربي، خدمة لحقل الدراسات الإفريقية.

تقع الدراسة في 469 صفحة، مقسّمة إلى أربعة أقسام أو أبواب، كل واحد منها يشمل فصلين، فبات لدينا ثمانية فصول وخاتمة؛ وفضلاً عن كلمة العرفان والمقدمة ثم التمهيد، فقد ذيلها بمجموعة من الملاحق المهمة، ناهيك عن فهرس الأعلام البشرية والجغرافية مع ثبت لائحة المصادر والمراجع، ثم لائحة الخرائط والبيانات المستعملة. وبغض النظر عن مواقف الباحث وطبيعة المنهج المعتمد لديه في صناعة عمارة الدراسة، فإن كل متمرّس بتاريخ إفريقيا، يدرك من خلال اللوائح البيبليوغرافية والملاحق المنوه بها (أكثر من 120 صفحة)، أننا أمام عمل أكاديمي رصين وجاد، يستحق كل التنويه والإشادة.

**فك الارتباط ما بين كانم وبرن**

في مبادرة تحمل أكثر من دلالة، حاول الباحث منذ الصفحات الأولى التي عقدها للتقديم ثم التمهيد، استعراض موجز لتاريخ سلطنة برن، شمل التفاعلات المتعددة الأبعاد لبرن مع محيطها الجهوي والدولي، وذلك من مرحلة التأسيس إلى غاية تاريخ انهيارها واندثارها.

ارتبط تاريخ برنُ بأسرة سيفاوة التي كان لها دور سياسي مهم بمنطقة حوض التشاد من القرن الـ9 إلى القرن 19م؛ ويعود أصل الأسرة حسب الروايات التاريخية إلى سيف بن ذي يزن اليمني الحميري. وتفصح المصادر عن أن بداية أسرة سيفاوة كانت أول الأمر بكانم الواقعة شرق بحيرة التشاد، ثم سرعان ما اشتد عود الدولة، فعرفت أوجها هنالك خلال القرن الـ13م، خاصة أيام السلطان دونمة بن سلمة (1210-1248م). وانطلاقاً من العاصمة جيمي أو انجيمي، كانت كانم وقتئذ تبسط هيمنتها على الكثير من المحاور التجارية، خاصة بعد سيطرتها على واحات إقليم فزان (جنوب ليبيا حالياً). وخلال هذه الفترة بدأ سلاطين سيفاوة يتشوّفون لبسط هيمنتهم على إقليم بَرْنُ الواقع غرب بحيرة التشاد، بيد أنه بعد وفاة السلطان المذكور، دخلت المنطقة طيلة قرنين من الزمان في مرحلة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي، الناجم أساساً عن صراع سلاطين سيفاوة مع قبائل التُّبُ الرحل المنتشرين في منطقة التيبستي (شمال شرق كانم).

وخلال هذه المرحلة المظلمة بدأت بعض فئات كانم تتسلل وتهاجر نحو برن، وفي الوقت ذاته برزت سلطة جديدة منافسة في كانم، تعرف بأسرة بوللة (= بولالة)، الأمر الذي عجّل بالرحيل النهائي لسيفاوة في اتجاه برن، وذلك أيام السلطان عمر بن إدريس (1382-1387م). وإلى حين صعود السلطان علي بن دونمة (1465-1497م)، الذي وضع حداً لهذه المرحلة المضطربة، نلاحظ بداية تجدر سلطة سيفاوة في برن، حيث أسسوا دولة هنالك على الجانب الغربي من حوض بحيرة التشاد، استمرت قائمة إلى غاية نهاية القرن 18م.

وهناك عدد غير قليل من السلاطين الذين دمغوا هذه الفترة من العصر الحديث لدولة برن؛ نذكر منهم فضلاً عن علي بن دونمة (1465-1497م)، ابنه السلطان إدريس بن علي الذي اشتهر بغزوه لكانم. وتشير الوقائع التاريخية الخاصة بالقرن الـ16م، أن المرحلة عرفت نوعاً من الشّد والجذب فيما بين برن وكانم، فنجدهما تارة ينخرطان في صراعات عسكرية متلاحقة، وتارة يجنحان للسلم والأمن، فيستغلانه لتوطيد سلطتيها القائمتين في كل من برن وكانم؛ وقد يحدث أن تتم تزكية حالة السلم هذه بالمصاهرة فيما بين أعضاء الأسرتين الحاكمتين.

ويعدّ إدريس بن علي (1564-1596م) أشهر سلاطين برن، إحدى ثمرات هذه المصاهرة فيما بين سيفاوة وبولالة، وقد كانت له سفارات إلى المغرب على عهد السعديين وطرابلس وكانم والباب العالي؛ وبلغت شهرته منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر، إذ تحدثت عنه بعض المصادر التنبكتية. ومنذئذ، عرفت سلطنة برن أوج ازدهارها إلى غاية عهد عمر بن إدريس (1619-1639م)، وعهد ابنه علي بن عمر (1639-1677م). وخلال فترة الازدهار هذه، الممتدة من منتصف القرن الـ16م إلى غاية نهاية القرن الموالي، نسجل اجتهاد سلاطين المرحلة في القيام بأداء فريضة الحج؛ بالموازاة مع ذلك، عملوا على تطوير صلاتهم بطرابلس، والمغرب، ووداي، ودارفور، كما كانت لهم علاقات متميزة مع الإمارات الحوسية، أو تلك الواقعة جنوب برن مثل كاوروروفه (kwororofa)، التي لا نعرف عن تاريخها سوى النزر القليل.

وما نستخلصه من هذه الوقائع المتشابكة، أن بداية حكم أسرة سيفاوة كان بمنطقة كانم، حيث اتخذوا انجيمي عاصمة لهم، بيد أن الأسرة سرعان ما وجدت منافسة قوية من جانب بولاله المسلمين أيضاً، فاضطرت للهجرة من شرق البحيرة (= كانم) إلى غربها (= برن) في نهاية القرن الـ14م، وأقامت دولتها هنالك. وخلال النصف الثاني من القرن الـ15م، ومطلع القرن الموالي، تمكنت أسرة سيفاوة من ترسيخ دعائم دولتها ببرن، خاصة أيام السلطان علي بن دونمة (1465-1497م) وخلفه إدريس بن علي (1497-1519م). وصادفت هذه الفترة امتلاء بحيرة التشاد وتوسع ضفافها، بسبب عودة النشاط الهيدروليكي لأحد أهم روافدها المغذية: نهر كومادوگو يوبي (Komadugu Yobe). وقد استدعى الوضع الجديد نهاية القرن الـ15م، تأسيس عاصمة سياسية جديدة (بيرني غسركمو)؛ ما أهّل سلطنة برن لأن تلج عهداً جديداً خلال القرنين 16-17م، اتسم بالقوة والازدهار. ولعل أبرز مؤشر يترجم ذلك، تلك المحاولات الجادة من جانب سيفاوة لاسترجاع كانم وإزاحة الأسرة المنافسة (بولالة) من الساحة السياسية بمنطقة حوض بحيرة التشاد.

وإذا علمنا أن الباحث ريمي دوبير سيعود لاستغلال العناصر الإخبارية ذاتها على امتداد صفحات الدراسة، لا بد أن يقفز للذهن السؤال عن جدوى مثل هذه المبادرة. ونعتقد أن المؤلف حاول من خلال هذا الاستعراض الموجز (لأهم التطورات التاريخية التي عرفتها سلطنة برن) أن يزيح تلك الضبابية التي عادة ما نصادفها في الدراسات المتعلقة بحوض بحيرة التشاد، حيث لا يتم فك الارتباط فيما بين كانم وبرن، إذ غالباً ما يأتي الكلام عنهما جمعاً (كانم – برن)، أو ككيان سياسي واحد وليس اثنين (سيفاوة # بولالة).

مباشرة بعد استعراض تطورات الوضع الداخلي المحلي وتشابكاته الجهوية، تمّ استحضار تعقيدات الوضع الدولي وتأثيراته في إفريقيا خلال القرنين 16 و17م؛

ولعل أهم ما يشد المتتبع بهذا الصدد، تلك التحولات المهمة التي عرفتها ـ حينئذ ـ الخريطة السياسية للبحر الأبيض المتوسط. فقد اندفع العثمانيون برغبة جامحة في سبيل السيطرة على جلّ أجزاء الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وتمكنوا من بسط نفوذهم على مصر المملوكية (مقر آخر الخلفاء العباسيين) عام 1517م؛ ثم تابعوا سيرهم، واستطاعوا بعد صراع مرير مع الإسبان ـ استغرق عقوداً عدة من بسط هيمنتهم على الجزائر 1533م، وطرابلس1551م، وتونس في المرة الأولى عام 1569م ثم بصفة نهائية عام 1574م. وفي المنحى ذاته، تستوقفنا محاولاتهم تجاه المغرب الأقصى على عهد السعديين، غير أن معركة وادي المخازن عام 1579م، التي انتصر فيها المغرب على البرتغال، غيّرت موازين القوى بالغرب الإسلامي، فأوقفت طموحات الجيران، سواء تعلق الأمر بالإمبراطورية العثمانية شرقاً أو الإمبراطورية الإسبانية شمالاً؛ وبذلك، أضحى المغرب يفصل ما بين أكبر قوتين عالميتين في بداية العصر الحديث.

وأمام سياسة التوسع لدى الجيران، وجد المغرب نفسه مندفعاً لحماية عمقه الإفريقي، فكانت حملته المشهورة على مملكة سنغاي 1591م. وكان من نتائجها المباشرة، تزحزح المحاور التجارية الصحراوية نحو الشرق، ما سمح ببروز إمارات الحوسا (كانو وكاتشنة أو كاتسينة). وفي السياق ذاته، فإن وصول الأوروبيين إلى سواحل خليج غينيا أنعش التجارة الأطلنتية، وأسهم في ترسيخ دينامية التحولات على مستوى الصحراء الكبرى؛ كما أن تطور تجارة حوض التشاد مع البحر الأحمر أسهم بدوره في بروز قوى إسلامية في المناطق الفاصلة بينهما، مثل سنار ودارفور.

ومن الآثار الناجمة عن طرد المسلمين من إسبانيا نهاية القرن 15م، واجتهاد العثمانيين في بسط هيمنتهم على شواطئ البحر الأبيض المتوسط شرقاً وجنوباً، تأجج الصراع بين المسلمين والمسيحيين، ما فرض نوعاً من التجديد الإسلامي نجد له ترجمة واضحة في تزايد وتنامي الدور الاجتماعي والسياسي للطرق الصوفية، مثل القادرية والشاذلية. وتدريجياً، اخترق الإسلام الصوفي الصحراء، وأخذت تأثيراته تمس مجتمعات منطقة الساحل، بل امتد تأثيره ليشمل الأسر الحاكمة، أو بالأحرى السلطات السياسية هنالك.

ولما كان عنوان الدراسة يوجه عنايتنا نحو مكة المكرمة، ناهيك عن مقتضيات أفق انتظار القارئ العجمي، فقد كان طبيعياً أن تتصدر مسألة أو قضية الحج اهتمامات الباحث، حيث خصها بعناية بالغة، أحاطت بكل جوانب الرّكب الحجي البرنوي. وبالموازاة مع ذلك، اجتهد في إبراز ما يلاقيه الحاج في المجتمع البرنوي من احترام وتقدير، يجد ترجمته المادية في إعفائه من الضرائب ببلده بموجب مراسيم التوقير الصادرة عن السلطان، تُعرف بالمحارم (جمع محرم).

أخيراً، يمكن القول إن العمل الذي أنجزه ريمي دوبير عن حوض بحيرة التشاد خلال القرنين 16-17م، يعدّ من أهم الدراسات الأكاديمية الرصينة المُنجزة إلى يوم الناس هذا؛ ولنا أمل كبير في أن يتم تعريبه قريباً، رغبة في إغناء الخزانة العربية.

# فولكلور الطيور

أ.د. مصطفى جاد
عميد المعهد العالي للفنون
الشعبية بالقاهرة - سابقاً

فولكلور الطيور ينطوي على كثير من المعارف الشعبية المتوارثة التي تتوزع مهاراتها بنسب متفاوتة بين أفراد المجتمع.. فنجد من يهتم بالطيور من زاوية الطعام واختيار الأنواع الجيدة.. وقد ترتبط المعارف بمتعة سماع صوت الطيور وتمييزها، أو تقليد أصواتها، أو يكون على معرفة بلغة الطيور، فيستطيع استدعاءها بأصوات معينة فتلبي نداءه، سواء كانت طائرة في السماء أو راسية على الأرض لبعض الوقت، وهناك من يهتم بتربية الطيور، وآخرون تخصصوا بصيد أنواع منها. على حين يهوى بعضهم رسم أشكال الطيور، سواء كحالة إبداعية أو معتقد للحماية.

والطيور قد تكون أليفة كالحمام أو اليمام أو العصافير، وقد تكون جارحة كالنسور والصقور.. وفي جميع الحالات سنجد عالم الطيور شديد القرب جداً من عالم الإنسان، فلا يمر يوم دون أن يكون بيننا وبين الطيور علاقة ما، سواء بالنظر، أو السمع، أو الأكل، أو التفاؤل، أو التشاؤم...

وقد حرص الإنسان منذ القدم على أن يسمي نفسه بأسماء الطيور، فنجد أسماء مثل: غراب، والنسر، وعصفور، وبلبل، وباز، وشاهين، ووروار، وفرخ، وأبو زريق، وقمري.. إلخ. كما أن الطيور نفسها لها بعض القدرات التي لاحظها الإنسان، فأصبح طائر العندليب رمزاً للصوت الجميل، وعندما نمتدح صوت أحد المغنين نطلق عليه «العندليب»، وهو أشهر لقب ارتبط بالفنان الخالد عبدالحليم حافظ.. كما ارتبط الصقر بالقوة والجسارة، واستعير اسم الصقر لوصف جرأة الإنسان ونظرته القوية، يقال: عيونه كعيون الصقر، واستعيرت صفات الطاووس لوصف الإنسان المتغطرس، أو المغرور الذي يتباهى دوماً بنفسه أمام الآخرين، والحمام واليمام لوصف الإنسان الوديع الرقيق، أما أبو قردان فهو صديق الفلاح، كون أبو قردان أو «القمري» يتغذى دوماً على الحشرات والديدان والآفات التي تضر المحاصيل الزراعية. كما يتغذى على الطفيليات والقراد التي توجد على أجسام المواشي، ما يسهم في تحسين صحتها.. وهكذا يمكننا رصد التواصل الكوني بين الإنسان والطيور من حوله.

ولعل أقرب المعارف المرتبطة بالطيور في حياتنا اليومية هي تربية الطيور بأنواعها، وقد تكون التربية بغرض الطعام كتربية الدجاج، أو الحمام، أو البط، أو الإوز، أو الديوك.. وما شابه، أو تكون التربية لوظيفة جمالية كتربية العصافير الملونة، والببغاوات، وما شابه.. أو تكون الوظيفة اقتصادية كتربية الطيور لبيعها والاتجار فيها.. وقد تكون تربية الطيور من أجل صيد طيور أخرى كالصيد بالصقور.. إلخ. وهنا سنجد أننا أمام عالم من المعارف والمهارات حول أنواع الطيور وأعمارها، وأماكن بيعها، وطرائق تغذيتها. وإلى جانب

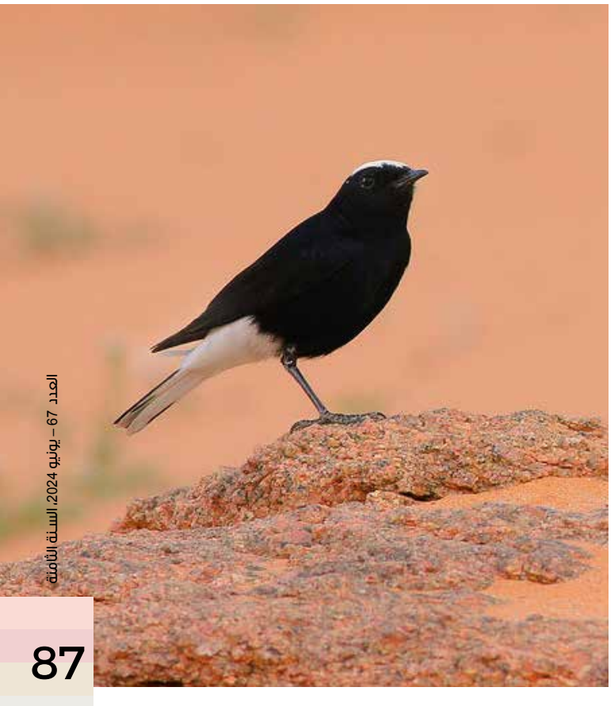

التعامل المنزلي مع الطيور، فهناك تعامل احترافي، مرتبط بمهن ووظائف متخصصة في أنواع الطيور، مثل الدجّايْجِي، وهو محترف تربية الدواجن في الأسواق. وصانع الأقفاص من الجريد لحفظ بعض الطيور، ومدرب الطيور.. إلخ. وفي عالم الطيور سنجد متخصصين في معرفة فصائلها وأنواعها الأصيلة والجيدة، فضلاً عن مهاراتها المختلفة.. ومن ثم نشأت معارف تقليدية

مرتبطة بعلاج بعض الطيور للمحافظة عليها، فنجد معارف حول طرق العلاج البيطرية المتوارثة لكل نوع، وفي هذا السياق نشير أيضاً إلى أن الطيور نفسها تستخدم أحياناً لعلاج الإنسان، حيث يساعد أكل أجزاء معينة من الطيور على الشفاء من بعض الأمراض. وقد تستخدم بعض أجزائها في بعض الأعمال السحرية.

وعلاقة الإنسان بالطيور تنطوي أيضاً على بعض الصراعات الدرامية ما بين الحب والبهجة من ناحية، والخوف والتشاؤم من ناحية أخرى، فنجد التراث الشعبي العربي يحمل لنا الكثير من المعتقدات والحكايات المرتبطة بالتفاؤل بالطيور والتشاؤم منها، سواء من حيث الصوت أو الهيئة العامة، وأشهر الطيور مصدراً للتشاؤم البومة التي يعتقد أن سماع صوتها أو رؤيتها نذير شؤم، رغم أن بعض الثقافات ترى في البومة رمزاً للحكمة والفطنة. وفي الإمارات «النعّاية» أو «النغاقة» وهي كائن خرافي اشتهرت بأنها نادبة الموت، وتشير الروايات إلى أنها حبست نفسها في مكان مهجور؛ لأنها قتلت ابنها عن غير عمد، فتحولت إلى بومة كبيرة لها وجه امرأة عجوز حزينة ترعب من يقترب منها. ومن بين أكثر الطيور تشاؤماً، يظهر

في الإمارات «أم رخيش» وهو طائر خرافي ضخم وقوي وقبيح المنظر، يعمل على دمار أملاك الناس ومقدراتهم، نذير شؤم وشر. وفي ليبيا يتشاءم البدو من الحمامة الوحيدة ويطلق عليها «الفريدة». وعلى الجانب الآخر هناك بعض الطيور التي تبعث على البهجة وتفاءل الإنسان برؤيتها أو سماع صوتها، مثل الحمامة التي يعد رؤيتها أو سماع هديلها بشرى لقدوم الخير والبركة، وصوت العصفور الذي يعد دوماً رمزاً للبهجة والسعادة، أما رؤية الهدهد فتشير دوماً إلى البشرى السارة.

وعلى هذا النحو يتفاعل الإنسان مع الطيور.. غير أن بعض الممارسات الشعبية من قبل الإنسان تشير إلى حاجته للحماية من الطيور، على النحو الذي نجده في أدوات حماية المحاصيل الزراعية من الطيور، فنجد أن الكثير من المجتمعات العربية قد ابتكرت أساليب عدة لذلك، وأشهرها «خيال المآتة»، وهو عبارة عن دمية تتخذ هيئة الإنسان تُصنع من القش المحشو في ثياب، تثبت وسط الحقول الزراعية لإخافة الطيور وإبعادها حتى لا تأكل المحصول. أما «المرجامة» فهي أيضاً من أدوات طرد العصافير يتم نسجها من الصوف، بحيث يتصل بطرفيها حبل طوله نحو المتر، ويوضع وسط كتلة الصوف المقعرة كومة من الأحجار الصغيرة يطلقها الفلاح لتهريب الطيور من الحقل. وهناك أيضاً «المخيول»، وهو عبارة عن فزّاعات لإخافة الطيور توضع غالباً فوق أكداس القمح. وفي الأردن نجد «الشرشوح» وهو عبارة عن خشبتين متصالبتين تنصبان في البساتين، يوضع عليهما قطع من الأقمشة تتخذ هيئة إنسان لإيهام الطيور كي لا تقترب من المزروعات وتنقر الثمار.

ولعل أكثر الممارسات التي تحتاج منا إلى كثير من التأمل هو تلك المرتبطة بصيد الطيور، سواء صيد الإنسان للطيور، أو صيد الطيور بالطيور، فضلاً عن أدوات صيد الطيور التي تتنوع وفقاً لنوع الطير وأماكن الصيد، فصيد السمان مثلاً له كثير من التقاليد والممارسات والأدوات التي تختلف قطعاً عن صيد الصقور بأنواعها وأماكن وجودها. ومع مطاردة الإنسان للطيور بالتفنن في طرائق صيدها، فإن المجتمعات العربية قد احتفلت بالطيور في فنون الأدب الشعبي.. في الحكايات، والسير الشعبية، والأمثال، والألغاز، والشعر الشعبي، وهو ما سنعرض له في المقالات القادمة.

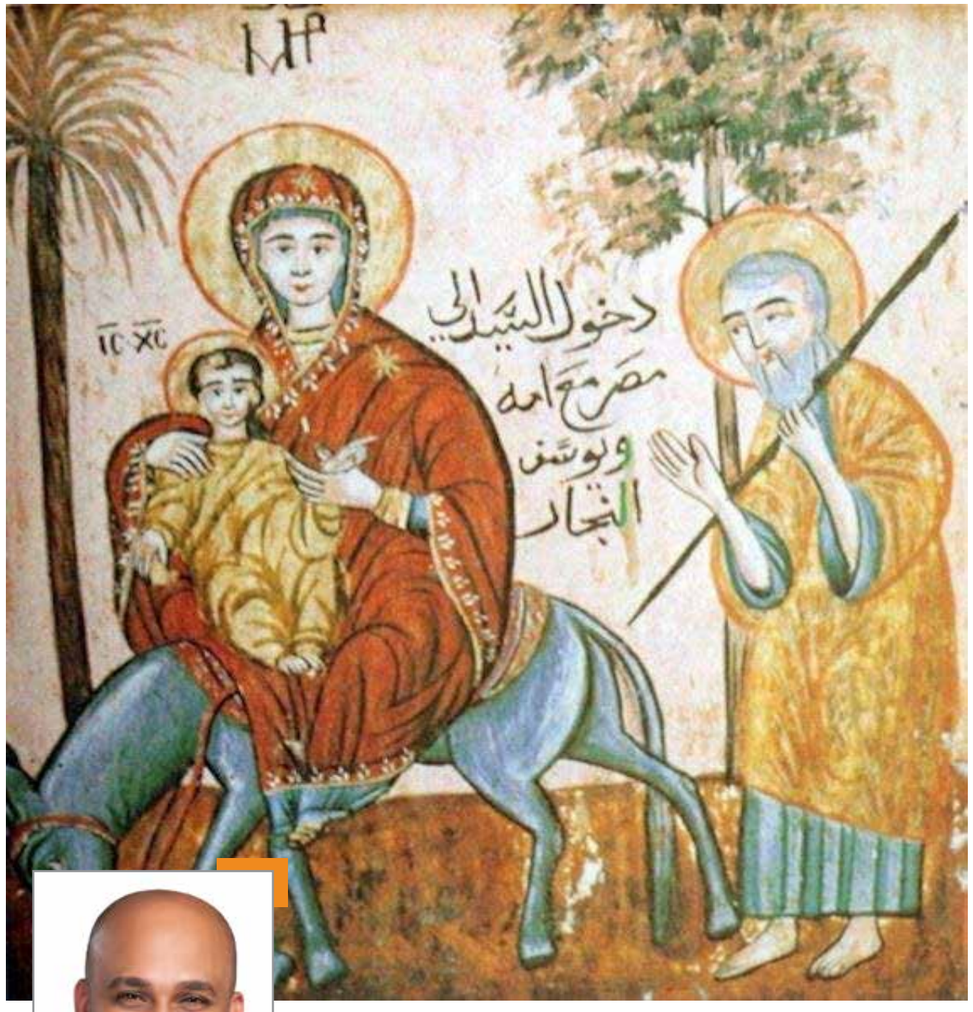


# «رحلة الخير» ذكرى دخول السيد المسيح أرض مصر

**إيهاب الملاح**
كاتب وناقد - مصر

**(1)**

مناسبتان دينيتان تجاوز نطاق الاحتفال بهما حدود معتنقي المسيحية إلى عموم المصريين، مسيحيين ومسلمين على السواء، عيد ميلاد السيد المسيح، وعيد القيامة المجيد، كلاهما له حضور مصري خالص، شأن كل الاحتفالات الدينية في مصر! لكن دخول السيد المسيح أرض مصر وهو طفل بصحبة السيدة مريم العذراء والراعي الصالح يوسف النجار، مثل حدثاً تجاوز إطار بحثه التاريخي ومكانته الدينية إلى حدث يدخل في صميم الثقافة الجمعية والموروث الثقافي الجمعي، ذلك أنه تمخض عنه ما يعرف برحلة العائلة المقدسة إلى مصر، ومسار العائلة المقدسة، والأماكن التي صارت مزارات دينية وتراثية في المقام الأول!

هنا سيتجاوز الاحتفال «الديني» إلى «الثقافي الاجتماعي» و«الموروث الجمعي»، لن تجد ذلك إلا في مصر، في موالد الأولياء والقديسين، في المساجد والكنائس، في الأديرة والخلوات الصوفية.. عموماً، لن أستسلم لتيار متدفق من الذكريات والمشاعر، وأتوقف أمام هذا الإصدار الجميل الذي يتزامن الاحتفال بعيد دخول السيد المسيح أرض مصر.

بمجرد الإعلان عن صدور كتاب «رحلة الخير» تداعت الذكريات نضرة متوهجة بتفاصيل لم أكن أتخيل أنها بهذه «الكثافة» ولا «الزخم» ولا العمق!

«رحلة العائلة المقدسة».. مجرد ورود هذه الكلمات الثلاث يتداعى إلى ذاكرتي فوراً:

صوت قرع الأجراس المميز، فيلم تسجيلي من إخراج سميحة الغنيمي، كنيسة ذات طابع معماري خاص جداً على شط النيل في مواجهة بر المعادي، قراءات شتى عن الرحلة في التاريخ المسيحي عموماً، وعن الرحلة المقدسة في التراث المصري القبطي خصوصاً، وعن المزارات الأثرية والدينية التي ارتبطت بمسارها من أول شجرة مريم الشهيرة بالمطرية، وحتى مغارة المسيح والسيدة العذراء في أسيوط بالدير المحرق، مروراً بجبل الطير في المنيا.

**(2)**

كل هذه الذكريات احتشدت وتداعت بانسيابية ونعومة على خاطري، وأنا أتصفح كتاب «رحلة الخير.. رحلة العائلة المقدسة»، الصادر باللغتين العربية والإنجليزية، عن المركز القومي للترجمة بالقاهرة، وبتعليقٍ صوتي مصاحب للنص تقرؤه الدكتورة مروة وهدان.

مؤلف الكتاب الكاتب والروائي المبدع والباحث الدؤوب أحمد إبراهيم الشريف، أحد أبرز المشتغلين بالصحافة الثقافية في مصر والعالم العربي في العقد الأخير، حصدت أعماله الروائية جوائز مرموقة في مجال الإبداع الأدبي، وله كتب ودراسات مهمة في النقد الأدبي. وها هو يخرج علينا بواحدٍ من أعماله الممتازة، ويقدم نصاً أدبياً فريداً يسجل بحب وعمق وإيمان إنساني عميق بقيم المحبة والمشترك التراثي الإنساني، وباحترام الآخر وتقديره والإيمان بأن الحياة تتسع للجميع، وتحت مظلة سماء واحدة، يسجل رحلة العائلة المقدسة في سردية أدبية عذبة، بل غاية العذوبة.

يخبرني مؤلف الكتاب أن فكرته جاءت من حديث مطول مع مديرة المركز القومي للترجمة بالقاهرة، الدكتورة كرمة سامي، عن أهمية رحلة العائلة المقدسة، ودورها في تاريخ مصر وتراثها الديني والثقافي، من وجهة نظر كثيرين، ومع ذلك فهي لا تحظى بما تستحقه من احتفاء، وأن معظم الكتب التي تعرضت لهذه الرحلة، كانت كتباً بحثية رصينة، لكنها جافة الأسلوب، تفتقر إلى حس الدراما ونداوة السرد الأدبي.

يقول الشريف:

«واتفقنا على أهمية أن يعرف المصريون - ومن ورائهم الأجانب وعموم المهتمين بالحدث التاريخي - جزءاً مهماً من تاريخ مصر (والمسيحية)، متمثلاً في رحلة العائلة المقدسة، والأماكن التي مروا بها وصارت مزارات مقدسة».

يتابع الشريف «وكانت الفكرة في بدايتها أن أقوم بإعداد لأحد الكتب المنشورة بالفعل عن الرحلة المقدسة، وبعد ذلك يقوم المركز بترجمة ما أعددته، لكن بعد الاطلاع على بعض الكتب، وجدت أنه ينقصها شيء ما متعلق ببثّ الروح داخل الرحلة، فمعظم الكتب تعاملت معها بوصفها رحلة دينية، بينما كنت أفكر في جعلها رحلة إنسانية».

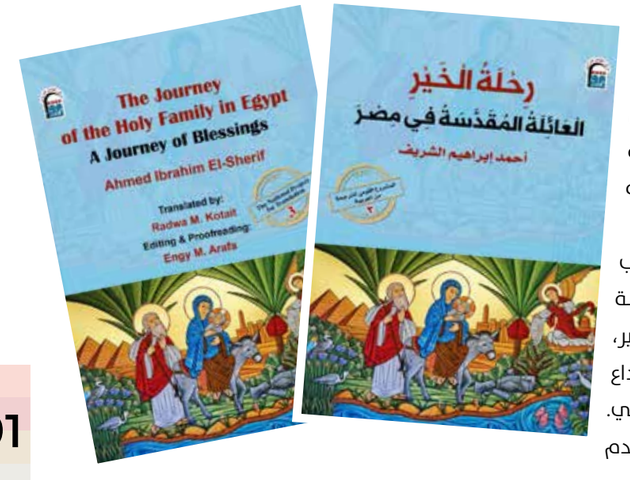

وهكـذا اسـتقر الأمـر أن يكتـب الشريـف الرحلـة بشـكلٍ مباشر وبحس أدبي، وأن يخرج بسرد بالأحداث من كونها «بحثـاً علمياً فقـط»، إلى كونهـا روايـة إنسـانية عظيمـة جـرت عـلى أرض الواقـع، فيهـا توتـر الرحلـة وخـوف الإنسان، وتردده، ومواجهته هـذه المخاوف والمجهول.

**(3)**

مـن المهـم، هنـا في هذا السـياق، الإشارة إلى أن منظمة الأمـم المتحـدة للتربيـة والعلـم والثقافـة (اليونسـكو)، قـد أدرجـت الاحتفـالات الشـعبية المرتبطـة بمسـار العائلـة المقدسـة في مـصر، ضمـن القائمـة «التمثيليـة» للـتراث الثقـافي غـير المـادي للبشرية، العـام المـاضي.

ومسار العائلـة المقدسـة في مـصر؛ رحلـة دينيـة انطلقـت بهـا السـيدة مريـم العـذراء برفقـة ابنهـا الطفـل يسـوع وخطيبهـا القديـس يوسـف (يوسـف النجـار) مـن مدينـة بيـت لحـم الفلسـطينية إلى أرض مـصر، هربـاً مـن بطـش الحاكـم الرومـاني هيـرودوس، وفقـاً لإنجيـل متـى. وعـلى مـدار ثـلاث سـنوات ونصـف، تنقّلـت العائلـة المقدسـة بـين مناطـق عـدة في مـصر، وتداولـت الروايـات الدينيـة المسيحية وقـوع المعجـزات التـي اقترنـت بحلـول العائلـة المقدسـة في كل مـكان وموضـع تحـل بـه.

تنقّلـت العائلـة المقدسـة بـين مناطـق عـدة في مـصر، تقدرهـا الروايـات المسـيحية بـ25 محطـة تمتـد لمسـافة 3500 كيلومـتر ذهابـاً وإيابـاً، وتمـر بثـماني محافظـات مصريـة، تبـدأ مـن سـيناء شرقـاً حتـى أسـيوط جنوبـاً، وشـيّد في معظـم تلـك النقـاط، خـلال القـرون التاليـة لرحلـة العائلـة المقدسـة، كنائـس وأديـرة أو آبـار ميـاه في المواقـع التـي توقفـوا فيهـا، كـما أضيفـت مجموعـة مـن الأيقونـات القبطيـة.

وخـلال الأعـوام الأخـيرة دشـنت الإدارة المصريـة مشروعـاً طموحـاً، أطلقـت عليـه «مسـار العائلـة المقدسـة»، في سـبيل تحفيـز السـياحة الدينيـة، وكانـت البدايـة مـع افتتـاح «وزارة السـياحة والآثـار» و«التنميـة المحليـة» في عـام 2021 موقـع سـمنود بمحافظـة الغربيـة.

**(4)**

دخلـت العائلـة المقدسـة إلى شـمال صحـراء سـيناء مـن مدينـة رفـح، ومنهـا إلى مدينـة الفرما القديمة (بورسـعيد حاليـاً)، واتجهـت جنوبـاً عـبر مدينـة بوباسـتيس القديمـة (تـل بسـطة حاليـاً)، حيـث تسـبَّب يسـوع في انفجـار نبـعٍ موجـود حاليـاً عـلى شـكل بـئر، لـتروي العائلـة عطشـها. واصلـت العائلـة رحلتهـا إلى قريـة مسـطرد (عـلى أطـراف القاهـرة الكـبرى)، حيـث اسـتقبلهم الأهـالي بالترحـاب، ويعتقـد أنّ العائلـة ارتاحـت هنـاك اسـتحمت وشربـت الميـاه في مـكان يطلـق عليـه «المحامـة»، ثـم شـقّت العائلـة المقدسـة طريقهـا إلى مدينـة «بلبيـس» في محافظـة الشرقيـة، حيـث اسـتظلوا بظـل شـجرة الجميـز، التـي أطلـق عليهـا «شـجرة مريـم العـذراء».

مـن بلبيـس عـبرت العائلـة المقدسـة النيـل إلى مدينـة سـمنود في محافظـة الغربيـة. وفي منطقـة سـخا التـي تبعـد عـن سـمنود في حـدود العشريـن كيلومـتراً، حفـر يسـوع بـئر مـاء أخـرى، عـبر لمسـه حجـراً، فاندفـع منـه المـاء. بعـد ذلـك اتجهـت العائلـة غربـاً إلى وادي النطـرون الـذي بُنـي فيـه في القـرن الرابـع الميـلادي ديـر «أبـو مقـار»، وديـر «الأنبـا بيشـوي»، وديـر «البرامـوس»، وديـر «السـيدة العـذراء - السريـان»، وفيـه عُـثر عـلى لوحـاتٍ جداريـة ترجـع للقـرون الوسـطى.

ومـن وادي النطـرون اتجهـت العائلـة إلى مدينتـي المطريـة وعـين شـمس، حيـث اسـتظلت العائلـة بشـجرةٍ أخـرى تعـرف بـ«شـجرة مريـم»، ولا تـزال هـذه الشـجرة موجـودة، كـما فجّـر يسـوع عـين مـاء وشرب منـه وباركـه، ثـم غسـلت فيـه السـيدة العـذراء ملابـس الطفـل يسـوع، وصبـت المـاء عـلى الأرض، فنبـت في تلـك البقعـة نبـات البلسـم العطـري، ويسـتخرج منـه زيـت الميـرون المقـدس لـدى المسـيحيين.

**(5)**

وصلـت العائلـة المقدسـة إلى القاهـرة القديمـة (أو مـصر العتيقـة)، ومكثـوا في كهـف، يُعتقـد أن العائلـة قضـت فيـه وقتـاً طويـلاً، وهـو مـن بـين أقـدس المحطـات في المسـار، وبُنـي في هـذا الموقـع كنيسـة أبي سرجـة الشـهيرة بالكنيسـة المعلقـة، وأصبحـت المنطقـة بأسرهـا مـزاراً للحجـاج المسـيحيين.

وكانـت آخـر محطـات العائلـة في القاهـرة؛ حـي المعـادي، أُقيمـت فيـه كنيسـة المعـادي، ومـن هنـاك انطلقـت العائلـة بقـاربٍ مـن البـردي في نهـر النيـل إلى الجنـوب باتجـاه الصعيـد، فيـما ظهـرت صفحـة الكتـاب المقـدس عـلى سـطح الميـاه مشـيرة إلى المقولـة الشـهيرة «مبـارك شـعبي مـصر».

في ثنايـا هـذه الرحلـة النيليـة مـرت العائلـة المقدسـة بمناطـق عـدة حتـى وصلـت إلى جبـل الطـير، التابـع لمركـز سـمالوط في المنيـا، حيـث بُنيـت كنيسـة السـيدة العـذراء ذات الطـراز البازيليكي، وتضـم مغـارة صغـيرة احتمـت بهـا السـيدة مريـم والطفـل يسـوع.

وبعـد جبـل الطـير، قطعـت العائلـة المقدسـة نهـر النيـل إلى الجهـة الغربيـة قاصـدة قريـة الأشـمونين، ثـم إلى منحـدرات جبـل قسـقام، أكـثر مواقـع المسـار قداسـة، ويعتـبره أقبـاط مـصر بمثابـة «بيـت لحـم الثانيـة»، إذ يُعتقـد أن العائلـة مكثـت فيـه أطـول مـدة خـلال مسـارها؛ بلغـت سـتة أشـهر، وبُنـي فيـه ديـر المحـرق، الـذي يضم كنيسـة، وفيـه ظهـر مـلاكٌ للقديـس يوسـف أخـبره أن هـيرودوس قـد مـات، وبإمكانهـم العـودة مـن حيـث أتـوا.

وعندمـا همّـوا بالعـودة، انحرفـوا قليـلاً باتجـاه الجنـوب، فوصلـوا جبـل درنكـة بمحافظـة أسـيوط، وبُنـي فيـه ديـر السـيدة مريـم، ثـم عـادوا إلى فلسـطين متبعـين المسـار نفسـه تقريبـاً، وسـكنوا في مدينـة النـاصرة، ولاحقـاً بيـت لحـم.

# قلعة الرميلة..
# أهمية تاريخية ومحطة إدارية وتجارية

**سارة إبراهيم**
كاتبة - مراود

قلعة الرميلة هي واحدة من قلاع مدينة العين في إمارة أبوظبي، وتتميز هذه القلعة بتاريخها وتصميمها وموقعها، حيث تقع في منطقة محمية أساسية من مواقع العين الثقافية، هي الهيلي، بنيت القلعة في القرن التاسع عشر، واتسم تصميمها بفرادته بشكله المضلع رغم بساطته، وموقعها على طريق القوافل آنذاك عزز من أهميتها.

تقع قلعة الرميلة في قرية الرميلة، وهي واحدة من قرى العين ضمن منطقة الهيلي، وهي في الطريق المتجه نحو مركز مدينة العين، وفي حقبة مضت فإن تأمين المدن كان لزاماً لصد الغزوات، ومدينة العين هي البوابة الشرقية لإمارة أبوظبي، وكان لابد من تأمينها من القوى الخارجية، وهو ما يجعلها تزخر بالحصون والقلاع في واحاتها.

**تاريخ غني**

تقع الرميلة في منطقة الهيلي التي تنبع أهميتها من أهمية حضارة هيلي القديمة، التي يعود تاريخها للألف الثالث قبل الميلاد، والرميلة هي منطقة محمية أساسية من مواقع العين الثقافية. أجريت أعمال التنقيب لأول مرة في مستوطنة الرميلة التي تعود إلى العصر الحديدي في عام 1968م، على أيدي علماء آثار من الدنمارك، وذلك استجابةً لدعوة من المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، وتم العثور على آثار بقايا منازل وأوان فخارية محفوظة تعود إلى العصر الحديدي فيما بين 900 إلى 600 قبل الميلاد في الرميلة.

وقد كشفت أعمال التنقيب اللاحقة التي أجراها علماء آثار فرنسيون بين عامي 1978 و1982م، عن مزيد من المعلومات بشأن نطاق هذا الموقع وتاريخه، حيث أدى الاكتشاف إلى تقسيم تلك الحقبة في المنطقة إلى حقبتين تاريخيتين، خلال الحقبة الأولى، أسهم نظام الري بالأفلاج في زيادة الاستقرار في جميع أنحاء العين. وفي الحقبة التالية، بدا أن هناك تراجعاً في الاستقرار والاستيطان لأسباب لم تُعرف حتى يومنا.

ويعد موقعنا من المواقع الثقافية المدرجة في قائمة مواقع التراث العالمي لـ«اليونسكو» عام 2011م، وهي: هيلي، وبدع بنت سعود، ومناطق الواحات. تلك المناطق تزخر بأنظمة دفاعية وأنظمة استيطان وعيش، من ضمنها نظام الري بالأفلاج في مجال الزراعة في الواحات منذ أكثر من 5000 عام، وذلك دليل ممارسات نجحت في الاستمرار والصمود حتى وقتنا الحاضر.

تمتعت واحتضنت قلعة الرميلة وظائف عدة منذ تشييدها، فكانت القلعة مركزاً للحكم وهو ما جعل تصميم قاعاتها الداخلية كبيراً، وهي بالوقت ذاته محكمة، ومركز أمني كمركز شرطة وملجأ وقت الأزمات، كما هي مضيف للجميع وقت الاستقرار. وكون مدينة العين ذات موقع جغرافي مهم، حيث يتوسط المدن، وقد لعبت القلعة دوراً في توفير الأمن للقوافل التجارية المارة على الطريق من دبي وأبوظبي ومزيد وصحار ومسقط وغيرها وإليها.

**تصميم فريد**

اتسمت قلعة الرميلة بتصميم تقليدي طيني لا يزخر بالزخارف النباتية والهندسية التي قد نشهدها في قلاع وحصون بنيت في حقبة مماثلة، ولكنه بالوقت ذاته تصميم فريد ذو شكل مضلع، لا هو مستطيل ولا مربع ولا دائري، كما أن التصميم الداخلي يعود إلى الفرادة ذاتها، فهي قلعة ذات شكل دفاعي مغلق بأسوار عالية وفناء مكشوف.

وتعد القلعة من القلاع الضخمة مقارنة بمثيلاتها في الفترة ذاتها، سورها مكون من تسعة أضلاع مرتفعة، وهي ذات باب خشبي غير بارز، يعلوه ثلاث فتحات للمزاغل والرمي، وتتكون القلعة من طابقين، في كل منهما فتحات رمي للأغراض الدفاعية، وذات سور مرتفع مضلع، يتكون من تسعة أضلاع مدببة من الأعلى، والباب الخارجي للقلعة مرتبط بدرج إلى الفناء، وهو بذلك مختلف عن التصميمات التقليدية، كما أن قاعدة القلعة أكبر من مساحة سطحها.

والمربعة في قلعة الرميلة لها باب مستطيل الشكل تعلوه فتحة مثلثة، ويوجد نوافذ كبيرة بكل جانب تمثل فتحات للتهوية والإضاءة للقاعات الرئيسة للمربعة.

وكما هو معروف فإن بناء القلاع والحصون كان يستمد من البيئة المحيطة بعناصرها المختلفة، وهذا ما ينطبق على قلعة الرميلة وعلى قلاع وحصون العين، استخدم في بناء القلعة الصاروج، وهو طين أحمر محلي يخلط بمخلفات الدواب ما يمنحه اللزوجة، ويعد بطريقة من التجفيف والقص والتعريض للحرارة، فيتم البناء به، كما تم استخدام الجص كمادة ضمن مواد بناء القلعة، واستخدمت مادة «النورة» للطلاء، كما كانت جذوع النخيل ودعونها وخوصها وليفها من أبرز مواد البناء، وكما هو معروف في كامل عناصر البناء في الدولة، فإن النخيل جزء لا يتجزأ منها.

# علي أحمد الكندي:

## هدفي تقديم التاريخ الصحيح بالاستناد إلى الروايات الشفاهية والوثائق

**عبير يونس**
كاتبة - سوريا

يولي الشاعر والباحث الإماراتي علي أحمد الكندي المرر اهتماماً كبيراً بالتاريخ والتراث المحلي، حيث أصدر خلال مسيرة بحثية عمرها عشرون عاماً أكثر من خمسين كتاباً.

فالمرر الذي درس تخصص «إدارة دولية» في جامعة كاليفورنيا، وتخرج فيها بدرجة امتياز عام 1997م. تميزت كتبه باحتوائها على كثير من المعلومات الجديدة، ما جعلها إضافة حقيقية للقُراء والباحثين، مثل «الظفرة في كتابات الرحالة والمؤرخين» و«القلاع والأبراج في منطقة الظفرة» و«الأسماء التاريخية للأماكن في إمارة أبوظبي» وغير ذلك كثير.

حول أعماله البحثية وأهدافه من إصدارها تحدث المرر لـ«مراود» وأشار إلى أهمية أن يكون الباحث من المنطقة نفسها التي يكتب عنها، لأجل أن يلم بكل التفاصيل التي تغيب عن غيره من الباحثين.

* ما الأسباب التي جعلتك تتجه للبحث والتوثيق؟



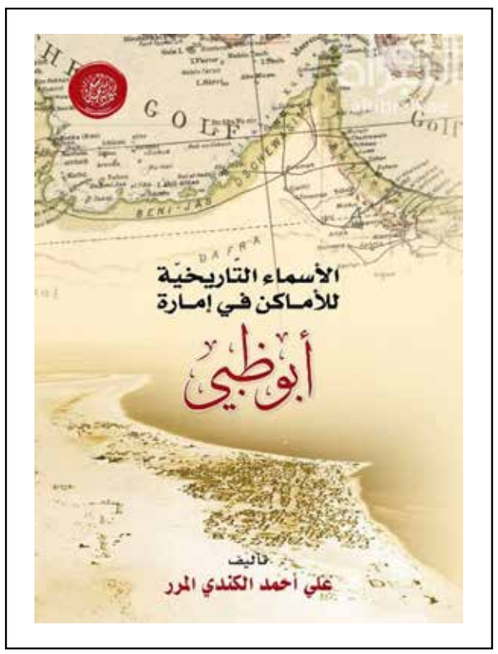


** بداية أنا من عائلة اشتهرت في الماضي بالعلم وتعليم الناس القراءة والكتابة والقرآن، فأجدادي كانوا قضاة، وخلال نشأتي رافقت والدي الذي كان مهتماً بشكل كبير بالشعر النبطي في المنطقة، إذ كان يتابع قصائد الشعراء القدامى والمعاصرين له، وفي الوقت نفسه كان خالي الكندي مهتماً بالقصيد والتاريخ، وبحكم معيشتي معهم تأثرت بهم كثيراً، وخلال ذلك أصبح لدي اهتمام كبير بالقراءة، وجمعت الكثير من الكتب، كما حرصت على جمع الوثائق القديمة والمخطوطات، وبعد ذلك وجدت أننا نعيش في منطقة لها تاريخها الواسع، وهذا التاريخ أسمع عنه من كبار السن، بمن فيهم النساء، إذ كانوا يقصون لي عن كثير من الأحداث التي جرت في الماضي، وفي نفسي كنت أقول إن هذا يجب ألا يترك، بل يجب أن يوثق ويسجل وينشر للناس، بعدها أصبحت أستفيد من هذه الوثائق، وأستفيد من روايات كبار السن، وبدأت في الكتابة عن تاريخ إمارة أبوظبي وتاريخ منطقة الظفرة.

* ما أول كتاب أصدرته؟

** شرح لقصيدة «الولاء» وهي قصيدة شهيرة نظمها جدي علي بن سالم بوملحة المرر الذي كان قاضياً لمنطقة الظفرة، وشاعراً نظم الكثير من القصائد. وقصيدة الولاء نظمها في الشيخ زايد بن خليفة الأول، فألفت هذا الكتاب في سيرة حياة جدي وفي شرح قصيدته.

* لماذا اخترت البحث في «موارد الماء التاريخية في منطقة الظفرة» في أحد إصداراتك؟

** كان هذا الكتاب مهماً ومتميزاً من بين الكتب التي أصدرتها؛ لأنه يرصد الحياة الاجتماعية التي كانت في منطقة الظفرة، من خلال توثيق موارد الماء التي سكنت الناس بقربها قبل إنشاء المدن في المنطقة، وكانت الأعراس تقام بالقرب من تلك الموارد وكذلك اللقاءات، وجميع الاستعراضات الفنية مثل «الحربية والعيالة»؛ لأن الناس كانوا مقيمين عند موارد الماء. ففكرة توثيق الموارد كان المقصد منها توثيق الحياة الاجتماعية بمنطقة الظفرة، ويتميز الكتاب بأن المعلومات الواردة به عبارة عن روايات شفاهية عن ناس عاصروا تلك الفترة والمعيشة والحياة عند موارد الماء، وبالتالي فهم الأصدق؛ لأنهم عاصروا تلك المرحلة، وهكذا كتبت تاريخاً لم يكتب من قبل، وهو ما عاد بالفائدة على الناس، وتعرفوا إلى التاريخ الحقيقي لمنطقة الظفرة.

* أصـدرت أيضـاً معجـم «الأماكـن في منطقـة الظفـرة»، فـما الـذي ركـزت عليـه؟

** يختـص المعجـم بمنطقـة الظفـرة بمـا تشـابه اسـمه واختلـف مكانـه، بمعنـى أن هنـاك مسـميات جغرافيـة في منطقـة الظفـرة تتشـابه بالاسـم، وحتـى أزيـل هـذا اللبـس اشـتغلت عـلى الكتـاب، فمثـلاً منطقـة طريـف موجـودة عـلى سـاحل البحـر، وعندنـا أيضـاً طريـف في منطقـة البطـين في ليـوا، ومنطقـة خنـور في ليـوا، وفي الوقـت ذاتـه هنـاك خنـور في منطقـة بطانـة ليـوا، فـكان هـذا الهـدف مـن تأليـف الكتـاب.

* مـا طبيعـة المصـادر التـي اسـتندت إليهـا في كتابـك «الأسـماء التاريخيـة للأماكـن في إمـارة أبوظبـي»؟

** ألفـت الكتـاب عندمـا كنـت أبحـث في المعاجـم القديمـة مثـل «معجـم البلـدان» لـياقوت الحمـوي، ومعاجـم أخـرى لمـن ألفـوا في الأماكـن ومسـمياتها القديمـة، فخـلال البحـث كنـت أجـد بعـض هـذه الأماكـن كانـت موجـودة عندنـا، وقـد وردت في معاجمهـم، وتكلمـوا عنهـا، فقلـت لمـاذا لا أجمـع هـذه المسـميات وأعـرف بهـا تعريفـاً أوسـع، مثـل «بينونـة» التـي تعتـبر قديمـة وجميـع المؤلفـين الجغرافيـين القدامـى تكلمـوا عنهـا، وذكـروا أنهـا سـميت «بينونـة» لأنهـا بانـت عـن بـلاد البحريـن وبـلاد عـمان، وكانـت في الوسـط لهـذا سـميت بينونـة، وكذلـك أيضـاً جزيـرة «صـير بنـي يـاس» كانـت قـد وردت في الكتـب القديمـة. فـأردت أن أعـرف القُـراء أنهـا مسـميات تاريخيـة فوثقـت هـذه الأسـماء ومـكان ورودهـا في الكتـب التاريخيـة القديمـة، مـن منطلـق توثيـق تاريخنـا، والتأكيـد عـلى أنـه ليـس حديثـاً.

* لديـك أكـثر مـن خمسـين إصـداراً مـا الـشيء المشـترك أو المحـرك الأسـاسي الـذي يدفعـك لإصـدار كل هـذه الكتـب؟

** الهـدف مـن جميـع هـذه الكتـب هـو توثيـق التاريـخ وخاصـة إمـارة أبوظبـي، وتعريـف النـاس بهـذا التاريـخ؛ لأن مـن كتـب عنـه يعـدون عـلى الأصابـع، وهـم ليسـوا مـن أهـل المنطقـة، ودائمـاً عندمـا يكـون الباحـث مـن خـارج المنطقـة تفوتـه كثـير مـن الأشـياء، ولأني مـن أهـل المنطقـة أسـتطيع أن أطلـع منهـم عـلى التاريـخ، وهـو هـدفي لأجـل توثيـق التاريـخ الصحيـح لجميـع أماكـن أبوظبـي وشـيوخها ومجتمعهـا والتجـار القدامـى، وكذلـك العلمـاء القدامـى و«النواخـذة»؛ أي تجـار اللؤلـؤ، إن تاريـخ الظفـرة واسـع جـداً.

* مـا الصعوبـات التـي تواجهـك عـادة في عمليـة البحـث، وكيـف تتغلـب عليهـا؟

** الصعوبـات كثـيرة وأولهـا قلـة المصـادر التـي تكلمـت عـن إمـارة أبوظبـي، ومـن ثـم المعلومـات التـي نجمعهـا مـن الكتـب نجدهـا متفرقـة في مصـادر عـدة، ومنهـا مـا يتكلـم عـن جـزء مـن التاريـخ عـبر سـطر واحـد أو سـطرين؛ أي قليلـة جـداً إذا أردت عـلى سـبيل المثـال أن أتكلـم عـن منطقـة «محـاضر ليـوا»، لا أجـد الكثـير، إنمـا هـي معلومـات بسـيطة، فهـي مـن أكـثر الصعوبـات التـي واجهتنـي، وهـو مـا تطلـب منـي البحـث الميـداني وزيـارة المحـاضر وزيـارة النـاس، وخـلال ذلـك كنـت أجـد صعوبـة في لقـاء كبـار السـن، فبعضهـم يعانـون المـرض، وبعضهـم الآخـر يؤجـل المواعيـد، وهنـاك مـن يطلـب منـي الحضـور في الشـتاء «عـلى سـبيل المثـال». وكل هـذا وقـت يضيـع منـي وأضطـر إلى أن أنتظـر، ولهـذا لـدي بعـض الكتـب التـي مـا زالـت معلقـة؛ أي أنـا أنتظـر منهـم الوقـت كي ألتقيهـم مـن أجـل تزويـدي بالمعلومـات، وكنـت في البدايـة أعمـل في شركـة، إلا أن سـمو الشـيخ حمـدان بـن زايـد آل نهيـان، ممثـل الحاكـم في منطقـة الظفـرة، وجـه بتفريغـي لعمـلي البحثـي، وهكـذا زالـت صعوبـات العمـل الرسـمي في الدوائـر الحكوميـة، فصـار لـدي الوقـت للعمـل والتركيـز عـلى البحـوث والتوثيـق.

* هل تعمل على أكثر كتاب في الوقت ذاته؟

** نعـم بالتأكيـد؛ لأنـه في بعـض المـرات تجتمـع لـدي معلومـات أفرغهـا في الكتـب التـي أؤلفهـا.

* لمـاذا بقيـت حريصـاً عـلى تجربتـك الشـعرية رغـم عملـك البحثـي الضخـم؟

** الشـعر لدينـا بالوراثـة، فالعائلـة كلهـا شـعراء، مـن جـدي الكبـير عـلي بـن سـالم بوملحـة المـرر، وكذلـك والـدي ووالـد والدتي وأخـوالي وأبنـاء عمـي شـعراء، فنحـن بيئـة شـعراء، حتـى إن مؤسـس الدولـة المغفـور لـه، الشـيخ زايـد بـن سـلطان آل نهيـان، كان قـد قـال «إن آل بوملحـة أهـل شرع وشـعر»، والـشرع أي أنهـم كانـوا قضـاة وأهـل علـم، والشـعر لأنهـم كانـوا شـعراء.

* هل أضافت تجربتك الشعرية شيئاً إلى أبحاثك؟

** أضافـت الكثـير، فهنـاك ديـوان والـدي أحمـد الكنـدي، وفي سـيرة الديـوان نفسـه أوضحـت كيـف جمعـت القصائـد، والصعوبـات التـي واجهتنـي في جمـع قصائـد والـدي غـير المنشـورة مـن قبـل، كـما ألفـت كتابـاً عـن الشـعراء في الظفـرة؛ سـير حياتهـم وأشـعارهم.

* مـا أهـم الإصـدارات التـي شـكلت علامـة فارقـة في أبحاثـك؟

** مـن أهـم الكتـب «الظفـرة في كتابـات الرحالـة والمؤرخـين»؛ لأنـه الأول في بابـه، وأول مـن ألـف عـن تاريـخ منطقـة الظفـرة وتاريخهـا الواسـع، وقـد انتـشر الكتـاب في جمـع أنحـاء الخليـج العـربي، واسـتفادت منـه الجامعـات والمعاهـد، وكل مـن يطالـع في تاريـخ منطقـة الظفـرة.

* ما جديدك في الفترة المقبلة؟

** عنـدي عمـل كبـير اشـتغلت عليـه مـدة 13 سـنة، وهـو عبـارة عـن موسـوعة «المعجـم الجغـرافي لإمـارة أبوظبـي»، ويتنـاول جغرافيتهـا وتاريخهـا، سـيصدر الكتـاب عـن الأرشـيف والمكتبـة الوطنيـة، وهـو شـامل، فيـه كثـير مـن المعلومـات عـن منطقـة الظفـرة والعـين والختـم وغيرهـا مـن مناطـق وجـزر أبوظبـي.

وهنـاك كتـب أخـرى أعمـل عليهـا سـتنتهي قريبـاً جـداً، ولكنـي لا أكشـف عنهـا؛ لأني أصـادف مشـكلة مـع بعـض المؤلفـين الذيـن إن عرفـوا إننـي أعمـل عـلى فكـرة مـن يعملـون عـلى الفكـرة نفسـها، ويطبعونهـا في كتـاب؛ أي يأخـذون الأفـكار، ولكنهـم يصدرونهـا بشـكل مشـوّه ومملـوء بالمشـكلات والمعلومـات المغلوطـة.

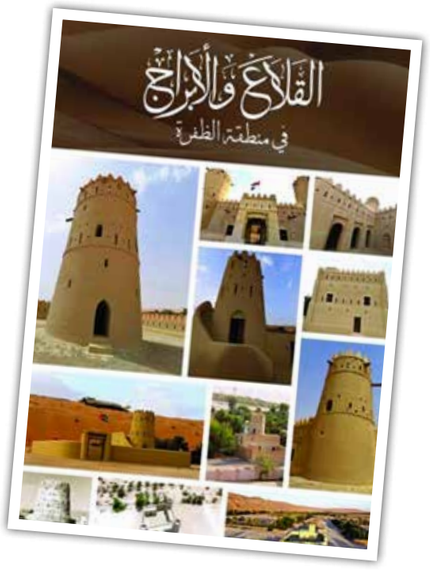

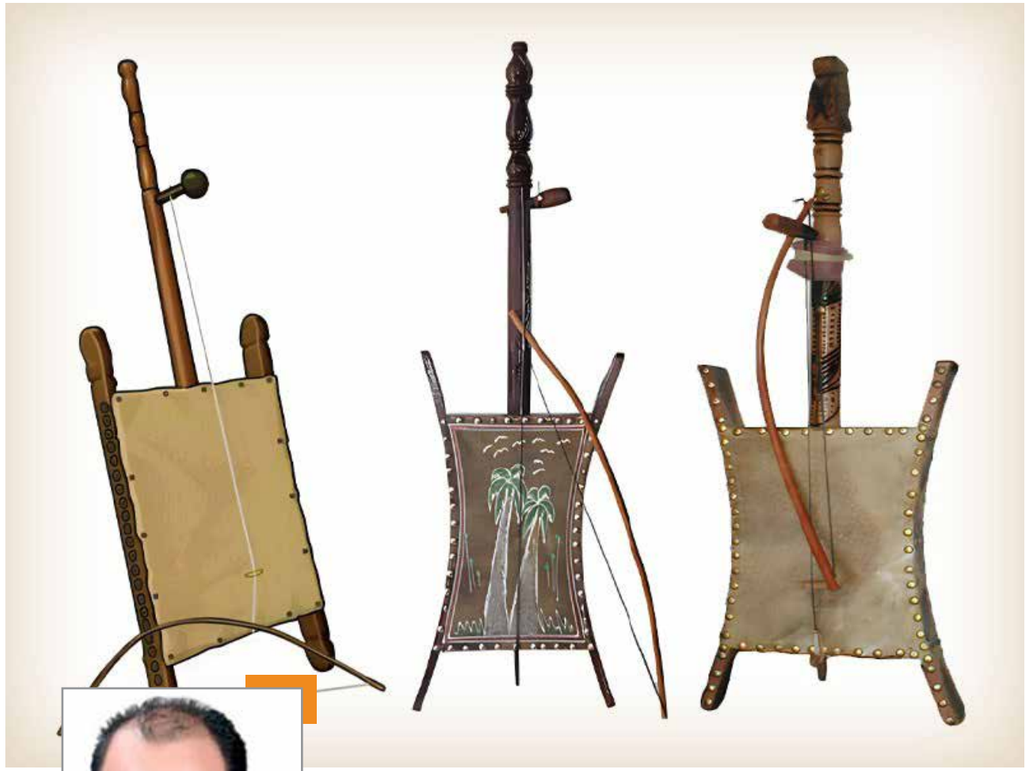

# آلة الربابة:

## تصنيعها ومراحل تطورها وكيفية العزف عليها

د. أحمد سعد الدين عيطة
كاتب - مصر

تعدّ الرَّبابَة أو الرَّباب (Rebab) من الآلات الوترية القديمة، وتتكوّن بشكل مُبسَّط من صندوق عزف وأوتار، ويتم العزف على الربابة بمسك الربابة باليد اليسرى، وحمل القوس باليمنى، ثم تمرير القوس على وتر الربابة، مع تحريك الأصابع على الوتر لإصدار الألحان، ما عدا الإبهام، فإنه يقبض خشبة الربابة، ويعد العزف على الربابة سهلاً، إلّا أنه يحتاج إلى التدريب المستمر، والرغبة الحقيقية في تعلُّم العزف عليها، والربابة مرتبطة بشكل عميق بالحضارات العربية، وتحديداً الثقافة البدوية، كما أنها شائعة عند الأتراك والفرس. مرّت الربابة عبر التاريخ بتغيرات في شكلها وعدد أوتارها، فقد كانت في السابق تُصنَع على شكل هيكل نحيل ومستدير من جلد الماعز، وبوتر واحد فقط، مصنوع من شعر الحصان أو أليَاف النخيل، وتسمى هذه الربابة بـ«الربابة ذات الوتر الواحد»، والتي كانت تُصدر أربع نغمات فقط، ثم تطوّرت بعد ذلك لتتضمن صندوقاً صوتياً مستطيل الشكل إلى حد ما، مع زوايا بارزة وأضلع مقوَّسة للداخل، ولكنها بقيت بوتر واحد.

والربابة اسم يطلق في العربية على آلة ضرب بسيطة من الآلات الوترية ذات القوس، تتكوّن من صندوق صغير يعتمد في تكوينه على خشب الأشجار، مغطى بجلد الحيوان، وقوس مصنوع من أغصان الأشجار أيضاً، ووتر وحيد مأخوذ من شعر الحصان.

يذكر أنه تم ورود اسم آلة الربابة في العديد من المؤلفات القديمة لكبار العلماء أمثال الجاحظ في مجموعة الرسائل، وابن خلدون، وورد شرح مفصل لها في كتاب الفارابي الموسيقي الكبير، كما أن لها العديد من المسميات، ففي فرنسا تسمى رابلا، وفي إيطاليا ريبك، وفي إسبانيا رابيل أو أربيل. وهناك صورة لآلة الربابة على قطعة حرير، وجدت في إيران، وتوجد الآن في متحف بوسطن للفنون، وقد عرف العرب إبان حضارتهم وتنقلهم بين أرجاء الوطن العربي سبعة أشكال من الربابة، هي: المربع، المدور، القارب، الكمثرى، النصف كروي، الطنبوري، الصندوق المكشوف.

تطوّرت صناعة الربابة، فظهرت الربابة ذات الوترين؛ كل وتر منهما يُصدر 4 نغمات، الوتر الأول يسمى «القوال»، والثاني يسمى «الرداد»؛ أي أن الربابة تعزف ثماني نغمات مختلفة، ويُقال إن الربابة هي الآلة الأولية لآلة الكمان الموسيقية.

تُصدر الربابة عند عزفها صوتاً يحاكي الأنين الصادر من الكبد المكلومة، فغنّى البدويّ على ربابته ألحاناً مختلفة، منها: السويحلي، العتابة، والنايل، والبستة، والأبوذية، والهجيني، والمسحوب، والصخري، والسامري، والرَّزْعَة، والدلعونا، والشروقي، والأشعار الشعبية، ولكنها اتسمت في معظمها بطابع الحزن والأسى. وتعد العلاقة بين الشعر الشعبي والربابة تكاملية، ومن أشهر السير التي حكتها الربابة سيرة «بني هلال».

**أصل التسمية:**

الربابة: اسم يطلق في العربية على آلة ضرب بسيطة من الآلات الوترية ذات القوس، تتكون من صندوق صغير يعتمد في تكوينه على خشب الأشجار، مغطى بجلد الحيوان، وقوس مصنوع من أغصان الأشجار أيضاً، ووتر وحيد مأخوذ من شعر الحصان. والربابة بفتح الراء أي (رَبابة)، وتعني السحابة البيضاء أو السوداء وجمعها (رَباب)؛ أي قطع السحاب غير المتجمع دون السحاب أو تحت السحاب المتجمع، ومن أحسن ما قيل في وصف السحاب الرباب.

قول عبد الرحمن بن حسان: كأن الرباب دُوَيْن السحاب.

**أشكال الربابة ومكوناتها:**

في كل وطن تأخذ الربابة شكلاً خاصاً، فالربابة في الجزيرة العربية غير الربابة المغربية والمصرية والهندية والعراقية والتركية؛ لأن شكل الربابة يختلف من بلد إلى بلد، إلَّا أن أجزاءها ومكوناتها ومقاييسها متفق عليها، ولكن المقياس المتفق عليه تقريباً أن يكون طول الربابة 70 سم وعرضها بين 25 ـــ 30 سم، وتأخذ أشكالاً متعددة، منها الدائري ومنها المستطيل، ومنها الحلزوني، ومنها المقوس من الجانبين من أجل ضغط الصوت وحفظه، ومنها البيضوي، ومنها ما يأخذ أشكالاً هندسية متعددة، وأصغر هذه الآلات على شكل دائرة، وهي الربابة المصرية، إلَّا أنها أطول ذراعاً من غيرها، والربابة السعودية تأخذ الشكل المستطيل في الغالب.

**مواد صنع الربابة:**

يرجع صنع مثل تلك الآلات الشعبية ذات الطابع البسيط في تكوينها، وملامحها الموسيقية العذبة، إلى طبيعة البيئة والمكان الذي نشأت فيه، وارتبطت بالإنسان في حياته اليومية، وبجميع طقوسه الحياتية والدينية منها. وتمر الربابة بمراحل عديدة من أجل أن تكتمل ويطرب صوتها، وذلك يعتمد في الدرجة الأولى على مهارة صانعها، واختيار النوعيات الجيدة من المواد التي تتناسب مع بعضها وتتلاءم، وذلك يعتمد على نوعية خشب الصندوق ونوعية الجلد ونوعية الذراع ونوعية السبيب وعود القوس ونوعية المواد اللاصقة أو المسامير لتثبيت الجلد على صندوق الخشب أو خياطة الجلد بجلد.

**مكونات الربابة:**

تتكوّن الربابة من عصا طويلة هي عنق الربابة التي يركب عليها الوتران الشعر والسلك، ومثبت أسفلهما طارة الربابة (جوزة الهند)، وفي أعلاها مجرى يثبت بها الكراب الذي يعمل على شد الوترين من أسفل العصا لأعلاها ماراً بتارة الربابة.

**تتكوّن من الأجزاء الآتية:**

1. الساعد: عمود أسطواني من خشب الزان، مقدمته على شكل مئذنة، وترتكز على قاعدة أسطوانية بها تجويف يسمى الخزنة، ويخترق الخزنة من الجانبين مفتاحان، وتمتد أسطوانة الخزنة بعمود أسطواني ينتهي بسيخ من الحديد.
2. الجوزة (الصندوق المصوت): ثمرة جوز الهند مفرغة تماماً، فتحت من الجهة العلوية على شكل دائرة قطرها 8 سم تقريباً، يشد عليها رق من جلد الماعز، أو جلد السمك، ومن الجهة السفلى للجوزة فتحت ثقوب عدة لإخراج الصوت، وتثبت الجوزة في نهاية الساعد بوساطة السفود.
3. العصفورة (المفتاح): عمود أسطواني من الخشب، مثقوب من وسطه حتى يربط به الوتر، يتدرج في الاتساع بشكل مخروطي؛ لينتهي بمقبض بيضاوي أو أسطواني الشكل، ويخترق العصفور جداري الخزنة عمودياً ماراً داخلها، وبالطريقة نفسها تركب عصفورتان من الناحية الأخرى.
4. السبيب (الوتر): هو شعر ذيل الحصان أو الفرس الذي يصنع منه وتر الربابة، ووتر القوس كذلك، وتؤخذ مجموعة من هذا الشعر وتجمع إلى بعضها، وتُربط من أطرافها بخيط متين؛ ليتكوّن منها وتر القوس أو الربابة.

وتر من سلك الصلب الرفيع، يربط في حلقة معدنية قطرها 2 سم تقريباً، تدخل في السفود من ناحية الصندوق المصوت لتلتصق بجار الجوزة، ويمتد الوتر فوق السطح الجلدي للجوزة، مرتكزاً على قطعة من الخشب تعرف بالكعب، ويمتد الوتر ليدخل عن طريق الخزنة في ثقب ضيق يتوسط عمود العصفورة، وبلف العصفورتين يشد الوتران.

5. الحزام أو الدليل: خيط يلف حول محيط الساعد أسفل الخزنة؛ ليحدد بداية مطلق الوتر من أعلى، ويمكن ضبط الأوتار بتحريكه، ويمكن أن يستبدل بـ«أستيك»؛ ليكون أكثر التصاقاً وأماناً من الخيط؛ لأنه يتحرك بسهولة، وهذا من اختراع المصريين في الربابة المصرية.
6. الفرس: قطعة مستطيلة من الخشب ترتكز على سطح الرقمة الجلدية لتشد فوقها الأوتار، وأحياناً تستبدل بـ«قش الذرة»، وتسمى شاطية: توضع تحت الطرف السفلي لوتر الربابة، فترفعه عن الطارة حتى لا يلامسها عند العزف والضغط عليه، حتى يظهر الصوت بشكل طبيعي.
7. القوس: يصنع في الغالب من عود الرمان أو الخيزران لمرونة هذه العيدان وطراوتها، وقد يصنع من عيدان أخرى تؤدي الغرض نفسه. وللقوس اسمٌ آخر هو السَّوَّاق، لمروره ذهاباً وعودة على وتر الربابة. طوله نحو 54 سم، وقطره 1.5 سم، يقوس تقويساً خفيفاً، ويربط طرفاه بخيوط من شعر الخيل أطوالها 40 سم، ويزداد تقوس الخيزرانة عندما يشد العازف الشعر أثناء الأداء، ويخشن الشعر بدلكه بالرجينة لتقوية احتكاكه بالوتر.
8. الكَرَّاب: (مفاتيح الربابة): هو قطعة خشبية تثبت بأعلى العصا، يتم بها شد وتر الربابة، وهو المشدّ الذي يكون في الطرف البعيد من عصا الربابة، ووظيفته شدّ وتر السبيب إلى الدرجة المطلوبة، والفعل كَرَبَ يكْرُبُ بمعنى شَدَّ يشدّ.

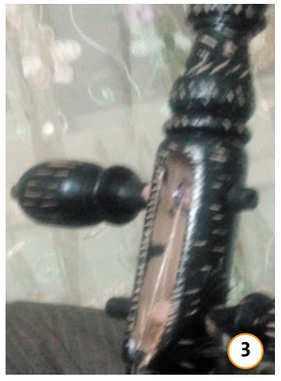

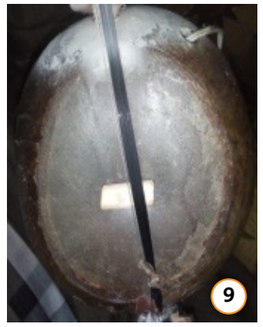

9. المخـدّة: هـي قطعـة قـماش صغـيرة توضـع تحـت نهايـة الوتـر عنـد آخـر سـاق الربابـة، وظيفتهـا كوظيفـة الغـزال في الجهـة المقابلـة.
10. الألفونيـا: وهـي عبـارة عـن قطعـة صمغيـة تشـترى مـن العطاريـن، وتسـتخدم عنـد الحاجـة لهـا لدعـك السـبيب الوتـر الشـعر، وتخشـينه حتـى يخـرج الصـوت بشـكل سـليم.

**الفرق بين الربابة البحري القبلي:**

الربابـة القبلي: كانـت في بدايـة الأمـر، تتكـوّن مـن وتريـن، واحـد شـعر الحصـان، ثـم أضيـف إليهـا وتـر آخـر أيضـاً شـعر، ويطلـق عليهـما اسـم، القـوال والـرداد. ولكنهـما لا يكمـلان السـلم الموسـيقي.

ثـم تـم اكتشـاف وتـر السـلك ليحـل مـكان وتـر الـرداد، ومـن هـذا الوقـت انتـشرت هـذه الربابـة التـي بهـا وتـر شـعر، والآخـر سـلك بـين جميـع عـازفي الربابـة في مـصر ليعـزف عليهـا الجميـع بسـهولة.

يضبـط الوتـر الشـعر عـلى درجـة الصـول، ويضبـط وتـر السـلك عـلى درجـة الـري حتـى يكتمل السـلم الموسـيقي. وهنـاك نوعان مـن العازفين: عـازف يصنع ويعـزف عـلى الربابة، وعـازف يعزف عـلى الربابة فقط، والثالـث هو صانـع للربابـة فقط.

**مقابلة مع عازف الربابة الفنان محسن شيمي:**

يقـول إنـه: يجـب أن تكـون للعـازف القـدرة عـلى التطـور، حيـث كانـت الربابـة بوتـر واحـد لا تقـدر عـلى عـزف الأغـاني بشـكل كامـل، ولكـن بعـد إضافـة وتـر السـلك سـهلت مهمـة العـازف. ويفضـل العـزف عـلى الطبقـات الوسـطى مثـل بيـاتي عـلى درجـة الحسـيني (لا) أو راسـت عـلى درجـة الحسـيني (لا) لأنهـا طبقـات لامعـة، ويمكـن للعـازف أن يغنـي عـلى درجـة الجـواب لهـذه الطبقـة، وتكـون الأفضـل للعـازف، ثـم عـزف أغنيـة أنسـاك للسـيدة أم كلثـوم بشـكل أكـثر مـن رائـع.

**الخلاصة:**

إن الربابـة آلة بسـيطة، لكنهـا بفضل الإضافـات التي تمـت عليها، أصبح لهـا تأثير قوي وفعّـال في المجال الفني؛ وذلك بعد تطورها لتعزف السـلم الموسـيقي كامـلاً، وبالتالي، تسـتطيع ومـن خلال مهـارة العازف أن تـؤدي أي أغنيـة إذاعيـة، لتواكـب أحـدث الآلات ا لمو سيقية .

# الكلاب
## في الأمثال العدنية

**د. شهاب غانم**
كاتب - الإمارات

الـرأي الشرعـي الغالـب في الإسـلام بخصـوص اقتناء الكلاب، هـو أنه لا يجوز اقتنـاء الكلاب إلا لصيد أو حراسـة ماشـية وزرع، ويجـوز اتخاذه لحراسـة الـدور، بشرط أن تكون خـارج المدينة، وبـشرط عدم توافر وسـيلة أخرى، ولا ينبغـي للمسـلم تقليـد الكفـار بلمس فـم الكلب، وتقبيله مسـبب لأمـراض كثيرة.

ولذلـك ينـدر أن تجد بـين سـكان مدينة عدن مـن العرب المسـلمين مـن كان يتخذ كلبـاً لحراسـة البيـت ويدخله المنـزل. وكانت هنـاك كلاب ضالـة في الشـوارع تتعرض أحيانـاً لتصفية من الشرطة، خصوصاً إذا اشـتكى السـكان أذاهـا. ولكـن كان هنـاك في زمـن الاسـتعمار جمعية للرفق بالحيـوان تعالـج الكلاب.

ومـن الأمثـال العربيـة القديمـة عـن الـكلاب «الـكلاب تنبـح والقافلـة تسـير». ومـن الأمثال العربيـة الشعبية «إن كان لك حاجـة عنـد الكلـب قـل لـه يـا سـيدي»، ومـن الأمثـال المصريـة «كلـب الباشـا باشـا» و«ذيـل الكلـب عمـره مـا يعتـدل».. إلـخ.





**ومن الأمثال العدنية عن الكلاب:**

1. كلب ينبح والناس يُسقلنّه.
أي النـاس يتجاهلونـه. وهـو يعـادل الـكلاب تنبـح والقافلـة تسير .
2. كلـب ينبـح وجمـل يسـتجر (أو يجـتر). وهـو قريـب مـن المثـل السـابق، فالجمـل يسـتمر في اسـتجرار الطعـام مـن سـنامه، ولا يلقـي لنبـاح الكلـب بـالاً.
3. كلـب ينبـح عـلى الشـمس والقمـر. وقـد يطلـق عـلى الإنسـان الـذي يتخاصـم مـع مختلـف النـاس. ومثـل ذك المثـل «قبيـح وكلـب نبيـح».
4. الكلـب الخيبـة يشـتم صاحبـه. ويقـال للشـخص السـفيه الـذي لا ينجـو مـن لسـانه حتـى أقاربـه وأصحابـه.
5. حشّـم الكلـب مـن أجـل مـولاه. ومقـارب لـه المثـل العدني «لحاجتـك للكلـب سـميه الحـارس» أو المثـل «إذا أنـت في حاجـة الكلـب سـميه أبـو الحـارث». أي سمّهِ.
6. أعـوج مـن ذنـب الكلـب (أي ذنـب). ويقـال للشـخص عديـم المرونـة، وهـو يعـادل المثـل الشـعبي العـربي «ذيـل الكلـب عمـره مـا يعتـدل». وهنـاك مثـل عـدني آخـر هـو «أنجـس مـن ديـل الكلـب»؛ (أي ذيـل الكلـب)، ويقـال للشـخص الخبيـث الـدنيء.
7. وهنـاك مثـل عـدني يقـول «كلـب الأخـدام يِهَـب ويندم»، ويقـال لمـن يعطيـك شـيئاً ثم يحـاول أن يسـتعيده.
8. وهنـاك مثـل يمنـي شـائع الاسـتعمال في عـدن يقـول «مخبـي لـه الكلـب تحـت الشـملة»؛ أي مخبـئ لـه شراً. والشـملة قطعـة قـماش عريضـة يلبسـها الرجـال والنسـاء فـوق الملابـس، وتسـمى أيضـاً الشـال.
9. وهنـاك مثـل عـدني يقـول: مـع ورور والكلـب الأعـور؛ أي فليذهـب إلى الجحيـم. وكلمـة ورور اخترعـت هنـا لتعنـي الداهيـة أو الجحيـم بسـبب مناسـبتها للسـجع.
10. المحتاج ابن عم الكلب.
11. سره في جحـر كلـب؛ أي سره عميـق مـن الصعـب الوصـول إليـه.
12. الكلب ما يجدم كلب؛ أي الكلب ما يعض أخاه.
13. جـوّع كلبـك يتبعـك. وهـو مثـل عـربي شـعبي شـائع. ويشـبهه مثـل عـدني يقـول «البـس يحـب خانقـه»؛ أي القـط يحـب الشـخص الـذي يخنقـه. وهـو يصـف الشـخص المصـاب بـ«الماسوشـية».
14. لا تخـاف مـن الدولـة وخـاف مـن كلابهـا؛ (أي خَـفْ) والـكلاب هنـا تعنـي الجواسـيس أو الذيـن يتقربـون للسـلطة بالتبليـغ عـن المواطنـين بخصـوص أمـور قـد تكـون تافهـة أو مفبركـة.
15. دية الجزار ثلاثة كلاب.
16. حُبّـه وحـب أحبابـه وحـب الكلـب الـذي عـلى بابـه؛ (أي أحبـه)، ويذكرنـا بالمثـل المـصري كلـب الباشـا باشـا، أو بالمثـل اللبنـاني كلـب المـير مـير.
17. مـا مَـرّة تحـب مـرة، ولا كلـب يحـب غريـب. أي لا توجـد امـرأة تحـب امـرأة، ويخلـط صاحـب هـذا المثـل رأيـه المتطـرف بتوجـس الـكلاب مـن الغربـاء.
18. ابـن الابـن ابنـي، وابـن البنـت لا لحـم الكبـش يـؤكل ولحـم الكلـب لا. وهـو مثـل متطـرف، ويذكرنـا بيـت مـن الشـعر يقـال إنـه للفـرزدق:
بنونا بنو أبنائنا وبناتنا  بنوهن أبناء الرجال الأباعد
19. والكلـب كلـب ولـو طوقتـه بالذهـب، وهـو مثـل شـعبي عـربي أيضـاً.
20. كلـب حـي خـير مـن أسـد ميـت. وهـو مثـل موجـود في مختلـف اللغـات؛ لأنـه مأخـوذ مـن الكتـاب المقـدس.

# الأشجار في الإمارات..

## ذاكرة الروح ومكان البوح

د. جيهان الياس
كاتبة ـ السودان

تُعد الأشجار من أهم الكائنات الموجودة على سطح الأرض، لما تقوم به من أدوار عديدة، كالمحافظة على التوازن البيئي، وتقليل آثار التغير المناخي، كما لها فوائد متنوعة، جميعها يصب في مصلحة الإنسان والبيئة؛ لذلك اهتمت دولة الإمارات العربية المتحدة اهتماماً كبيراً بالأشجار، التزاماً بوصية المغفور له، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه،



فآراء الخبراء الزراعيين الذين أفادوا باستحالة نمو الأشجار في الطبيعة الصحراوية لم تقف عائقاً أمام عزيمته وإصراره على زراعة الأشجار في المنطقة، فقد كان حريصاً على التشجير، رغم الجفاف وشحّ المياه، فكانت الأرض خصبة وساعدت على نمو الأشجار، وأكثر ما يميز الأشجار في الإمارات أنها متنوعة ومنتشرة ومعمرة، ومن هنا أخذت مكانة مرموقة لدى الإماراتيين، لما تمثله من أدوار تجعل المواطن أكثر ارتباطاً بها، خصوصاً الأشجار المعمرة، فهي تمثل تأريخاً قديماً للدولة، وموروثاً أصيلاً يمتد عبر الأجيال، ويحمل روح المكان وذكريات الماضي الجميل.

تعد الأشجار المعمرة في الإمارات رمزاً أصيلاً من رموز الدولة، وتحمل موروثاً شعبياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وجمالياً، ويشهد التأريخ على الدور الذي كانت تقوم به الأشجار في الإمارات، وأسهمت ظلالها الوارفة في ارتباط أبناء الدولة بها، وجعلها المكان المناسب لإقامة المنتديات الثقافية، حيث كانت تمثل المجلس الجامع لكل الناس، وفيها تتم مناقشة بعض الأمور المجتمعية والقضايا الأسرية، ويتبادلون النصائح في بناء جيل واعٍ يحافظ على البيئة وجميع الموروثات، فكانت أغلب مجالسهم لا تخلو من الوصايا التربوية، ومن أهمها التواصل (صلة الرحم)، وتفقد الجيران. وللأشجار أهمية كبيرة في سابق الزمان، حيث أقيمت العديد من خلاوى تحفيظ القرآن تحت ظلال أشجار الغاف والسدر والقرط، كما كانت تمثل المكان الأنسب لممارسة بعض الحرف مثل النجارة، وغيرها من الحرف اليدوية، إضافة إلى أنها تمثل سوقاً يجتمع فيه التجار لعرض بضائعهم وبيعها.

### شجرة النخيل.. أجمل ملامح الشارع الإماراتي

تعدّ أشجار النخيل جزءاً أصيلاً من الهوية التأريخية والثقافية بدولة الإمارات العربية المتحدة، وكذلك هي موروث شعبي ممتد يحظي باهتمام كبير من قبل الدولة والمواطنين، فهي تمثل قيمة تراثية ذات فوائد غذائية جمة، كما لها إسهامات عديدة في خدمة النظام الأيكولوجي، حيث شكلت أشجار النخيل لعقود طويلة محوراً اقتصادياً أساسياً يعتمد عليه الإماراتيون في السابق، حيث كانت المصدر الوحيد لهم، ووجدت اهتماماً كبيراً من قيادات الدولة والمواطنين إلى أن قفز عددها لأكثر من 41 مليون نخلة، وتحققت هذه النجاحات بتخطيط من المغفور له، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، عندما قال مقولته المشهورة «أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة»، فكانت زراعة النخيل في الإمارات

مـن أساسـيات مشروعـه الزراعـي، وتطـور المـشروع وأصبح ينتـج أنواعـاً عديـدة مـن أجـود التمـور في العـالم، والتمـر هـو الضيافـة الأولى في الدولـة، ويتـم تقديمـه مـع القهـوة العربيـة كثقافـة ومـوروث ممتـد ومتواصـل عـبر الأجيـال، وتقليـد متعـارف عليـه في جميـع المناسـبات.

**شجرة الغاف.. رمز الاستقرار والسلام في الصحراء**

تعـدّ شـجرة الغـاف (صديقـة البيئـة) مـن أشـهر الأشـجار الوطنيـة والتراثيـة المعمـرة؛ أي أنهـا تمتـاز بخصائـص عديـدة تجعلهـا تتكيـف مع مختلـف أنـواع البيئـة، فبإمكانها أن تنمـو في الصحـراء، ولا تتأثـر بدرجـات الحـرارة المرتفعـة أو المنخفضـة، لذلـك تعـد رمـزاً للتعايـش والصمـود، كـما أنهـا تمثـل قيمـة ثقافيـة عاليـة داخـل الدولـة، مـا جعلهـا رمـزاً للتسـامح بالإمـارات في العـام (2019)، باعتـماد رسـمي مـن صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن راشـد آل مكتـوم، نائـب رئيـس الدولـة رئيـس مجلـس الـوزراء حاكـم دبي، رعـاه اللـه، وكان سـبب اختيارهـا أنهـا ترمـز للسـلام والاسـتقرار، حيـث كانـت تمثـل مجلساً يجتمـع فيـه شـيوخ الدولـة لمقابلـة المواطنـين ومناقشـة أمورهـم الحياتيـة، فقـد ارتبطـت شـجرة الغـاف بـتراث الدولـة وهويتهـا، وكان قـد أصـدر المغفـور لـه، الشـيخ زايـد بـن سـلطان، طيّـب اللـه ثـراه، قوانـين يمنـع فيهـا قطـع هـذه الشـجرة في جميـع أنحـاء البـلاد، فهـي شـجرة نـادرة جـداً، لكنهـا توجـد بكـثرة في دولـة الإمـارات، خاصـة في منطقـة دبي، وحظيـت شـجرة الغـاف باهتـمام كبـير مـن قبل المسـؤولين بالدولـة، وكذلـك المواطنـين، كـما أخـذت حيـزاً مقـدراً في مناهـج التعليـم للتعريـف بهـا كشـجرة معمـرة لهـا فوائـد عديـدة، مثـل مكافحـة التصحـر، وصناعـة الخشـب، كـما يمكـن اسـتخدام ورق شـجرة الغـاف في صناعـة الأدويـة المتخصصـة في عـلاج التهـاب الحلـق، وبعـض مسـتحضرات التجميـل، وأكـثر مـا يميـز شـجرة الغـاف عـن غيرهـا أن أخشـابها لا تصـدر دخانـاً عنـد احتراقهـا، وهـذا مـا جعلهـا أكـثر اسـتخداماً في الطهـي، ويسـتفيد مـن صمغهـا صانعـو الفخـار لطـلاء منتجاتهـم، ومـن ضمـن الفوائـد أيضـاً أن ثمارهـا تطحـن ويُصنـع منهـا الخبـز الغنـي بالبروتينـات.

**شجرة السدر**

تمثـل جـزءاً أصيـلاً مـن الـتراث الإمـاراتي العريـق، وكلنـا نعلـم أن هـذه الشـجرة العظيمـة مـن أشـجار الجنـة، وذكـر اسـمها في القـرآن الكريـم، وكانـت ثمرتهـا (النبـق) أول مـا أكلـه النبـي آدم، عليـه السـلام، عندمـا نـزل إلى الأرض، وتكمـن عظمـة هـذه الشـجرة في أن لـكل جـزء منهـا فوائـد تعـود بالنفـع عـلى الإنسـان، حيـث تعتـبر ثمارهـا مصـدراً للطاقـة، وبذورهـا غنيـة بالبروتـين، وتحمـل أوراقهـما كميـات كبـيرة مـن المغنيسـيوم والحديـد والكالسـيوم، ويدخـل لحـاء الجـذع في صناعـة المسـتحضرات الطبيـة، كـما يسـتخدم رمادهـا في عـلاج لدغـات الأفاعـي، ولعسـل السـدر الخـام ميـزات صحيـة وطبيـة، إذ يحتـوي عـلى المعـادن والفيتامينـات التـي يحتاجهـا جسـم الإنسـان.

**شجرة السنط.. صيدلية دواء لأغلب الأمراض**

تعـد شـجرة السـنط مـن الأشـجار الصديقـة للبيئـة؛ لتحملهـا درجـات الحـرارة العاليـة، وكذلـك الـبرودة العاليـة والجفـاف والرطوبـة، كـما تتحمـل الملوحـة والفيضانـات المتوسـطة، وتنمـو وتنتـشر في الإمـارات، وبالأخـص في منطقـة أبوظبـي، حيـث تشـكل هـذه الشـجرة مصـدراً مفيـداً للإنسـان والحيـوان، فأجزاؤهـا الخـضراء ملائمـة لرعـي الحيوانـات، كـما يمكـن الاسـتفادة مـن أخشـابها في صناعـة الأثـاث المنـزلي، وصناعـة القـوارب، ويسـتخدم الحطـب في صناعـة الفحـم، وكحطـب للوقـود، أمـا ثمارهـا (القـرض) فتسـتخدم في دباغـة الجلـود وصناعـة الصمـغ العـربي، ويدخـل القـرض في صناعـة بعـض الأدويـة الكيميائيـة، وينصـح بـه المتخصصـون في الطـب البديـل كعـلاج للالتهـاب الرئـوي وعـدد مـن الالتهابـات الرئويـة، وهـو ذو مفعـول سريـع في عـلاج الكحـة، أمـا مسـحوق الجـذور فهـو أفضـل عـلاج لآلام الأسـنان والصـدر والسـيلان، بينـما تضـاف أوراق السـنط مـع الصمـغ بعـد طحنهـا وتوضـع عـلى الـبرص كعـلاج لـه، كـما تسـتخدم في عـلاج الإسـهال، وبعـض الأمـراض الجلديـة التـي تكـون بـين أصابـع اليـد والقدمـين، كـما تصنـع جبـيرة الكسـور مـن ورق السـنط والصمـغ والمـاء، وتمـزج جيـداً وتوضـع عـلى مـكان الكسـور، ولعـلاج الجـرب والـدود، وعصـارة القـرض تريـح الأعصـاب، وتعمـل عـلى تقويـة البـدن، وأكـثر مـا يميـز نبـات السـنط الطبـي أنـه سريـع للغايـة في عـلاج المـرض.

**الأراك.. شجرة السواك**

أكـثر مـا يميـز هـذه الشـجرة تحملهـا الملوحـة الزائـدة، ويسـهم الـري العميـق في تحسـين مظهـر هـذه الشـجرة، ولهـا إمكانيـة عاليـة في اسـتصلاح الأراضي الملحيـة؛ لأنهـا تقـاوم الملوحـة، وتعـدّ أوراقهـا مـن أجـود أعـلاف الحيوانـات، وتسـتخدم كمصـدات للريـاح، ومثبـت للكثبـان الرمليـة. وأشـهر مـا يميـز هـذه الشـجرة إنتاجهـا السـواك الطبيعـي، حيـث تنتـج جذورهـا أعـواد السـواك، وتكـون ممتـدة في التربـة بشـكل عـرضي، ثـم يتـم تعديـل شـكلها وسـمكها لتناسـب اسـتخدامها كسـواك، يحتـوي عـود الأراك عـلى فوائـد عـدة، مثـل السـيليكا التـي تعمـل عـلى إزالـة بقـع الأسـنان، والصمـغ الـذي يعمـل عـلى تكويـن طبقـة واقيـة تمنـع التسـوس، ومـادة العفـص التـي تعمـل عـلى تحفيـز إنتـاج اللعـاب داخـل الأضراس.

شـكلت الأشـجار في الإمـارات الهويـة الثقافيـة الوطنيـة التـي تعـبر عـن الوجـدان وقدسـية المـكان الزاخـر بالذكريـات، وللأمكنـة قيـم ودلالات، أولهـا الارتبـاط بالعقـل الباطـن الـذي يحتفـظ بالبيـت الأول في الحيـاة؛ لأنـه الأهـم والبدايـة الحقيقيـة لتكويـن ذاكـرة الإنسـان، لذلـك تعـد الأشـجار مصـدر إلهـام للكُتـاب والشـعراء والمبدعـين مـن محبـي الخـضرة والطبيعـة والتأريـخ.

# ملامح من الحياة الفكرية والعلمية بتافيلالت

## عشية ظهور الدولة العلوية

سكينة الرشيد
كاتبة – المغرب

لكل أمة تراث، هو عنوان شخصيتها الوطنية، ويعبر عن مدى قدرة عقليتها، ويحدد مدى عبقريتها[1]. تافيلالت كانت، ولاتزال، من المدن المغربية التي يشهد لها التاريخ بعبقرية أبنائها، وإنجابها العديد من العلماء والأدباء والشعراء، فإلى جانب صناعة «المعول» كانت هناك صناعة «العرفان»؛ أي صناعة القلم والكتابة والتأليف[2].

وأهم ما ميز الفكر المغربي بصفة عامة خلال هذه الفترة، غلبة الفكر الصوفي السنّي، حيث نشطت الزوايا وقامت بحركة علمية حققت نشاطاً تفاوتت فعاليته، فلم يكن عملها يقتصر على الذِّكر والأوراد ونشر الوعي الفكري في مختلف نزوعاته فحسب[3]، بل تعداه إلى التدخل في مجريات الأحداث السياسية التي عرفها المغرب، في محاولة منها لإيجاد حلول لازمة للسلطة، وتحولت بذلك من زوايا ذات نفوذ روحي إلى زوايا ذات إشعاع سياسي، تتدخل في دواليب الملك والسلطة، الشيء الذي جعل المغاربة يرون فيها المنقذ الروحي والموجه السياسي نحو الخلاص.

تافيلالت لم تسلم من تسرب نفوذ الزوايا إليها، فقد تنافست عليها كل من الزاويتين السملالية والدلائية، وأصبحت مسرحاً لصراعهما، غير أنها ما لبثت أن استغنت عنهما، واختارت النسب الشريف المتمثل في العلويين من أجل إنقاذ الأمة، وكانت بذلك فكرة الشرف بالانتماء إلى النسب النبوي، وفكرة الرئاسة لضمان الوحدة الوطنية من المؤهلات التي تميز بها نمطهم الفكري، بسبب ما نالوه من الحظوة والتقدير لدى العامة والخاصة، ومن ثم فإن فكرة الشرف عند العلويين في

سجلماسة كانت البديل عن الزاوية، باعتبارها مؤسسة دينية لها بعض السلطة، فحقق بذلك العلويون تطوراً في رؤية الأحداث، مكّنهم من توحيد المغرب تحت إمرتهم، مبتعدين عن أي تشييع[4]، واحتووا بذلك نفوذ الزاوية وتقلص دورها إلى أن اضمحلت نهائياً كالدلائية والسملالية، وأقيمت زوايا أخرى هدفها التوعية العلمية والدينية في إطار مذهب مالكي يعتمد الاعتدال والتوسط، كما شجعوا على الدراسة على غرار ما فعل المولى الرشيد، بعد أن قضى على الزاوية الدلائية في محاولة منه للقضاء على نفوذ الزاوية العلمي[5].

وهكذا عرف الأدب في العصر العلوي ازدهاراً جديداً تميز بتعدد الاتجاهات والنزاعات الفكرية والسياسية. وإن بقي الاتجاه الديني سائداً وملوناً أغراض الشعر بألوانه، وهذا الاتجاه هو الذي سيحفظ للمغرب تميز أدبه عن الشرق الذي أثر فيه غزو التتر والمغول، فأصاب الأدب واللغة ضعفاً بادياً، أما سلامة المغرب من ذلك فقد أتاح للعربية أن تنمو في بيئة عرفت بكثرة مراعيها العلمية[6].

ويشهد التاريخ كذلك لسلاطين الدولة العلوية بمكانتهم العلمية، فقد كان كثير منهم علماء وأدباء

وشعراء، بل هناك فيهم من زهد في الملك من أجل العلم كشخصية مولاي علي الشريف الذي زهد في الملك، وقال «يكفيني منصب العلم»[7]. كذلك المولى الحسن الداخل، رجل الحلم والعدل وصاحب الفضل في دخول علم البيان إلى المغرب.

أما عن علماء تافيلالت، فكتب الآداب والشعر خير شاهد على العالم أبو سالم العياشي، الذي عايش الظروف السياسية التي عرفها المغرب في أواسط القرن الحادي عشر الهجري، وهو شخصية حظيت بكل تقدير معاصريها ومترجميها، فقد حلوه بأحسن الأوصاف وكريم الأخلاق، ففي اهتمام أبي سالم بالتصوف، قال عنه الفاسي «حسن الظن في جميع الخلق، كثير الزيارة لمن يتوسم فيه الخير»، وقال عند الأفراني «له شعر حسن الغاية»[8].

إلى جانب الشعر المنظوم على الوزن والقافية والتفعيلة، اشتهرت منطقة تافيلالت بالزجل أو فن الملحون الذي يمثل أحد الأشكال التي تفنن المغاربة في إبداعها، متوسلين بلغة غير معربة. وإن كانت في معجمها (العامي) تحاول أن تبتعد قليلاً عن اللسان الدارج المتداول. وأن تقتبس بعض ما يجعلها تقترب من اللغة المدرسية مع التصرف في الصيغ، واعتماد جوانب بلاغية، والارتقاء بفنية

الأسلوب. وقد أبدع فيه أبناء تافيلالت نظماً وأداء، فكم ظهر فيها من شعراء وقصائد مازال المغاربة يتغنون بها ويطربون، أزجالاً جمع فيها ناظموها بين جودة اللفظ وحسن المعنى[9].

وقد أطلقت على هذا الفن أسماء كثيرة دالة في معظمها على جانبه الإبداعي مثل «الموهوب» و«السجية» و«الشعر» و«النظم أو النظام» و«القريض» و«لوزان» و«اللغا» و«العلم الرقيق» و«الكريحة». ولعل أبرزها جميعاً مصطلح «لكلام» الدال بقوة على عدم التغني، لاسيما حين يميز بينه وبين مصطلح «الآلة» الذي يقصد به التوقيع اللحني المصاحب بالآلات الموسيقية أو «لماعن»، الذي ارتبطت تسميته بالموسيقى الأندلسية التي تشكل مع الملحون أبرز الأجناس الفنية بالمغرب.

وإذا كنا نربط «الملحون» بالأزجال، فلاعتبارنا أن الزجل في أصل استعماله الأدبي يطلق على الشعر الشعبي، قبل أن يرتبط بما أنتجه أبو بكر بن قزمان من أزجال أندلسية. وغير خاف أنه عاد اليوم ليطلق عند العرب على كل شعر يبدع باللغة العامية. ولاسيما مقطوعاته القصيرة القابلة للتلحين والغناء، إلى جانب احتفاظه بمدلوله الأندلسي، وغير خاف كذلك أن المغاربة، وضعوا لشعرهم تسميات كثيرة هي التي أشرنا إليها[10].

لقد برز في تافيلالت أعلام في فن الملحون، ومنهم من كان له الفضل الكبير في تطور القصيدة الزجلية كعبد الله بن احساين، صاحب مدرسة وأستاذ جيل بأكمله تنوعت قصائده، لكنها كانت في أغلبها في مدح الرسول، عليه الصلاة والسلام، وآل بيته الكرام. ثم هناك عميد زجالي العصر الذي عاش في النصف الثاني من القرن العاشر وأول الحادي عشر. عاصر المنصور، بل رثاه في قصيدة سمّاها «العزو»، إنه عبد العزيز المغراوي أو «شجرة الكلام»، كما وصفه الأشياخ، كان من أهل العلم وذوي الزهد والورع.

وهو أول من دعا إلى اعتماد الدندنة في قصائد الملحون مقياساً وصروفاً لوزن الأبيات، باعتبارها مقياساً موسيقياً يقوم على الإيقاع لضبط التفعيلة، وفق ما يمكن تطبيقه على «حربة» قصيدة «المزيان» لقدور العلمي:

حن واشفق واعطف برضاك يا المزيان
لا اسماحا ميعاد الله يا الهاجر



دان داني يا داني دان دان يا دان
دان داني يا داني دان دان داني.

ولعل أهم ما ميز هذا الهرم هو اعتزازه بأصله، فقد كان شعراء فاس يعيرونه بصحراويته، ليرد عليهم معتزاً بأصله ونسبه:

فيلالي با حزين ما نكر حسبي من جد لجد
من قريش إلى عثمان

اشتهر كذلك بنظمه في جميع المجالات، وتطرقه للعديد من الموضوعات. هناك أيضاً المصمودي، وابن عبد الله بن احساين وغيرهم كثير، أنجبتهم تافيلالت وفاقت شهرتهم الآفاق، لا ننسى أيضاً حضور الأسرة العلوية في فن الملحون كالسلطانين سيدي محمد بن عبد الله وسيدي محمد بن عبد الرحمن، ولا يمكن الحديث عن تافيلالت دون الحديث عن صناعة البناء والهندسة المعمارية فيها، وكما أن الأنغام الفيلالية تختصر الأنغام المغربية، فقد كانت الأشكال الهندسية بهذا الإقليم ملخصاً للأشكال الهندسية المغربية برمتها، وتأثير القصبة الفيلالية أو البناء على شكل قصبة ملموس بجميع ربوع المغرب والآثار خير شاهد على ذلك.

وتبقى تافيلالت تحظى بكل خصوصيات التميز والانفراد؛ لأنها تميزت في كل شيء، وجمعت بين كل التناقضات؛ بين الاستقرار والترحال، وبين صناعة المعول وصناعة القلم، والفقه والسنة، والشعر والملحون، والموسيقى والنغم، والبناء والهندسة المعمارية.

ليبقى أهم ما يميزها هو سياسة تدبير شؤون الناس والتحكيم في نزاعاتهم، وتوجيههم والاستعانة بهم عند الحاجة للدفاع عن الوطن[11].

---

1. الجراري عباس، القصيدة، مكتبة الطالب الرباط، 1970، ص.
2. بوطالب إبراهيم، مرتبة إقليم تافيلالت، ص30.
3. علوي بنصر عبد الله، من أعلام الفكر والأدب في فجر الدولة العلوية، أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، المحمدية، مطبعة فضالة 1988، ص42.
4. علوي بنصر عبد الله، مرجع سابق، ص40.
5. علوي بنصر عبد الله، م س، ص 43.
6. علوي بنصر عبد الله، م س، 51.
7. الرباطي الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان 1043هـ/1633م-1238ه/1812م، دراسة وتحقيق الأستاذ محمد البوزيدي الشيخي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ص101.
8. علوي بنصر عبد الله، م س، ص 109.
9. بن منصور عبد الوهاب، ندوة نشأة الدولة العلوية الشريفة، الريصاني 1988، ص6.
10. موسوعة الملحون، ديوان الشيخ عبد العزيز المغراوي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث، الرباط 2008، ص18. -
11. بوطالب إبراهيم، مرتبة إقليم تافيلالت في تاريخ المغرب، نشأة الدولة العلوية الشريفة، الريصاني، مارس 1988، ص 10.

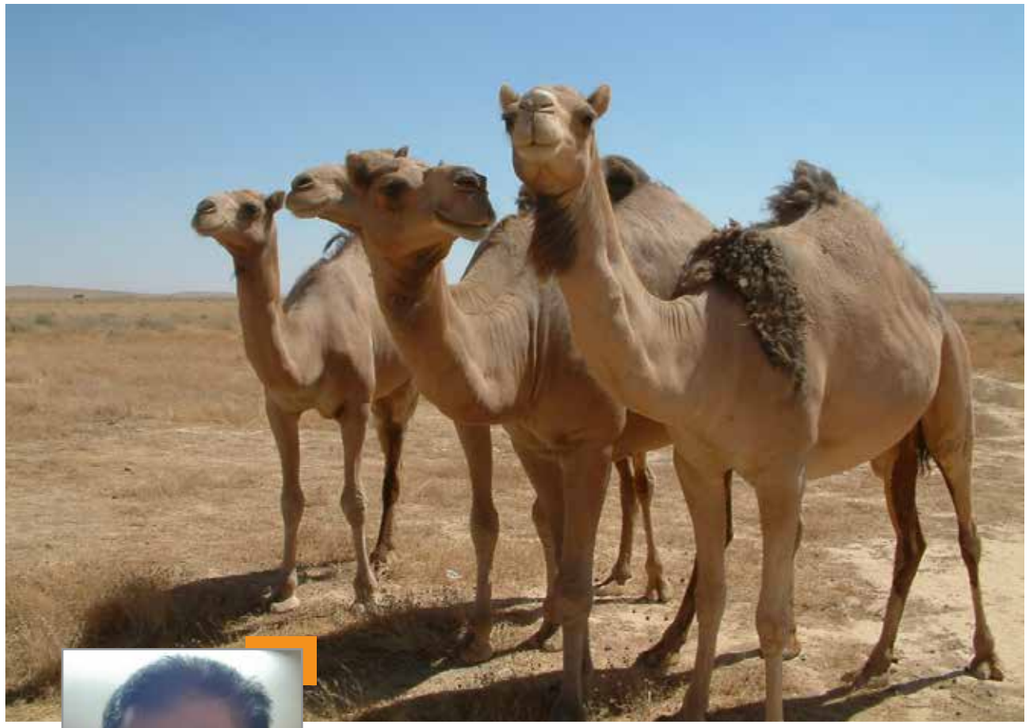

# الهجن والهجّانة:

## تراث بدوي سوري عريق وتقاليد متوارثة خاصة بالإبل

**هشام عدرة**
كاتب وصحافي ـ سوريا

تشتهر البادية السورية التي تتوزع على عدد من المحافظات، منها حمص وحلب ودمشق ودير الزور والحسكة والرقة، ومركزها الأهم مدينة تدمر التي تعدّ عاصمة البادية السورية، ومعها مناطق الغوطة الدمشقية، خاصة الشرقية منها، كبلدات دوما والضمير والرحيبة وغيرها، بتربية (الإبل)، حيث توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد، واهتموا برعايتها، خاصة (الإبل الشامية) التي تعدّ سوريا الموطن الأصلي لها، بالإضافة إلى سلالات أخرى من الإبل الموجودة في البادية، إذ تم تأسيس العديد من مراكز الأبحاث الخاصة بالإبل، والتي تتبع وزارة الزراعة السورية، والمركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد)، التابع لجامعة الدول العربية، ومقرّه الدائم العاصمة السورية دمشق.

وأشارت دراسة للمركز العربي لبحوث الأراضي الجافة والقاحلة إلى أن هناك سلالات أخرى توجد في سوريا، مثل (إبل الحرة) التي تنتشر في المناطق كثيرة الحصى والحجارة، وتتميز ببروز قصبة الأنف، وأوضحت الدراسة أن أسماء متعددة تطلق على الإبل، منها البعير والنوق وحمر النعم التي تنتشر في بادية الشام، وتختلف أسماؤها من قبيلة إلى أخرى، إذ تسمى (العيس وفاطر وذلول ومطية وبعير)، وتسمى حسب ألوانها، فمنها (الأوضح)، وهو الجمل ذو اللون الأبيض، و(الأصفر) ذو اللون الأصفر الباهت، و(الأحمر) ذو اللون البني أو البني المحمر، و(الأزرق) ذو اللون الرصاصي، و(الأشقح) ذو اللون الأزرق الفاتح و(أبيض القوائم الأمامية)، و(الأملح) أو (الأسود) ذو اللون الأسود، و(الأشهل) ذو اللون الأشقر، و(الأعطر) وهو بين الأبيض والأشقح، وقد أقاموا لها المهرجانات التراثية والسياحية، واستفادوا منها في التنقل والطعام.

كما انتشرت في الأسواق التراثية بالمدن السورية الكبرى ورش تصنيع مستلزمات الإبل بشكلها اليدوي، ومنها الهوادج الخشبية، ومفردات الزينة الخاصة بالإبل، وكان الأميز في تراث الإبل هو(الهجن) و(الهجانة)، وهما من التقاليد المتوارثة الخاصة بالإبل، حيث صار لها قواعد ومفاهيم خاصة بها، ولايزال مربو الإبل السوريون محافظين عليها، حتى إنّ إحدى القرى السورية أخذت اسمها من هذا التراث، وتدعى (الهيجانة) وتتموضع في غوطة دمشق الشرقية، وتتبع منطقة دوما، وتبعد عن العاصمة دمشق نحو 30 كلم، كذلك لايزال يُطْلَق على حرس الحدود السوريين المنتشرين في مناطق البادية والمجاورة لدول العراق والأردن لحماية الحدود من المهربين اسم «كتائب وسرايا الهجّانة»، وقد انطلقت عام 1945 مع تأسيس الجيش السوري النظامي.

في حوار معه، يتحدث المهندس محمد محمود بغدادي، الباحث في محطة دير الحجر لتربية الإبل في ريف دمشق، التابعة للهيئة العامة للبحوث العلمية الزراعية، عن تراث الهجن في سوريا قائلاً: إن الحديث عن الإبل ورعايتها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبدو وحياتهم من جهة، ومن جهة أخرى بمفهوم الهجن والهجانة، فالهجن نوع من الإبل يُستخدم للرياضة والركوب، لما يتصف به من قوّةٍ وخصائص تميّزه بالقدرة على التحمّل والاستجابة للتدريب، كما يعتبر إبلاً أصيلة، من نسل السلالات العربية المؤصّلة، ويتصف بصفات خاصّة تؤهله للجري السريع، إضافة إلى صفاته العامة التي يشترك فيها مع بقية الإبل الأخرى، فهو رشيق وذو رقبة طويلة، ومتميز بنحافة الجسم، وبصغر الخف، له أكتاف وأرجل.. غالباً ما يقوم مربو الإبل باقتناء مجموعة منه لتربية الهجن، والافتخار بها، من خلال مشاركتها في سباقات الهجن محلياً، فسباق الهجن يعدُّ رياضة عربية أصيلة، رياضة الآباء والأجداد، تحمل في طياتها قيمهم الثقافية المتجذّرة في هذه الأرض، وهي مشهورة في الشرق الأوسط بين العرب، خاصة في منطقة الجزيرة العربية. ويُعتبرُ أبناء القبائل والعشائر (الجمّالة) الأهم في مجال اقتناء وتربية الإبل والهجن؛ لأنهم أقوى على الترحال، ويتفوقون على القبائل والعشائر (الغنّامة) لصعوبة اقتناء الإبل، فيكون اكتفاؤهم باقتناء الأغنام والماعز، وكذلك

قبيلة (النعيم) التي تعتبر من القبائل العربية السورية الكبرى التي تهتم بتربية الإبل والهجن.

وحول سباقات الهجن التي كانت تقام سنوياً في مدينة تدمر بالبادية السورية، يقول بغدادي: «مما لا شك فيه أن مهرجان تدمر السياحي الذي كان يُقام في مدينة تدمر التاريخية في سوريا سنوياً قبل الأزمة، هو مهرجان فنيّ ثقافي سياحي كبير، يعرضُ فنون تدمر في أجواء البادية وألوان من الفولكلور بما يحمله من عادات أصيلة ومميزة، وبالتالي فهو مهرجان سياحي وفني وثقافي وفولكلوري، حيث كان من أهم أنشطته القيام بسباقات الخيول العربية الأصيلة التي تشتهر بها المنطقة العربية، إضافةً إلى مسابقات الهجن والجمال مع عروض فولكلورية من فنون تدمر (عروس الصحراء)، لما تحمله من أهداف نبيلة في الحفاظ على تراث الأجداد، والاهتمام بسلالات الإبل، والاعتناء بها، وتوصيفها وتطوير نظم تربيتها في إطار الحفاظ على ثقافة الأجداد والتعريف بها كجزءٍ لا يتجزأ من الثقافات السورية الأصيلة».

فإحياء تراث سوريا (من قبل تربية الإبل والهجن) ونشره بين الأجيال أسهم في ترسيخ التراث الوطني الشعبي والمطلوب أن يُحافظ عليه ليبقى ذخراً للوطن وللأجيال القادمة. مثلما كان المواطن السوري الذي يقطن القرى والبوادي يفتخر بزيه ومجلسه العربي وتقاليد الحياة الاجتماعية والصناعات، والحرف التقليدية التي اشتهر بها المجتمع البدوي والريفي على مرّ التاريخ، فحياة البادية بعاداتها وتقاليدها تُعتبر من تراث الدولة، وبفضل ذلك أضحت سباقات الهجن مَعلماً تراثياً وثقافياً مهماً، مما جعلها تحتل مكانة متميزة بين الرياضات التراثية. وهي الأساس في الحفاظ على التوازن بين الأصالة والحداثة. ومن هنا بدأت الفكرة بإعادة الاعتبار للهجن السورية الأصيلة، ووضعها على خريطة الاهتمام التراثي السوري، حيث أقيم مضمار لسباق الهجن السورية والعربية إلى الجنوب من تدمر بنحو 37 كيلومتراً، في ميدان العباسية (مقر منتجع زنوبيا وحماماتها الكبريتية)، وذلك في عام 2007، وبلغ طول هذا المضمار آنذاك خمسة كيلومترات، واعتبرت منصته عند إنجازه تحفة معمارية، حيث شهد التدمريون وأبناء البادية السورية والزوّار العرب والأجانب عرض (مزاين) للهجن السورية والعربية في مضمار سباقات الهجن، وكذلك سباقات للهجن السورية، فكان ذلك إحياء لرياضة قديمة.

إن إقامة مهرجان الهجن العربية الأصيلة سيعيد الروح إلى رياضة الآباء والأجداد، حيث يشكّل اهتمام أبناء البادية بالهجن ظاهرة صحية، بعد أن اختفت هذه الظاهرة منذ عقود بعيدة. فلابدّ من إعادة الاعتبار للبادية السورية على صعيد الاهتمام بتربية الهجن والتعامل معها، لا سيما أن الهجن السورية متميزة وتتمتع بالقدرة واللياقة، كما أن البيئة التدمرية ملائمة جداً لتربيتها وإكثارها، وهو ما شجّع محبّي رياضة الآباء والأجداد على الاهتمام بالهجن العربية الأصيلة.

ويرى بغدادي أنّه غالباً ما تختلط سباقات الهجن ومنافسات المزاين مع التراث البدوي السوري الفني والحرفي، إذ واكبت المهرجانات والاحتفالات سابقاً الفنون التدمرية في أجواء البادية، متضمنة فعاليات ثقافية وتراثية وفنية ورياضية.

تشكّل (مزاين) الإبل ـ يتابع بغدادي ـ «تظاهرة مهمة من شأنها إحياء جانب من التراث المحلي لأي دولة تهتم بتربية الإبل، ومنها سوريا، والعمل على المحافظة عليها ونشرها بين أبناء الوطن الواحد، وتعريف المقيمين والسياح بفعالية تراثية أصيلة.. ولعل أهم الشروط في هذه المسابقة العريقة يتمثل في الالتزام بالأعمار المحددة (فئات من عمر 5 سنوات فما فوق، وأخرى من عمر 6 سنوات فما فوق)، وأن تكون الإبل المتنافسة محلية وغير مهجّنة (سلالة نقية)، فضلاً عن معايير محددة لجمال الإبل تحددها لجنة التحكيم، وتختار بموجبها الأجمل وفقاً لجمال اللون وانسجام الملامح مع الهيئة الكلية واللون والوبر، وجمال الوجه الذي يعني وضوح المعالم، كاتساع العيون وكبر حجم الفكين وطول الرقبة وعلو القامة وارتفاع الفقار من الخلف، وطول السيقان، من هنا تأتي هذه المسابقة مهمة جداً من حيث تشجيع كثير من فئات المجتمع على اقتناء الإبل وتربيتها، وفاءً لدورها في حياة الأجداد».

أحد أقدم مصنعي هوادج الإبل بشكلها اليدوي التراثي في دمشق

# النار
## في الموروث والتراث

**د. علي القحيص**
كاتب - السعودية

قبل الحديث عن وقود النار ومدلولاتها ورمزيتها في التراث العربي، لابد لنا أولاً من الإشارة إلى أهمية إشعال النار في التاريخ البشري والحضارات الإنسانية عامة، فكما هو معلوم، فإن اكتشاف النار حول البشر من كائنات حيّة لا تختلف كثيراً عن غيرها من المخلوقات إلى أكثر فصيل مسيطر على وجه الأرض في الطبيعة، حيث إنه لا يوجد هناك أي أداة في التاريخ البشري تفوق أثر النار في تطور البشرية والحضارات الإنسانية، فما تاريخ اكتشاف النار؟ وما الاستخدامات التي استعملت بها، والتي كان لها كبير الأثر في حياة الإنسان.

فلو تأملنا هذا الاكتشاف المذهل لوجدنا أنه يمثل أروع الاكتشافات التي حدثت في تاريخ البشرية، فالنار هي التي منحتنا الحرارة، وقدمت لنا الدفء، وأسهمت في تسيير وسائل النقل والطهي وغيرها كثير، كما قدمت لنا الكثير في مسيرة العلم والاستكشاف، كما أنها كانت رفيقة البشر في تطورهم واكتشافاتهم التي لم تكن لتظهر لولا وجود النار، ولذلك يصح القول إن النار هي التي حدثت أدواتنا وتقنياتنا حتى حولت الإنسان من طور البدائية إلى طور الرقي، بل استطاعت أن تحول البشر من الطريدة إلى الصياد.

واختلف العلماء في تحديد تاريخ معين لاكتشاف النار، فمنهم من يعتقد أن اكتشافها كان من قبيل المصادفة جراء اشتعال بعض الأشجار من آثار البرق، أو بسبب ارتفاع حرارة الشمس وتأثيرها في بعض الأوراق والنباتات الجافة، في حين اعتقد بعضهم أن الإنسان القديم اكتشفها عن طريق احتكاك الأخشاب ببعضها بعضاً، ولقد كان هذا الاكتشاف بالنسبة إلى الإنسان القديم، اكتشافاً مذهلاً نافعاً، ولا يقل أهمية عن اكتشاف الكهرباء في عصرنا الحالي.

وتطور استخدام النار منذ تاريخ اكتشافها بشكل كبير، وباتت استعمالاتها المختلفة لا تعد ولا تحصى في العصور السحيقة، حيث تستخدم في كثير من المجالات ومنها الدفء في البرد وحماية الإنسان من لسع الحشرات الضارة والحيوانات المفترسة التي كانت تمثل العدو الأخطر للإنسان القديم، كما أنها باتت تستخدم مع مرور الزمن في الإنارة، حيث كان الإنسان القديم يعيش داخل الكهوف المظلمة، كما أنها صارت تستخدم في طهي الطعام، حيث كان الإنسان يأكل طعامه نيّئاً قبل اكتشاف النار.

ويمكن القول إن اختراع الطبخ يتزامن مع تاريخ النار، حيث حقق للإنسان العديد من الأمور المهمة التي ساعدت على تطوره، كما أن الطبخ ساعد البشر على تكوين روح الجماعة، إذ كانوا يجتمعون حول النار من أجل الطهي والدفء والأكل، ما سمح لهم بالوحدة والمشاركة في كثير من الأمور.

ومع الزمن تنوعت وسائل استحضار النار، حيث انتشرت أعواد الثقاب والولاعات بشكل كبير، وتم استعمال العديد من المواد لإنتاج العديد من التفاعلات الكيميائية لإشعال النار.

ونظراً لأهميتها، احتلت النار حيزاً كبيراً في كثير من الديانات القديمة، حتى إن بعض الشعوب وصل بها الأمر إلى عبادتها، إذ لم يحظَ عنصر من عناصر الكون بالأهمية القصوى والبحث والتنقيب مثلما حظي به عنصر النار، حيث أشغلت فكر الإنسان القديم في كينونتها الغامضة كمصدر حتمي من المصادر اليومية للحياة التي تنطوي على كثير من المفردات.

زد على لك أنها شكلت آفاقاً واسعة للإنسان الذي كان دائماً مشدوداً للخارق من تلك الظواهر، سواء عبر الدين أولاً أو عبر الفلسفة، وكان الفرس والإغريق والرومان والصينيون، وفيما بعد العرب، من أوائل الشعوب التي أدخلت النار في معتقداتها الدينية والفلسفية.

والشعوب القديمة كانت ترى في النار فضيلة تصدرها الآلهة لهم؛ لذلك فهي مقدسة وتحظى بالاهتمام، إذ صنف أرسطو النار كأحد العناصر الأربعة المهمة في الحياة.

كـما تناولـت الديانـة الإسـلامية النـار في العديـد مـن الآيـات القرآنيـة والأحاديـث، حيـث حذّرنـا اللـه، سـبحانه وتعـالى، مـن عـذاب النـار وبئـس المصـير، فهنـاك كثـير مـن الآيـات القرآنيـة التـي تحذرنـا مـن العـذاب الـذي سـيلاقيه الكافـر باللـه في جهنـم، ومـن هـذه الآيـات: «وَعَـدَ اللَّـهُ الْمُنَافِقِـينَ وَالْمُنَافِقَـاتِ وَالْكُفَّـارَ نَـارَ جَهَنَّـمَ خَالِدِيـنَ فِيهَـا»، ومـن الآيـات القرآنيـة أيضـاً: «إِنَّ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا مِـنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ وَالْمُشْرِكِـينَ فِي نَـارِ جَهَنَّـمَ خَالِدِيـنَ فِيهَـا».

واسـتأثرت النـار باهتـمام كثـير مـن الشـعراء العـرب في القديـم، حيـث احتلـت موقعـاً متميـزاً، إذ كان الشـاعر يتحـدث عـن الرمـاد والنـار الخامـدة ونـار العشـق ونـار الفـراق، ومـا إلى ذلـك مـن مجـازات.. ناريـة كثـيرة!

وكـما هـو معـروف يتميـز العـرب بكرمهـم وصفاتهـم الحميدة وسجاياهم الكريمة، ولذلك كانوا في الماضي يسـتعملون النـار لمسـاعدة المحتاجـين، حيـث يشـعلونها ليهتـدي إليهـا مـن ضـل طريقـه في الصحـراء، كي يقدموا لهـا المسـاعدة، ويكرمـوه، بمـا عـرف عنهـم مـن إكرامهـم للضيـف، إذ كانـوا يحتقـرون مـن لا يكـرم ضيفـه، وينظـرون إليـه بـازدراء، وأنـه متجـرد مـن الأخـلاق والصفـات الإنسـانية.

وانتـشرت عـادة إيقـادُ النـار في الظـلام ليراهـا الغريـب الضـال والمحتـاج والجائـع مـن مسـافة بعيـدة فيفـد إليهـا، فيجـد مـن يَقريـه ويقـدّم لـه مـا يحتـاج إليـه مـن طعـام. ويقـال لهـذا النـوع مـن النـار «نـار القـرى» و«نـار الضيافـة». وكانـوا يوقدونهـا عـلى الأماكـن المرتفعـة، لتكـون أشـهر، ويقـول ابـن المعتـزّ:

ولـيـل يـودّ المصطلـون بنـاره
لـو أنهم حتى الصباح وقـودها
رفعت به ناري لمن يبتغي القرى
على شَرَف حتى أتاها وفودها

وهنـاك كثـير مـن الشـعراء العـرب الذيـن تغنـوا بهـذه الصفـات العربيـة الأصيلـة، ولا سـيما إشـعال النـار في الصحـراء لإرشـاد ومسـاعدة المحتاجـين، حيـث قـال أحـد الشـعراء العـرب في القديـم:

لـه نـار تشب بكـل ريـح إذا الظلماء جللت اليفاعا
وما كان أكثـرهم سـواما ولكن كان أرحبهم ذراعـا
وإنا بالصَّليب وبطن فلجٍ جميعاً واضعين بها لَظَانَا

وكان مـن عـادات العـرب في الجاهليـة أيضـاً أنهـم كانـوا يشـعلون النـيران إذا شـح المطـر، فكانـوا يسـوقون البقـر إلى الجبـال، ويشـعلون النـار في أذيالهـم، معتقديـن أن هـذا الفعـل يجلـب المطـر، وفي ذلـك يقـول أميـة بـن الصلـت:

ويسوقون باقر السهلِ للطود مهازيل خشيةً أن تبورا
عاقدين النيران في ثكن الأذناب منها لكي تهيج البحورا

والحقيقـة أن هنـاك الكثـير مـن الشـواهد التـي تبـين مدلـولات النـار لـدى العـرب القدامـى، حيـث كان هنـاك أيضـاً مـا يسـمى بنـار التحالـف، وهـذه النـار كانـت تعـد مـن أشـهر النـيران، وكانـت تشـعل عندمـا يعقـد حلـف بـين جهتـين، وكان العـرب آنـذاك يحرصـون عـلى إضافـة الملـح والكبريـت إلى هـذه النـار، كي يزيـد قـوة وأوارهـا، وفي ذلـك يقـول الشـاعر العـربي أوس بـن حجـر:

إذا استَقبَلَتهُ الشَمسُ صَدَّ بِوَجهِهِ
كَما صَدَّ عَن نارِ المُهَوِّلِ حالِفُ

وكان للنـار عنـد العـرب أيضـاً دلائـل مبـشرة بالخـير، حيـث كانـت تقـود عنـد عـودة الغائبـين، وكانـوا يطلقـون عـلى هـذا النـوع مـن النـار «نـار السـلامة»، كـما كان العـرب يحرصـون في هـذه النـار عـلى إضافـة العديـد مـن أنـواع الخشـب العطريـة، حتـى إن الشـاعر العـربي عـدي بـن زيـد نظـم في ذلـك قائـلاً:

يا لُبَيْنَى أَوقِدي النَّارا إنَّ مَن تَهوَينَ قَد حارا
رُبَّ نـارٍ بِـتُّ أَرمُقُهـا تَقضِمُ الهِندِيَّ والغارا

وإذا مـا أضفنـا اسـتخدامات النـار الأخـرى كطهـي الطعـام وغيرهـا، وارتبـاط الطعـام بالكـرم وإكـرام الضيـوف نلحـظ أن العـرب تغنـوا بالماضي بإشـعال النـار دلالـة عـلى الكـرم والسـخاء، في تقديـم الطعـام والـشراب للضيـوف، حتـى إن أكـرم النـاس عندهـم كانـت نارهـم لا تطفـأ، ولا تنـزل قدورهـم عـلى الأرض، كنايـة عـلى أنهـم جاهـزون دومـاً لاسـتقبال الضيـف وإكرامـه.

ولـو تتبعنـا قصـص التاريـخ والـتراث العـربي القديـم لوجدنا أن النـار كانـت لهـا مكانـة خاصـة في الـتراث الشـعبي العـربي، وتحمـل رمـوزاً ومعـاني متنوعـة، فهـي تُعـدّ رمـزاً للحيـاة والـدفء، كـما أنهـا مدعـاة للتواصـل والتجمـع في أوقـات الشـتاء، بالإضافـة إلى أن بعـض القبائـل في المـاضي كالفراعنـة كانـوا يسـتخدمونها في المناسـبات الدينيـة والاحتفـالات، كجـزء مـن الطقـوس والتقاليـد، مـما يضيـف للأجـواء الروحانيـة والاحتفاليـة.

وكان العـرب قديمـاً إذا اكتشـفوا شـاعراً بينهـم أوقـدوا نـاراً عـلى رئيـس جبـل، مسـتبشرين وفرحـين بنبـوغ ولادة موهبـة الشـاعر لديهـم، ليكـون صوتهـم في الحـرب والسـلم والمناسـبات في الأفـراح والأتـراح.

# الْعِمَامَةُ

## حَقِيقَتُهَا وَاسْتِعْمَالاتُهَا الرَّمْزِيَّة

د. محمد محمد عيسى
كاتب وناقد – مصر

العمامة «من لِبَاس الرَّأْس»[1] وقد عرفها العرب، وكان لها دور كبير في إظهار الشموخ والعظمة - إضافة إلى وظيفتها في حماية الرأس ووقايته - حتى إنها كانت من الزي الرسمي لكل كبير في قومه «وَالْعرب تَقول للرجل إِذا سُوِّد: قد عُمِّم. وَذَلِكَ أَنَّ العمائم تيجانُ الْعَرَب. وَكَانُوا إِذا سوّدوا رجلاً عمَّموه عِمَامَة حَمْرَاء. وَمِنْه قَول الشَّاعِر:

رأيتُك هزَّيتَ العمامةَ بَعْدَمَا رأيتُكَ دَهْراً فَاصِعاً لَمْ تعصَّبِ

وَكَانَت الفرسُ إِذا ملّكت رجلاً توّجوه، فَكَانُوا يَقُولُونَ لِلْملك مَتوّج».[2]

وتندرج العمامةُ تحت ما يُسمى العَمَارةُ «والعَمَارَةُ بِالْفَتْحِ: كُلُّ شيْءٍ يَضَعُهُ الرَّئِيسُ عَلَى الرَّأْسِ من عِمَامَةٍ أَو قَلَنْسُوَةٍ أَو تَاجٍ أَو غَيْرِه؛ عَمَارَةً لِرِياسَتِه وحِفْظاً لَهَا، كالعَمْرَةِ والعَمَارِ. وَقد اعْتَمَرَ؛ أَي تَعَمَّمَ بالعِمامَة.



ويُقَال للمُعْتَمّ: مُعْتَمِرٌ»،[3] قال الأَعْشَى من قصيدة في مدح قيس بن معد يكرب:

فَلَمَّا أَتَانَا بُعَيْدَ الكَرَى سَجَدْنَا لَهُ ورَفَعْنَا الْعَمَارا[4]

«أي وضعناها عن رؤوسنا إعظاماً له»،[5] وكان للعرب طريقة في لبسها بأن تلفها حول الرأس، وتشدها إلى تحت الحنك، ومن ذلك ما جاء عن الزبيدي في ما كان يفعله الرسول، صلى الله عليه وسلم، إذا لبس العمامة على طريقة العرب «كَان قد اعْتَمَّ عِمَّةَ العَرَبِ، فأَدَارَهَا تَحْت الحَنَك، فَلَا يَسْتَطِيع نَزْعَها فِي كلِّ وَقْتٍ فتَصِير كالخُفَّيْنِ».[6]

ومما ورد من شأن العمامة من إضفاء القيمة على لابسها، لاسيما حين ارتياده المجالس الرسمية، أو مجالس الحكمة والعلم، ما جاء في البيان والتبين «وأخبرني إبراهيم بن السندي، قال: دخل العماني الراجز على الرشيد، لينشده شعراً، وعليه قلنسوة طويلة، وخف ساذج، فقال: إياك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور، وخفان دمالقان».[7]

**الْعِمَامَةُ زِيُّ الأَعْرَابِيّ:**

اشتهر الأعراب، وهم سكان البادية، بلبس العمامة؛ حتى إنَّ الأعرابيَّ منهم صار يُعرف بعمامته ولثامه، ومن شواهد ذلك ما جاء في المحاسن والأضداد «بينا أنا جالسٌ، إذ جاءني خالد الخريت، فقال: يا أبا الخطاب! هل لك في هند وصواحبها، فقد خرجن إلى نزهة؟ قلت: (وكيف لي بذلك)؟ قال: تلبس لبسة أعرابيّ، وتعتم عمامة، وتركب مركبة كأنك ناشدٌ ضالةً. قال: ففعلت وجئت، حتى وقفت عليهن أنشد ضالتي، فقلن: (انزل)، فنزلت، وقعدتُ أحادثهنّ وأغازلهن؛ فلما رُمتُ النهوض، قالت لي هند: (اجلس، لا جلست أنت. ألا ترى أنك وقفت علينا غريباً؛ ونحن، والله، وقفنا على غربتك. نحن بعثنا خالداً وخدعناه وأطمعناه في أنفسنا، حتى جاء بك). فقال خالد: (صدقن والله خدعنني وخدعنك)».[8]

وقد يُتَّخذُ اللثام من العمامة؛ فيصير اللثام جزءاً منها، وجاء «تلثم الرجل بعمامته، والملثم ما حول الفم، وقيل الأنف وما حوله، والفام: رد القناع على الفم، وقيل أيضاً: هو مثل اللثام لا فرق بينهما».[9]

وكانت العمامة علامة على هامة أحدهم في الصحراء، فكانوا يقولون «العامَةُ: هامَةُ الراكب إذا بدا لك رأسُه في الصَّحْراء وهو يَسيرُ. ويقال: لا يُسَمَّى رأسُه عامةً؛ حتّى تَرَى عِمامةً عليه».[10]

**العَمَائِمُ أَلْوَانُهَا وَأَحْجَامُهَا:**

كان للـون العمامـة وحجمهـا مـردود في نفـس لابسـها ورائيهـا، وقـد جـاء لونهـا دليـلاً عـلى معـانٍ كثـيرة، فقـد اشـتهرت العمامـة الحمـراء بأنَّهـا لبـس السـادة، وأيضـاً «كَانَـت سـادةُ العَـرَب تلبـس العمائـم الصُّفْـر، وَكَانَـت تُحمـل مـن هَـرَاةَ إِلَيْهِـم مصبوغـة، فَقِيـل لمـن لبـس عِمَامَـة صفـراء: قـد هَـرَّى عِمَامَتَـه، وَكَانَ مُعَـاذٌ الهـرّاء يَبِيـع الثِّيَابَ الهَرَوِيـة فعُـرِف بهَـا، ولُقِّـب الهـرّاء».[11]

وليـس معنـى ذلـك أنّ اللونـين الأحمـر والأصفـر كانـا سيِّدَيْ ألـوان العمائـم؛ فقـد وردَ في مـدح عِمَامَـةٍ بيضـاء قـولُ أبي الحسـن السـلامي:

حَسْنَاءُ صَافِيَةٌ بَيْضَاءُ ضافيةٌ
يـزينُ أطرافَهـا طـرز كَمَـا رقمتْ
كَـأن رونقَهـا فـي صَـارم ذكـرِ
على المجرَّةِ طرز الأَنجمِ الزُّهرِ[12]

وَمِنْهـم مَـنْ رأى أنَّ العمامـةَ السـوداء كأنَّهـا عقـابٌ للابسـها، وَمِـنْ ذلـك قـولُ أحدِهـم يصـفُ شـاعراً غـيرَ مَاهـر، ويصـفُ العمامـةَ في رأسـهِ كأنَّهـا لعنـةٌ مِـن اللـه:

وَكَاتِـبٍ مِـنْ قَومِنَـا شَـاعِرٌ  لَيْسَ بِذَاكَ الْكَاتِبِ الْمَاهِرِ
عِمَامَـةٌ سَـوْدَاءُ فِي رَأْسِـهِ  كَلَعْنَـةِ اللـهِ عَـلَى الْكَافِرِ[13]

**خَوَاءُ الشَّخصِيَّة:**

المنطـقُ يُحتـمُ ألا يلبـس أحـدٌ مـن الثيـابِ مـا لا يُناسـبُ طولَـه ولا عَرضَـه، وكذلـك العمائـم، لكـن إذا لم ينطبـقْ ذلك بـأنْ كانـت العمامـةُ واسعةً أكبر مِن حجمِ الرأسِ، أو كانـتْ ضيقـةً، أصغـر مـن حجمِـهِ؛ صـارَ لابِسُـهَا عُرضـةً للتَّهكـمِ والسُّخريةِ، كمَـنْ لا يُحْسِـنُ التَّمييـز بَـينَ الأشـياء، وينسـحبُ هـذا الأمـرُ مجـازاً عـلى كلِّ مَـنْ وُلِّيَ أمـراً أكبرَ مِـنْ قُدْرَاتِـه، وَمِـمَّا جَـاءَ فِي هَـذَا الشَّـأنِ، مَـا وَرَدَ أَنَّ أَبـا الْقَاسِـمِ عَـلِيّ بـن مُحَمَّـد الإسـكافي النَّيْسَـابُورِيّ، قـد سُـجِنَ في أمـرٍ، وكانَ الحميـد حسـن قـد أُعجـبَ بِـهِ، وَأَمـرَ بِإِطْلَاقِـهِ إِثْرَ سَجنِـهِ وَخَلَـعَ عَلَيْـهِ وَأَقْعَـدَهُ فِي ديـوَانِ الرَّسَـائِلِ خَلِيفَـة لـ(أبي عبـد اللـه كُلَـه)، وَكَانَ الاسْـم لَـهُ وَالْعَمَـل لأبي الْقَاسِـم.. وَكَانَ أَبُـو الْقَاسِـم يَهْجُـوه.. وَمِـنْ شِـعْرِهِ قَوْلُـه:

هَذَا الَّـذِي يُدْعَى كُلَهْ  مَـا شَـأْنُـه إِلَّا الْبَلَـهْ
فِي رَأْسِـهِ عِمَامَـةٌ  مَكْمُوقَـةٌ مُزَمَّلَـهْ
كَـأَنَّهَـا فِي لَـوْنِهَـا  قِدْرٌ عَـلَى سَـفَرْجَلَهْ[14]

وَعلى الرَّغم من شيوع لبس العمائم، فإنَّه ارتبط على الأغلب بفئة خاصة من الناس، تلتزم ما تفرضه عليها بعض العادات والقيم؛ إذْ يتوجب على لابسيها أنْ يدركوا قيم وعادات لبسها، ويلتزموا بها، لكن عندما لا تتفق وفعالهم؛ فَتَرَاهم كأنَّهم يُسيئون إلى تلك العمائم. وقد رصد الشاعرُ العربيُّ هذا الأمر، حين مدح العمامة وذمَّ لابسها، كما في قوله:

يَا مَنْ تَعَمَّمَ فَوقَ رَأسٍ فَارِغٍ  بِعِمَامَـةٍ مَـزْوِيَّـةٍ بَيْضَاءِ
حَسُنَتْ وَقُبِّحَ كُلّ شَيْءٍ تَحْتَهَا  فَكَأَنمَّا نُـورٌ عَلَى ظَلْمَـاءِ
لَمَّا بَدَا فِيهَا أَطَلْتُ تَعَجُّبِي  مِنْ شَرِّ شَيْءٍ فِي أَجَلِّ إِنَاءِ
لَوْ أَنَّنِي مُكِّنْتُ مِمَّا أَشْتَهِي  وَأَرَى مِن الشَّهَوَاتِ والآرَاءِ
لَجَعَلْتُ مَوْضِعَهَا الثُّرَى وَجَعَلْتُهَا  فِي رَأْسِ حُرٍّ مِنْ ذَوِي الْعَلْيَاءِ[15]

وَمِمَّا جاء في ذمِّ العمامة لصغر حجمها؛ حتَّى إنَّها أشبهت عصابةً يعصب بها الصداع، قولُ الشاعر:



وَقَدَّمتْ إلي وَعْداً بِأَنَّكَ مُلْبِسِي  ثِيَاباً إِلَيْهِنَّ تُنْسَبُ
فَـلَا تَكْسِـنِي مِنْهُـنَّ إِلَّا عِمَامَـةً  بِأَمْثَالِهَا الأَمْثَالُ فِي النَّقْصِ تُضْرَبُ
يَقُـولُ أُنَـاسٌ لِي إِذَا مَـا لَبِسْتُهَا  أَرَأْسُـكَ هَـذَا مِنْ صداعٍ مُعَصَّبُ[16]

**المَشِيبُ:**

بالإضافـة إلى اسـتعمال العمامة - في اتسـاعها أو ضيقها عـلى الـرأس - في الدلالـة عـلى ضعـف المكانـة والمهانـة والخـواء مجـازاً، وكذلـك في اختـلاف لونهـا للدلالـة عـلى رفعـة أو ضعـة صاحبهـا؛ فقـد اسـتعملها بعـض الشـعراء مجـازاً أيضـاً في دلالتهـا عـلى المشـيب؛ حالـة كونـه أحـاط بالـرأس وغطَّـاه، فكأنَّـه عمامـة، ومنـه:

حتَّى اكْتَسَيْتُ مِنَ الْمَشِيبِ عِمَامَةً
غَـبْرَاءَ أُغفِـرَ لَـونُهَـا بِخِضَـابِ[17]

ومنه قولُ الشاعر:

وَعَلَيْكَ مِنْ نَسْجِ الزَّمَانِ عَمَامَةٌ  خَضَبَ المَشِيْبُ سَوَادَهَا بِبَيَاضِ[18]

وانصرفـت العمامـة في اسـتعمالاتها إلى كثـيرٍ مـن الـدلالات؛ حيـث مثَّلـتْ رمـزاً يعمـد إليـه الشـاعر في التعبـير عـن معنـى يقصـده، والأمثلـة إلى ذلـك كثـيرة، ومِمَّا جـاءَ في دلالتهـا عـلى العلـم والتفقـه، وغيرهـما مـن محاسـن، مـا ورد عـن إسـماعيل بـن نجيـد السُّـلَمي يقـول: أنشـدوني للشـافعي، رضي اللـه عنـه:

كَسَانِيَ رَبِّيْ إِذْ عريتُ عِمَامَةً  جديـداً وكانَ اللـهُ يخبؤُهَـا لِيَـا
وقيَّـدَنِي رَبِّيْ بِقَيْدٍ مُداخِلٍ  فَأَعْيَـتْ بِمَينِي حلَّة وَشَـمَالِيَا[19]

1. أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت – لبنان، 2001م، 1/ 89.
2. السابق.
3. مرتـضى الزبيـدي: تـاج العـروس مـن جواهـر القامـوس، تحقيـق: عـلي الهـلالي، المجلـس الوطنـي للثقافـة والفنـون والآداب دولـة الكويـت، ط1، الكويـت، 2001م، 13/ 130.
4. أبـو إبراهيـم إسـحاق الفـارابي: معجـم ديـوان الأدب، تحقيـق: أحمـد مختـار عمـر، مراجعـة: إبراهيـم أنيـس، مؤسسـة دار الشـعب للصحافـة والطباعـة والنـشر، القاهـرة، 2003م، 1/ 379
5. الجوهري الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، ١٩٨٧م، 2/ 758.
6. مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، 11/ 221.
7. الجاحظ: البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، 1423ه، 1/ 97.
8. الجاحظ: المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، 1423ه، ص: 290.
9. أبو علي المرزوقي الأصفهاني: شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 2003م، ص: 1227.
10. الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري: العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لبنان – بيروت، (د.ت)، 2/ 269.
11. أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، 212/6.
12. أبو منصور الثعالبي: يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1983م، 2/ 494.
13. السابق، 5/ 55.
14. السابق، 4/ 109 - 110.
15. السابق، 2/ 337.
16. أبو هلال العسكري: ديوان المعاني، دار الجيل، لبنان – بيروت، (د.ت)، 2/ 169.
17. سعيد بن محمد المعافري القرطبي، ابن الحداد: كتاب الأفعال، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1975م، 2/ 37.
18. محمد بن أيدمر المستعصمي: الدر الفريد وبيت القصيد، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 2015م، 4/ 440. ويُنظر: أبو علي القالي: أمالي القالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1926م، 1/ 110.
19. أبو معاوية البيروتي: تاريخ نيسابور طبقة شيوخ الحاكم، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت - لبنان، 1427ه، ص196.

# من روائع العمارة الإسلامية

## في زنجبار عهد البوسعيدين في ضوء أعمال الرحالة

**زلفاء محمود أحمد عطية**
باحثة ماجستير في تراث وآثار
إمارات الساحل المتصالح

شهد عمران الجزيرة في دولة البوسعيديين ازدهاراً كبيراً، تحديداً في عهد السيد سعيد، وذلك في أوائل ق19م، ولم تقتصر عملية التشييد والبناء على الرجال فحسب، بل شملت بعض النساء، فعرفت العديد من المساجد بأسماء نساء عمانيات، وجمعت العمارة الإسلامية في زنجبار العديد من الميزات، مثل روعة التصميم والزخارف، وشهدت زنجبار مكانة حضارية متميزة خلال عهد البوسعيدين.



هذا وقد حرص السيد سعيد على إقامة إمبراطورية عظيمة في جزيرة زنجبار، فبدأ يطور في زنجبار كثيراً، حيث قديماً كانت تبنى البيوت من الأغصان وجذوع الأشجار، وكان النشاط السائد فيها هو الزراعة والرعي وصيد الأسماك، فقام العمانيون بإنشاء العديد من المنشآت المعمارية، وقاموا بتخطيط العاصمة الزنجبارية، وشهد النصف الأول من القرن 19م، خطوة كبيرة في مسار التطور المعماري بها؛ فقاموا بتحديد أماكن القصور والمنشآت المادية في الأماكن التي تناسب إقامتهم بها، وتحديد مواقع الأسواق والمرافق العامة، وتحديد أماكن دور العبادة والمساجد مع احترام كل المذاهب، وتحديد المواقع الاستراتيجية الحربية مثل القلاع والحصون، كما أنهم لم يغفلوا عن تحديد الأحياء الخاصة بالقبائل العربية المهاجرة وعامة الشعب والأماكن الصالحة للزراعة، تعدّ فترة حكم السيد برغش بن سعيد 1870-1888م في زنجبار حضارياً عصر زهو وفخار، وذلك لامتداد واتساع حركة العمران بالجزيرة التي شملت جميع سبل الحياة، مع محاولة الوصول لأحدث مخترعات العصر، وهذا يرجع إلى كثرة سفر السيد برغش، وتأثره بالثقافات المتقدمة، فبعد توليه الحكم سافر إلى أوروبا، ومن خلال تجواله ومشاهدته الطرز الحديثة في العمارة والتشييد وسرعة التقدم والتمدن بها، ثارت في نفسه الغيرة والحماسة على بلاده، وأثناء عودته من أوروبا مر على مصر زمن حكم الخديوي إسماعيل ونزل بالقاهرة والإسكندرية والسويس، وفي أثناء ذلك زار الآثار الفرعونية والإسلامية، ورأى الحضارة المصرية العظيمة، متمثلة في عمارتها وفنونها، وكذلك كان لرؤيته دائرة سراي الخديوي إسماعيل الأثر الكبير في دفعه إلى القيام بحركة نشاط واسعة في الإنشاء والتعمير والتحديث على أرض جزيرة زنجبار، وقد شيد العمانيون العديد من المنشآت، وتنقسم إلى:

**العمارة الدينية**

فقد اهتموا كثيراً بعمارة المساجد التي ينشر فيها الدين الإسلامي، وتستخدم أيضاً كمدارس لتلقي العلم، وتعد المساجد هي حلقة التواصل بين أفراد المجتمع، كما أن مدين ستون فيها 50 مسجداً، وأقدم المساجد فيها هو مسجد ماليندي، واهتموا بإنشاء المدارس، وامتزت باحتوائها على لوحات الخط العربي وآيات القرآن الكريم، وأشهرها مدرسة ويته، والمدرسة السعيدية، واهتموا أيضاً بإنشاء المقابر السلطانية، وصار أمر تشييد الجوامع والمساجد مهماً كثيراً، وتعددت لتعدد المذاهب وهذا دليل على التسامح الديني، وكان الطراز العام للمساجد يتكون من عناصر مهمة، عبارة عن المحراب والمنبر ودكة المبلغ، وكرسي المصحف، والأعمدة والعقود والقباب والمآذن، واستخدم في البناء الجص، والحجر، والرخام، والخشب، والفسيفساء، والخزف، واتسمت المساجد بالبساطة وقلة الزخارف، ويوجد عدد كبير من المساجد في عمان، خاصة في مدينة ستون تاون Stone Town منها: مسجد الشيخ محيي الدين القحطاني، ويعرف بمسجد الجمعة في مدينة ماليندي، وأعاد بناءه الشيخ سعيد بن سيف المحرومي، ومسجد المنارة في ماليندي أيضاً بني في عام 1700م، وتم تجديده في عام 1834-1835م على يد محمد بن عبدالقادر، ومسجد متوني، وهو من أهم المساجد، شيده السيد سعيد بن سلطان، تميز بمحرابه

العمارة الإسلامية في زنجبار قديماً

مسجد الجمعة بماليندي

مسجد قيزمكازي

شكل العقود والأعمدة

الجميل، كما أن النساء شاركت في بناء بعض المساجد، خاصة في عهد السلطان برغش، مثل مسجد جوخة بنت سعيد الرواحية في ماليندي، ومسجد عائشة بنت جمعة المغيرية بني عام 1883م، على الطراز الفارسي في منطقة الهمامني، ولم تخصص المساجد كدور للعبادة فحسب، بل استخدمت للتعليم ومجالس للشورى، أما بالنسبة للمقابر السلطانية التي كانت تتركز في الجزء الشرقي من زنجبار، مثل سائر الآثار فقد قام السيد ماجد بن سعيد ببناء مقبرة ضخمة لوالده السيد سعيد، وأنفق على ذلك أموالاً طائلة، ولكنه لم يكمل البناء بسبب فتوى رجال المذهب الإباضي بعدم جواز البناء على القبور، وكانت القبور عبارة عن قبر بسيط يعلوه شاهد أو نصب يحتوي على اسم المتوفى وسنة ولادته ووفاته وفترة حكمه، وأغلبها متجاورة.

**العمارة المدنية**

اهتم سلاطين زنجبار بإنشاء العديد من القصور، مثل قصر بيت متوني، وقصر بيت الساحل، وقصر بيت العجائب، وأنشؤوا لأبنائهم وزوجاتهم العديد من البيوت؛ مثل بيت نورا، والبيت الثاني، وبيت الرأس، كما اهتموا ببناء الحمامات الخاصة والعامة على الطراز الفارسي، كانت عمارة البيوت والدور السكنية أحد جوانب الحضارة في زنجبار، وتنوعت بين البيوت ذات الطابق والطابقين والثلاثة، ويتمثل ذلك في تغير الطريقة التي كانوا يتبعونها في بناء البيوت وموادها، فكانت بيوتهم بسيطة في التخطيط والتصميم ومبنية من الطين، وكانت سقوفها تشكل من سعف النخيل وأوراق الشجر، المدخل الرئيس يتوسط الجدار، ويتميز البيت من الداخل بوجود ممر ينتهي بفناء داخلي، تقع خلفه غرف المطبخ والحمام والمخازن، وبعد التأثير العماني انتشرت المنازل المبنية من الحجارة، حيث تشيد بشكل منظم، وكانت من الحجر والسقوف خشبية، وكانت معظم هذه البيوت ذات تأثيرات فارسية، خاصة في الزخارف، الأبواب هي أول ما يشيد في البيت الزنجباري، حيث صممت متميزة بإطارات مزركشة تحتوي على نقوش

الشكل العام للمحراب

الصورة توضح شكل أحد المساجد في زنجبار

أطلال مسجد قديم في بمبا

قصر المتوني

القصر من الداخل

قصر دونغا

قصر بيت الحكم

بيت الحكم

بيت السهل

وأشكال متعددة مصممة بشكل واضح، ومن أمثلة هذه البيوت والقصور، بيت الساحل الذي شيده السيد سعيد بن سلطان، وكانت مساحته صغيرة نسبياً، وقصر المتوني؛ وهو من أجمل القصور وأكبرها، وسمي باسم نهر المتوني، ويتميز بتصميمه الهندسي، «باب المنزل الرئيس يفتح على رواق المدخل، ومن ثم يقود الجزء الرئيس للمنزل الذي كان بمنزلة غرفة الضيوف، وهو مزين بمجموعة من المرايا الطويلة. الأجزاء المعيشية كانت في الجزء الأعلى من المنزل».

قصر بيت السهل

قصر بيت الراس

قصر المارحوبي

قصر كيبويني

بيت الشعوب

قصر تشويني

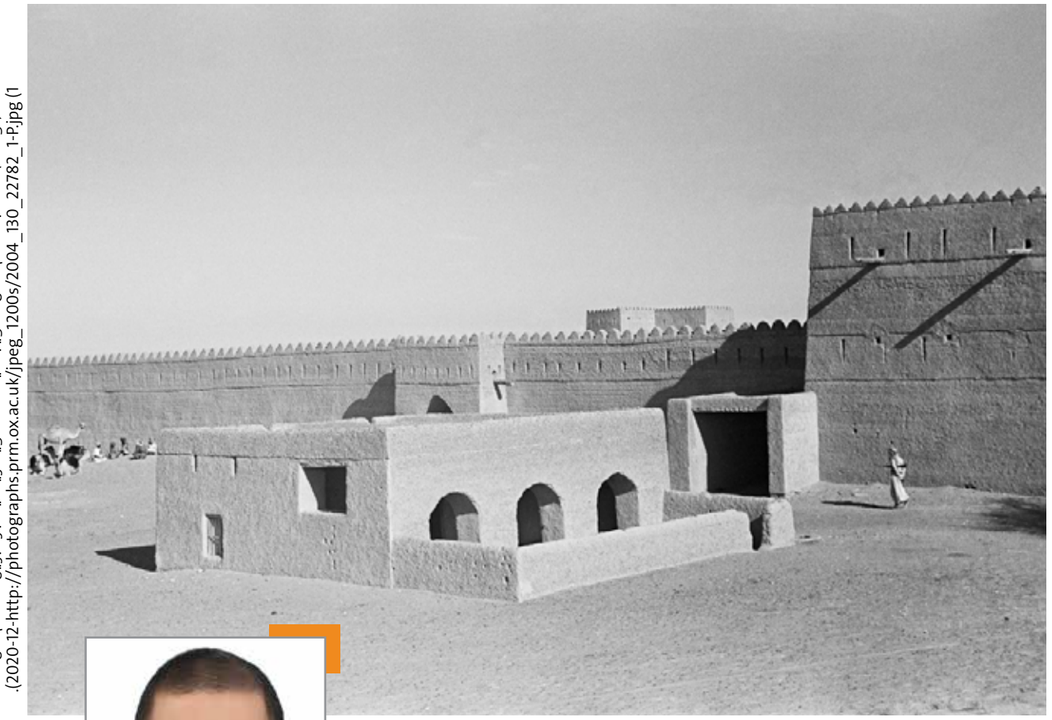

(لوحة 5) المسجد أمام حصن المويجعي، عدسة ويلفريد ثيسجر، أبريل 1948م، عن: (2020-12-http://photographs.prm.ox.ac.uk/jpeg_1200s/2004_130_22782_1-P.jpg [1

# الرحّالة الإنجليزي ويلفريد ثيسجر في المويجعي

## بدولة الإمارات العربية المُتحدة

**د. ربيع أحمد سيد أحمد**
أستاذ الآثار والتصوير الإسلامي المساعد،
كلية الآثار، جامعة الفيوم – مصر

**المويجعي:**

المويجعي أرض مُوغلة في أقصى غرب واحات العين، وضمن دائرتها، وقد كانت ضيعة زراعية لآل نهيان، وأصبحت المقر الرئيس لإمارة أبوظبي، وتميزت بطبيعتها الخلابة، وغزارة مياهها، وأصبحت لموقعها المتوسط بين ممتلكات الشيخ خليفة بن زايد الأول (1855-1945م) وهو أكبر أبناء الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان (1855-1909م) مؤسس إمارة أبوظبي.

وقد شهدت العين تطورات محلية مهمة عندما بدأ المغفور له، بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، حياته السياسية عام 1946م، مُمثلاً لحاكم أبوظبي في المنطقة الشرقية؛ واتخذ من المويجعي عاصمة ومقراً رسمياً له؛ فعكف على النهوض بها وتنميتها في شتى المجالات، فأنشأ، رحمه الله، فيها مدرسة ومستشفى ومحكمتها الشرعية، وهي من مستجدات المشاريع التنموية في عهده في إمارة أبوظبي؛



وضمن لقاطنيها حياة كريمة مستقرة؛ وهو ما كان له بالغ الأثر في حياة البدو الذين بدؤوا في التخلي عن حياة البداوة والترحال الدائم إلى حياة الاستقرار في المويجعي[1].

والمويجعي أصغر الواحات التي تُشكل مجموعة العين، وهي في أقصى الغرب منها؛ ويحدها واديان كبيران؛ وهي تقع على الطبقة الصخرية الغرينية؛ وكانت في الأصل تُروى بأحد الأفلاج[2].

ويصف الرحالة الإنجليزي ويلفريد ثيسجر المويجعي بعد رحلته من أبوظبي ولقاء الشيخ شخبوط، ثم توجهه للقاء الشيخ زايد بن سلطان، طيّب الله ثراه، فيقول «.. وفي صباح اليوم التالي، وصلنا المويجعي، وهي إحدى القرى الثماني الصغيرة في واحة البريمي،

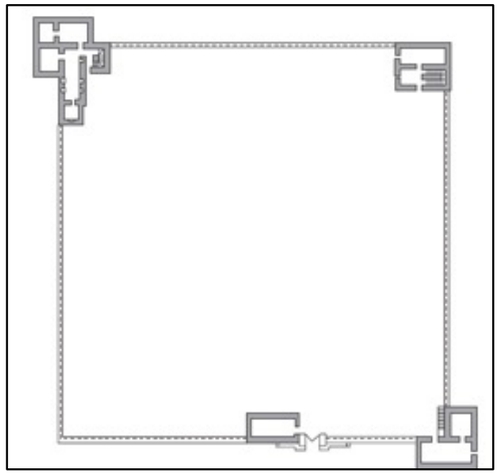

(شكل 1) مسقط أفقي لحصن المويجعي، إمارة العين، عن:
Salma Samar Damluji, The architecture of United Arab Emirates, Garent Publishing, p.230.

وكان بها قصر الشيخ زايد، رحمه الله، وشاهدت نحواً من ثلاثين أعرابياً جلوساً في ظل شجرة شوكية أمام القصر، وقال لنا دليلنا إن الشيخ جالس فاتجهنا نحوه، وحيَّيْتُ الجمع، وتبادلت الأخبار مع الشيخ زايد، رحمه الله»[3].

ويذهب الباحثان تيموثي باور Timothy Power، وبيتر شيهان Peter Shehan، إلى أن الأصول التاريخية لمنطقة المويجعي بالعين تعود إلى القرنين السادس عشر، والثامن عشر الميلادي؛ فقد كشفت أعمال التنقيب، والحفائر الأثرية بالمنطقة عن وجود أنشطة زراعية، وكسرات فخارية تعود إلى الفترة من القرنين 10-12هـ/ 16-18م[4].

وحقيقةً، حينما بحثت فيما يتعلق بالحفائر التي أُجريت بالمنطقة، وجدت تواريخ أقدم من ذلك بكثير، وشواهد أثرية تُفند رأي الباحثين، خاصة في منطقة العين إجمالاً، ومناطق الاستيطان البشري بها[5]

ويُسجل التاريخ الشفاهي أنَّ هذه المنطقة كانت في فترة من الفترات لعشيرة الظواهر، ما يُؤكد أنها منطقة نهيانية صِرف، وأنَّ شيوخ آل نهيان كانوا هم الأشد ارتباطاً وصِلة بالمكان؛ ومنهم الشيخ خليفة بن زايد الأول، الذي يُقال إنه هو الذي شيدَّ قصر المويجعي في أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، وبعد وفاته آلت إلى ابنه الشيخ محمد بن خليفة، ويبدو أنَّ القلعة قد استخدمت ديواناً في عهدهما. وبعد تعيين الشيخ زايد بن سلطان (رحمه الله) مُمثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية عام 1946م، انتقل رحمه الله إلى قصر المويجعي الذي كان مقره الرسمي، وديوانه إلى أن أصبح حاكماً لإمارة أبوظبي عام 1966م[6].

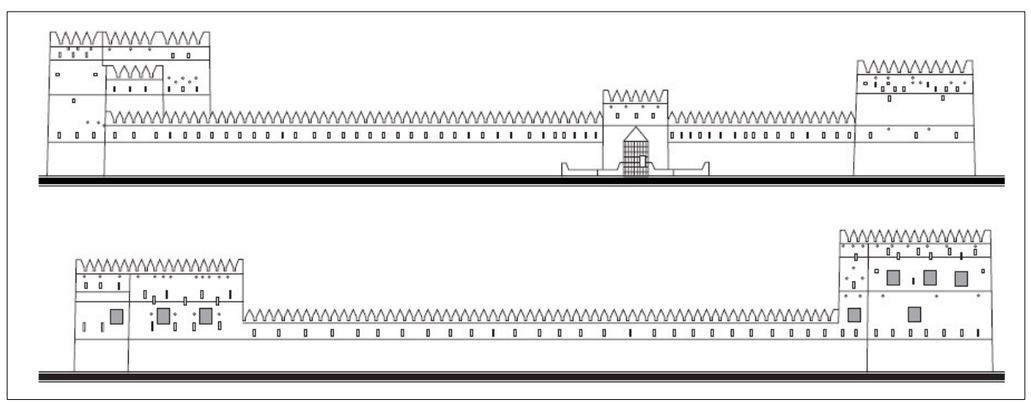

(شكل 2) قطاعان رأسيان لحصن المويجعي، إمارة العين، عن: Salma Samar Damluji, The architecture of United Arab Emirates, p.230.

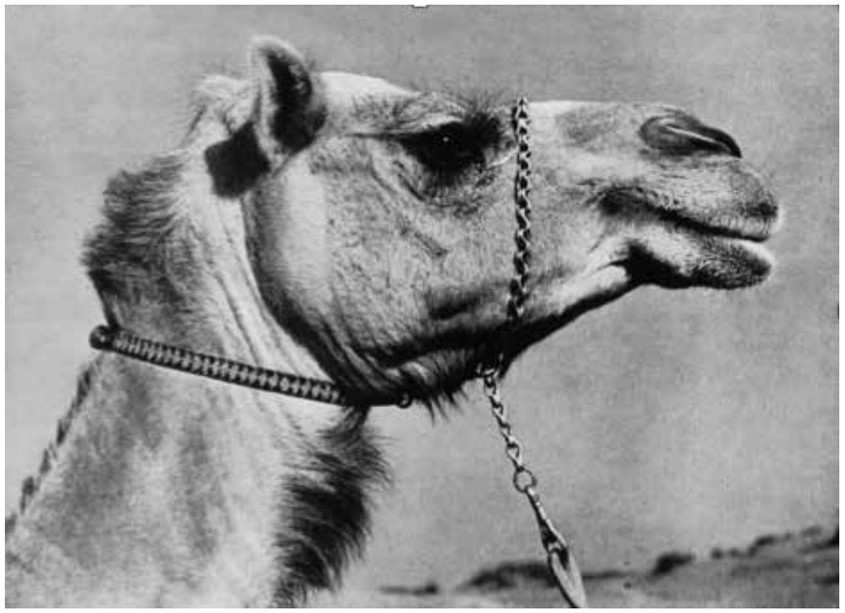

(لوحة 1) جمل الباطنة الذي أعاره الشيخ زايد (رحمه الله) للرحالة ويلفريد ثيسجر بعدسته، عن:
W.Thesiger, A further Journey Across The Empty Quarter, The Geographical Journal, Jan-Jun 1949, Vol, 113, p.26.

**ويلفريد ثيسجر في المويجعي:**

يقول ثيسجر «غادرنا أبوظبي في 2 أبريل 1948م، وعبرنا صحراء الخطام، ووصلنا في السادس من أبريل إلى المويجعي، إحدى مُستوطنات البريمي، والتقينا الشيخ زايد»؛ ويصف ثيسجر الشيخ زايد، رحمه الله، فيقول «إن زايد قوي البنية، ويبلغ من العمر ثلاثين عاماً (وقت أن التقاه عام 1948م)، وله لحية بنية اللون، ووجهه ينم عن ذكاء وقوة شخصية، وله عينان حادتان، وهو يبدو هادئاً، ولكنه قوي الشخصية، ويلبس الشيخ زايد لباساً عُمانياً ويتمنطق بخنجر، وبندقيته دوماً إلى جانبه على الرمال لا تُفارقه، ولقد كنت مشتاقاً لرؤية الشيخ زايد، لما يتمتع به من شهرةٍ واسعةٍ بين البدو، فهم يحبونه لأنه بسيط معهم، وودود، وهم يحترمون شخصيته وذكاءه وقوته البدنية، وهم يُرددون باعتزاز: زايد رجل بدوي؛ لأنه يعرف الكثير عن الجِمال، كما يُجيد ركوب الخيل مثل واحد منا، كما أنه يطلق النار بمهارة ويعرف كيف يقاتل»[7]. ويُضيف ثيسجر «وبقيت في البرُيمي حتى نهاية شهر أبريل، وأمضيت أسبوعاً في الصيد في جبل حفيت». ويُشير العرب المُقيمون على الساحل إلى مُستوطنات البرُيمي أنها عُمان، ومن هذه المُستوطنات المويجعي، العين، جيمي، القطارة، هيلي[8].

ثم يستكمل ثيسجر الرحلة في البريمي «وفي جبال حفيت كان بإمكاننا العثور على الوعل، وفي البرُيمي وجدت جمجمة، وقروناً حدَّدتها على أنها لذكر الوعل؛ وفي مسقط اشترى الدكتور جايكار Dr.Jayakar عام 1895م جلدين وجماجم لوعول. وقد قررت الانتقال إلى الشارقة، وقد أعارني الشيخ زايد جمل الباطنة الرائع لهذه الرحلة (لوحة 1)، وأرسل معنا أربعة من خُدامه، ليُؤمنوا لنا الطريق، وقد أخبرني الشيخ زايد أنَّ هذا الجمل، ومعه أربعة جمال أخرى قطعوا مسافة 95 ميلاً بين البريمي وأبوظبي في أقل من اثنتي عشرة ساعة، وغادرنا المويجعي في أول مايو، وسافرنا على طول حافة الرمال أسفل الجبال صوب الشارقة»[9].

**حصن المويجعي:**

تمَّ بناء القصر في السنوات الأولى من القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، ويشتهر بأنه مسقط رأس الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، بعد ترميمه وافتتاحه للجمهور في نوفمبر 2015م، وتخصيص معرض دائم له.



وقد بُني قصر المويجعي في عهد الشيخ زايد بن خليفة الأول المُلقب بالشيخ زايد الكبير، على يد ابنه الشيخ خليفة بن زايد بن خليفة، وبعد وفاة الشيخ خليفة انتقل الحصن إلى نجله الشيخ محمد بن خليفة، ثمَّ إلى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، ونجله الشيخ خليفة بن زايد. وبُني القصر في البداية كحصن لحراسة واحة المويجعي ضد المهاجمين المُحتملين، وقد تضاعف حجم القصر تقريباً بعد أنَّ آل الشيخ زايد بن سلطان مؤسس دولة الإمارات العربية وصانع الاتحاد، وقد تزوج الشيخ زايد، رحمه الله، من الشيخة حصة عام 1946م، وانتقلا معاً إلى حصن المويجعي[10].

تشغل القلعة مساحة 4000 متر مربع، وهي تبعد نحو 500 متر عن واحة المويجعي، والتي يخترقها الآن الطريق الرئيس الذي يصل العين بأبوظبي، وهي في الأصل أسوار مُربعة 65 متراً x 65 متراً، ويبرز منها عند الركنين الشمالي الغربي، والجنوبي الشرقي أبراج مُربعة، وبوابة واجهتها جهة الشرق (شكل 1، 2)، وأسوارها ترتفع لنحو خمسة أمتار، وسُمكها نحو 95 سم عند قاعدتها.

أمَّا المبنى الرئيس فهو موجود في الناحية الشمالية الغربية، وهو القسم المخصص للسكن؛ ويتكون من ثماني غرف بعضها للتخزين، واستخدم الجزء الشرقي من المدخل كمخزن للذخيرة، وإلى الجنوب منها شُيد المسجد[11].

ويتكون البرج الجنوبي الشرقي الذي كان مُخصصاً في الأصل للدفاع من ثلاث غرف، والبرج الشمالي الشرقي من أربع غرف، والبرج الشمالي الغربي من سبع غرف. وتمَّ استخدام قصر المويجعي كمنزل وديوان للحكم (مقر للحكم)، وتُوجد بئر ماء داخل الحصن، وكان شيوخ العين يُقدمون الطعام، ويُكرمون طوائف المجتمع؛ وكان هذا المكان مصدر حياة للناس لوجود الماء، ويفِد إلى القصر من جميع أنحاء العين، واعتادت القبائل التي كانت تعيش في المنطقة، وبالقرب منها الجلوس مع الشيوخ.

وخلال فترة عمل الشيخ زايد مُمثلاً للعين، أضاف الكثير من البنايات لقلعة المويجعي، فتضاعف مُجمع الديوان، وتمَّ توسيع المطابخ، والمسجد، وغرف الضيوف لاستيعاب الأعداد المُتزايدة من الزوار. وتمَّ بناء قصر المويجعي من الطين الممزوج بالقش أو جذوع النخيل من واحة المويجعي المُجاورة، وتمت إضافة الحجارة

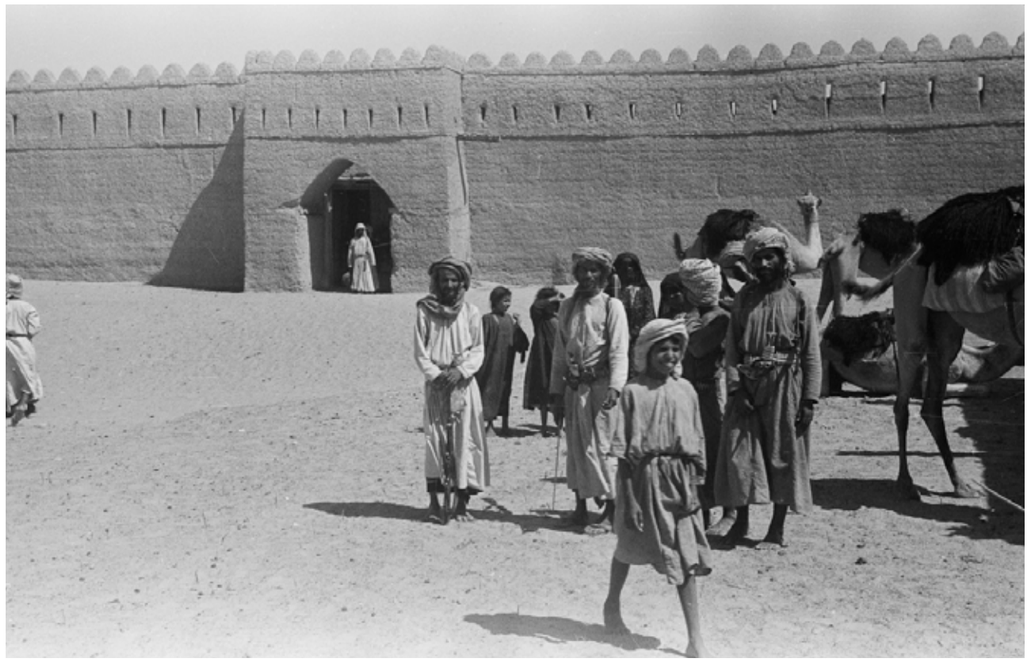

(لوحة 2) المدخل الرئيس بحصن المويجعي، عدسة ويلفريد ثيسجر، أبريل 1948م، عن: http://photographs.prm.ox.ac.uk/pages/2004_130_17379_1.html (1-12-2020).

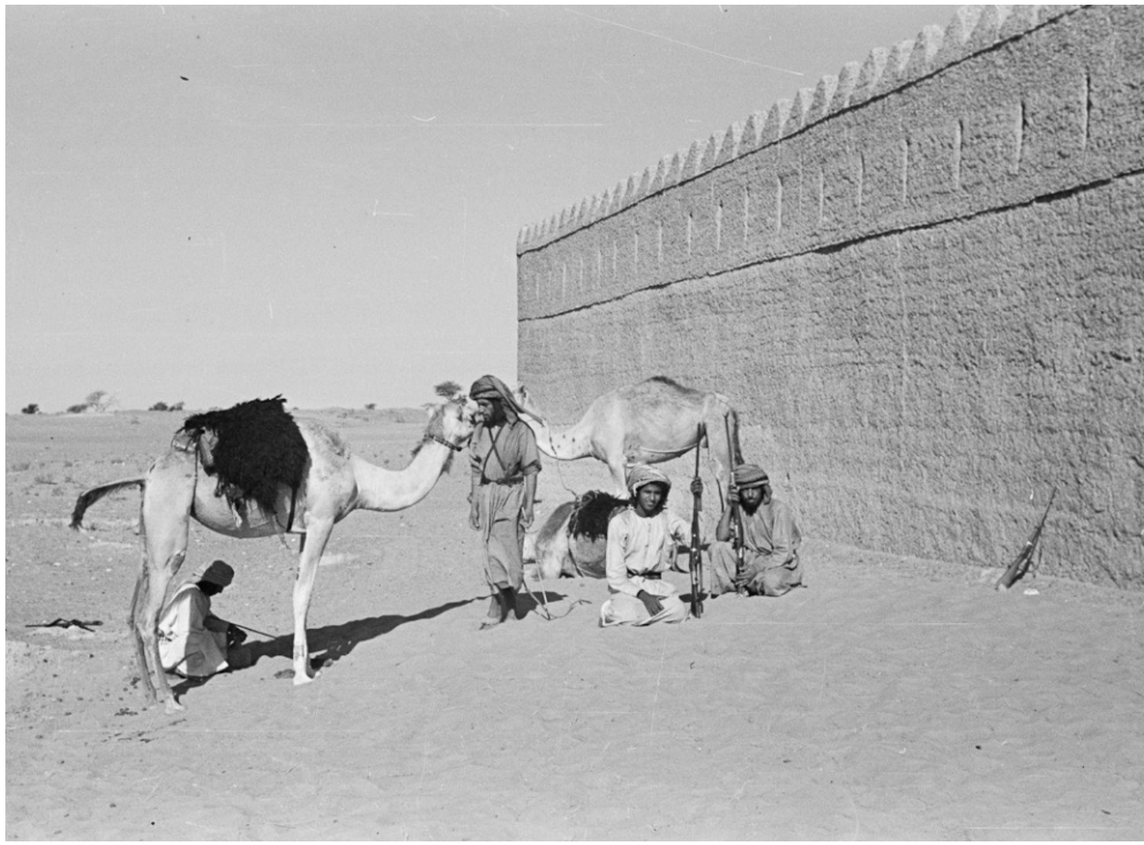

(لوحة 3) جزء من أسوار حصن المويجعي، عدسة ويلفريد ثيسجر، أبريل 1948م، عن:
http://photographs.prm.ox.ac.uk/jpeg_1200s/2004_130_22787_1-O.jpg (1-12-2020).

في وقتٍ لاحق؛ وانتقل الشيخ زايد إلى أبوظبي عام 1966م، وترك المكان حتى تمت عملية الترميم في سنة 1970م، غير أنها اكتملت من قِبل هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة عام 2009م، وتمت حتى نوفمبر 2015م، وافتتح القصر للزيارة[12].

وقد زار ثيسجر حصن المويجعي والتقط العديد من الصور للحصن، وهي ضمن مقتنيات متحف Pitt Rivers بأكسفورد، ومن هذه اللوحات المدخل الرئيس لحصن المويجعي (لوحة 2)، وتظهر أسوار الحصن في الخلفية، ومادة بنائها من اللبن، والأسوار يُزخرفها كورنيش بارز، ويعلوه فتحات مزاغل لإطلاق النار على المهاجمين (لوحة 3)، ثم يُتوج الأسوار شرافات مُسننة toothed crestings تأخذ شكل المثلث (يُطلق عليها في المصطلح الوثائقي أخطرة البُنيان)، كانت تُستخدم لدرء الخطر عمن يعتلون سطح المنشأة. والمدخل الرئيس للحصن من نوع المداخل البارزة monumental entrance، ويُتوجه عقد مُدبب pointed arch، يرتكز على دعامتين في الأركان، ويظهر ميزاب في أحد طرفيه، لتصريف مياه الأمطار، ويُزخرفه الكورنيش البارز بمستوى الأسوار، وكذلك فتحات المزاغل، والشرافات المسننة. والمدخل الرئيس يغلق عليه باب خشبي من مصراع واحد من ألواح خشبية رأسية (لوحة 4)، تُدعمها المسامير المقوبجة، ويقف أمامها أحد جنود الحراسة مُسلحاً ببندقيته.

ومن اللوحات التي التقطها ثيسجر للحصن، المسجد (لوحة 5)، وتمُثل اللوحة مسجد خارج حصن المويجعي، ويبدو المسجد وقد غطَّت الرمال أجزاء منه، والمسجد يتقدمه سور من اللبن، وقد غُطي بكسوة من الطين،



ويظهر هذا الجزء كرحبة تتقدم المسجد، والجدار الرئيس للمسجد مُكون من ثلاثة عقود نصف دائرية، ترتكز على دُعامات، وتظهر فتحات النوافذ، فتظهر فتحة شباك مرتفعة، كما تظهر فتحة شباك أخرى منخفضة، ومُغشاة من الخارج بمصبعات حديدية؛ وعلى غرار النمط المعماري للحصن تظهر فتحات المزاغل تعلو الشباك، وللمسجد سقف مُسطح. وتظهر في خلفية اللوحة أسوار الحصن، والبرج المربع الضخم، الذي يتكون من طوابق عدة، وينتهي من أعلى بشرافات مُسننة، ويظهر امتداد السور بالفتحات، والشرافات، كما يظهر جزء من المدخل التذكاري البارز، وأمام أسوار الحصن مجموعة من الأشخاص معهم الإبل الخاصة بهم، وقد أناخوها، وهم فيما يبدو في جلسة استراحة.

**متحف قصر المويجعي:**

ويُقدم متحف قصر المويجعي علاقة طويلة الأمد بين قصر المويجعي وقادة أبوظبي، ففي عام 1946م انتقل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (والد الأمة) إلى قصر المويجعي مع عائلته؛ ويُتيح المتحف للزوار معرفة تاريخ هذا المبنى العظيم، حيث ولد الشيخ خليفة بن زايد بن سلطان آل نهيان، وترعرع وعاش مع عائلته، ويروي المتحف قصة قيادته، وحياته، وإنجازاته بتوجيهات من والده المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، ويقع معرض قصر المويجعي في مبنى زجاجي داخل فناء القصر[13].

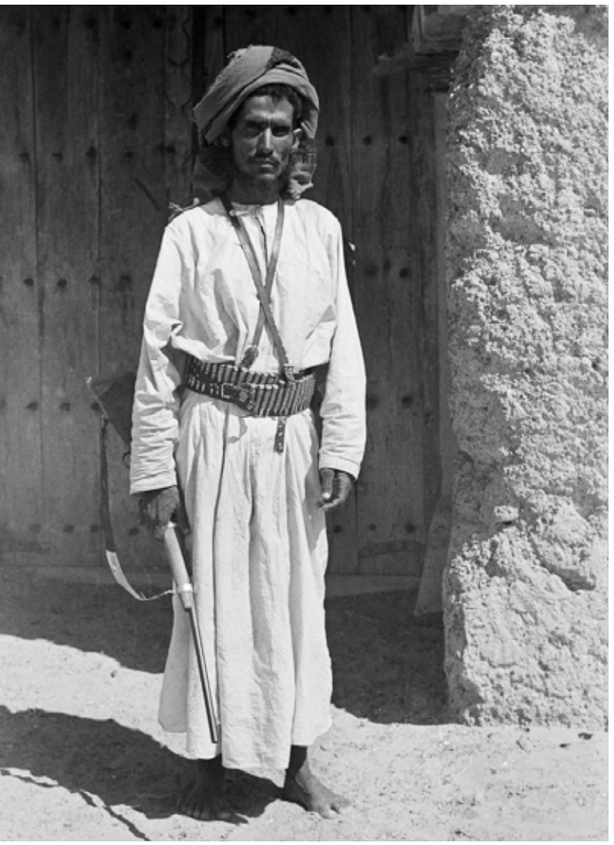

(لوحة 4) الباب الرئيس لحصن المويجعي، عدسة ويلفريد ثيسجر، أبريل 1948م، عن:
http://photographs.prm.ox.ac.uk/jpeg_1200s/2004_130_22797_1-P.jpg
(1-12-2020).

---

1. شمسة حمد الظاهري، قراءة في التاريخ الاجتماعي لواحة المويجعي في منتصف القرن العشرين، مجلة ليوا، وزارة شؤون الرئاسة، الأرشيف الوطني، دولة الإمارات العربية المتحدة، السنة السابعة، العدد 14، ديسمبر 2015م، ص 33.
2. تيموثي باور؛ بيتر شيهان، قصر المويجعي (ديوان آل نهيان بالعين/ واحة البريمي)، مجلة ليوا، العدد 5، ص 4؛ وعن الأفلاج في المنطقة راجع:
- Andrew Petersen, Islamic Urbanism in Eastern Arabia, pp. 313-314.
3. ثيسجر، الرمال العربية، ص ص 160-161.
4. تيموثي باور؛ بيتر شيهان، قصر المويجعي، ص 4.
5. والدليل على ذلك ما قام به التكريتي من كشف أثري في المنطقة، الفلج، والكسرات الخزفية والفخارية.
6. تيموثي باور؛ بيتر شيهان، قصر المويجعي، ص 4.
7. ثيسجر، الرمال العربية، ص 165؛
8. W.Thesiger, A further Journey Across The Empty Quarter, The Geographical Journal, Jan-Jun 1949, Vol, 113, p.p. 4142-.
9. W.Thesiger, A further Journey Across The Empty Quarter, p. 42.
10. Silvia Radan, Destinations in Al-Ain, history is told in mud and palms, Friday Magazine, 3 Nov 2017.
11. Salma Samar Damluji, The architecture of United Arab Emirates, Garent Publishing, p.230.
12. Silvia Radan, Destinations in Al-Ain, history is told in mud and palms, Friday Magazine, 3 Nov 2017.
13. Sadeka Shakour, The Role of Contemporary Biographical Museums in Heritage Conservation in The UAE, international journal of advanced science and technology, Vol 28, No 16, 2019, p. 1697.

# إصدارات تثري المكتبة العربية

**سارة إبراهيم**
كاتبة - مراود

اتساقاً مع الرؤية الشاملة لمعهد الشارقة للتراث الهادفة إلى توثيق التراث الإماراتي والعربي ونشره ضمن مبادراته ومشروعاته الكبرى، بهدف إثراء المكتبة العربية وإمتاع القارئ العربي، يأتي انتخاب باقة من أهم العناوين في التراث الثقافي الإماراتي والعربي التي تتناول موضوعات متنوعة تشمل التراث المادي وغير المادي، وتتضمن مباحث رئيسة ومهمة تلقي بظلالها على الحكاية الشعبية، والعمارة التقليدية بأشكالها المختلفة وغيرها من الموضوعات المتنوعة، وفيما يلي استعراض لأبرز موضوعات التراث الإماراتي والعربي التي نشرها المعهد خلال السنوات الماضية.

### «بنات واق واق» وحكايات من الإمارات

مجموعة حكايات شعبية من الإمارات العربية المتحدة، ثلاثون حكاية يرويها الدكتور عبدالعزيز المسلّم بأسلوبه الخاص، مصدرها رواة إماراتيون من بيئات مختلفة، وفي أزمنة عدة، ولعل أسلوب السرد الذي تميزت به الحكايات جعلها ملائمة للكبار والصغار على حد سواء، ومن بين الحكايات: النوخذة، زوجة الطواش، غدير الغزلان، كنا كنا، جناح الدجاجة، مي ومايدة.

### «كنوز من التراث.. أسئلة تراثية» ج1

يقدم الكاتب خميس إسماعيل المطروشي أسئلة تراثية متضمنة في خمسة أبواب، يضم الكتاب أسئلة عن البيئة البحرية، وأسئلة ألغاز شعبية، وأسئلة الأمثال الشعبية، كما يقدم أسئلة في الشعر الشعبي، وأسئلة تتعلق بالقرى والمدن. ويتسم الكتاب بكونه يقدم مادة تثري معلومات القارئ بأسلوب الأسئلة التحفيزية، ما يجعلها جذابة للفهم والحفظ.

### المرأة في بادية المنطقة الوسطى «من إمارة الشارقة»

يبرز خليفة سيف حامد الطنيجي، دور المرأة الإماراتية في مجتمع البادية، وذكرها في القصص وكتابات الرحّالة والأشعار، والمهن التي اعتمدتها، ودورها في منظومة الحياة الاجتماعية، كما جاء على نساء خلدتهن مناطق الوسطى، وحال المرأة هناك اليوم.

### بيت السركال: تحليل العناصر المعمارية وعمليات التدخل

يقدم الكاتب خميس إسماعيل المطروشي أسئلة تراثية متضمنة في خمسة أبواب، يضم الكتاب أسئلة عن البيئة البحرية، وأسئلة ألغاز شعبية، وأسئلة الأمثال الشعبية، كما يقدم أسئلة في الشعر الشعبي، وأسئلة تتعلق بالقرى والمدن. ويتسم الكتاب بكونه يقدم مادة تثري معلومات القارئ بأسلوب الأسئلة التحفيزية، ما يجعلها جذابة للفهم والحفظ.

### كتاب اللؤلؤ المكنون

يأخذنا الكاتب مصطفى الفردان في أعماق البحر، حينما كان الأجداد يبحرون من شواطئ الشارقة للغوص على اللؤلؤ، ويتضمن الكتاب تفصيلاً عن اللؤلؤ في اللغة والمعتقدات الدينية والأدب، واللآلئ في الحضارات وعند الرحالة والمؤرخين، انتقالاً إلى اللؤلؤ في عصر النهضة، ثم يتناول الكتاب النظريات العلمية لتكون اللؤلؤ والمخيال الشعبي، ونظام الغوص على اللؤلؤ في الخليج وفي الاقتصاد العالمي.

### ديوان الشاعر علي بن بخيت العميمي (القصائد الذاتية) الكتاب الأول

جمع وإعداد سلطان العميمي، يقدم الكاتب سيرة الشاعر، ومن ثم قصائد الديوان الذاتية، وقصائد التغرودة ومقاطع الرزفة، ويأتي الديوان بعد ديواني «ابن البادية» و«ديوان ابن بخيت»، ولأن السابقين لم يضما الإنتاج الشعري الكامل، وافتقادهما عناصر عدة، يأتي هذا الديوان ليضم كل ما قدمه الشاعر.

# الهدايا المَسْحُورة(*)

**شهرزاد العربي**
كاتبة - الجزائر

كان لرجل ثلاثة أبناء، وعندما تُوُفّي قال الابن الأكبر لأخوَيْه:
ـ علينا أن نرحل بحثاً عن الثروة.
فرّد عليه أخوه الأوسط:
ـ اذهب أنت، وإذا وجدتها فَعُدْ إلى هنا؛ لنعيش مع بعضنا بعضاً.
استحسن أنطوان كلام أخيه جاك، وتهيّأ للرحيل، وقبل الذهاب ترك لأخويْه كأساً فيها ماء صافٍ، وقال لهما:
ـ عليكما بمراقبة الماء في الكأس كل يوم، فإذا رأيتما الماء عكراً، فهذا يعني أنني في خطر، وإذا أسودّ الماء فهذا يعني أنني هلكت.
ظل جاك وأندريه يراقبان الكأس كل يوم، حيث ظلت المياه صافية لفترة، لكن ذات صباح لاحظا أن المياه أصبحت آسنة، فعرفا أن أخاهما في خطر.
تهيّأ جاك للسفر لأجل مساعدة أخيه أنطوان، وأعطى أندريه كوباً آخر فيه ماء صافٍ، وطلب منه مراقبة الماء، فإذا لاحظ عليه تغيراً فيهب لنجدته.
مضت خمسة عشر يوماً على غياب جاك، وظلّ أندريه يراقب الماء ـ صباحاً ومساء ـ فلم يلاحظ عليه أي تغيير، لكن بعد ذلك صار الماء عكراً، فقال أندريه في نفسه:
ـ إن جاك في خطر، وعليّ الذهاب لنجدته.
حمل أندريه طعاماً معه، وأخذ عصاه، واتجه إلى الطريق الذي مضى فيه أخواه
في أول يوم له صادف أناساً يزفون عروساً لعريسها، فدعوه للأكل مع العروسين.
لبّى أندريه الدعوة، وأكل الطعام مع العروسين، وعندما همَّ بالرحيل، قال له العروسان:
لابد أن تطلب شيئاً يبقى ذكرى لك عن هذا اليوم.
ردَّ جاك:
ـ أريد قطعة حبل.
استغرب العروسان، وقالا له:
ـ نظن أنك تمزح معنا.
فرَّد قائلاً:
ـ لا، لستُ أمزح.. إنما بالفعل لا أريد سوى قطعة حبل.
فأعْطي سُؤلَه، ثم مضى مواصلاً طريقه بعد أن ودّع العروسين، وتمنّى لهما حياة طيبة.

وفي الغد عندما اقترب من قرية أخرى، رأى موكب عروس تقاد إلى عريسها في القرية المجاورة، فقال له أهل العروس:
ـ تعال معنا، فإن الغريب يجلب الحظ الحسن للعروسيْن.
ذهب أندريه مع الجمع، وأكل مع العروسيْن، وبعد أن انتهى سألوه:
ـ ماذا تريد كذكرى لهذا اليوم؟
فقال لهما:
ـ أعطوني فقط هذا المفرش البالي.
فقالوا له:
ـ بربّك، أهذا ما تطلبه فقط؟! اطلب ما تريد نعطه لك في الحال.
لكن أندريه أصّر على طلبه، وأنه لن يرضى بغيره، فأعطوه ما طلب وانصرف.
في اليوم الثالث صادف عرساً آخر فدُعي للوليمة ليجلب الحظ للعروسين، وقبل الانصراف اختار أن يأخذ من أهل القرية بقيّة قطعة من شمعة، ثم انصرف.
ثم واصل طريقه، وبعد أيام عدة، رأى حصاناً رماديّاً أعرج، لا يبدو أنه ملك أحد، فقال في نفسه:
ـ لقد ساقه الله إلي، حتى إن لم يكن يساوي شيئاً في السوق، إلا أنه قوي بما يكفي ليحملني، وإذا لم يتمكن من العدْو، فلابد أنه قادر على المشي.
ثم اقترب منه، وقال له:
ـ هلّا تكرمت بحملي؟
فردَّ الحصان:
ـ بالطبع.. أنت تبحث عن أخويْك حسب ما سمعتُ، اتْبع نصائحي، وستعثر عليهما.
فرد أندريه مستغرباً:
ـ من تكون؟ لم أكن أعرف أن الأحصنة تتكلم.
ردّ عليه قائلاً:
ـ في الوقت الرَّاهن لا أستطيع أن أخبرك شيئاً، لكنني أعدك أنك ستعرف كل شيء فيما بعد، وأريدك أن تعرف أنني حصان مسحور، ولكيلا يصيبك ما أصابني، كنْ حَذِراً وماكراً أيضاً، واعلم أنك ستصل بعد فترة إلى قصر تسكنه حوريات شريرات، وستدعونك إلى مشاركتهن طعامهن وشرابهن، فارفض ذلك؛ لأنه سيقع بك شر كبير.

(*) ـ ترجمة وإعادة صياغة ـ بتصرف ـ عن كتاب: Contes francais, receuillis par E.Henry Carnoy. Ernest le roux editeur, Paris, 1885.



شكر أندريه الحصان، وبعد أن امتطاه واصل طريقه في اتجاه قصر الحوريات الشريرات، وما لبث أن وصل إلى قصر حُجُراته من الذهب الخالص، وظهرت حوريات جميلات، دعونه إلى الدخول للاستراحة قليلاً، وهمس له الحصان:
ـ يمكنك تلبيّة دعوتهن، لكن لا تقبل منهن طعاماً ولا شراباً.
ومن شرفة القصر قالت له إحداهنّ:
ـ ستتناول طعامك معنا.
ردّ عليها قائلاً:
ـ هذا لطف منكن، لكنني لا أستطيع، فقد أكلت من فترة وجيزة، ولا أشعر بالجوع الآن.
فقالت له أختها الأخرى:
ـ لا شك في أنك لن تمانع في مشاركتنا الشراب.
فقال:
ـ ولا هذا أيضاً؛ لأنني مررتُ بنبع في الغابة، فشربت حتى ارتويت.
شكّت الحوريات بأن أحدهم قد نبّهه وحذّره، فاغتظن من أندريه، وعز عليهن أن يفلت منهن، حيث لم يسبق لأحد أن فعلها، فقفزن من الشرفة وهجمن عليه، ورأت إحداهن الحبل يتدلىّ من جيبه، فأخذته، ثم قُمْن بتعليقه على شجرة عالية، وانصرفن سعيدات بنصرهنّ.
لكن الحبل الذي أعطاه له أهل القرية بدأ يتمدد ويتمدد، حتى أنزله عن الشجرة، عندها قال له الحصان العجوز:
ـ أسرع واقطع الحبل، أنت محظوظ لامتلاكك حبلاً سحريّاً، فلولاه لما استطعت مساعدتك.
قطع أندريه الحبل، وسأله:
ـ ماذا سأفعل الآن؟
أجابه الحصان:
ـ تدخل حديقة الحوريات وستجد شجرة لها ثلاثة فروع، عليها ثلاث تفّاحات ذهبيات، خذْها بسرعة؛ لأن الحوريات يمكن أن تراك، وستهلك ساعتها.
دخل أندريه إلى الحديقة، ووجد الشجرة، فقطف التفاحات، وعاد مسرعاً إلى الحصان الرمادي العجوز، الذي قال له:
ـ هذا جيّد، والآن ابدأ في تدمير قصر الحوريات الشريرات.
سأله:
ـ كيف أفعل ذلك؟
ردّ عليه:
ـ خُذْ واحدة من التفاحات، وارْمِ بها على سطح القصر.
وما أن ألقى أندريه التفاحة حتى خسف القصر مع ساكنيه، وصادف أن كان بعض الحوريات في الغابة خارج القصر، فرأين الحصان والفارس يفرّان بعيداً، فتبعناهما.
كانت الحوريات سريعات أكثر من الحصان الأعرج، وكِدْن يلقين القبض على أندريه، لولا وصوله أمام بحيرة، عندها قال للحصان:
ـ سنهلك حتماً.
ردّ عليه الحصان:
ـ ليس بعد، القِ بالتفاحة الثانية في البحيرة، وما أن لامست التفاحة الماء حتى تحولت البحيرة إلى أرض كلها زرع، وعندما اجتازها الحصان عادت بحيرة كما كانت، فغرقت الحوريات باستثناء واحدة، التي لم تكن قد وصلت إلى البحيرة بعد.
في صباح الغد، وصل أندريه إلى باب قصر الملك، وعند الباب رأى فتاة جميلة مدفونة في التراب، لا يبدو منها سوى الوجه، فقال لها:
ـ أيّ سحر أجبرك على البقاء هنا؟!
ردت عليه:
ـ إنها ملكة الحوريات.. لقد سحرتني، وعجز والدي عن فعل شيء يحررني من هذا السحر.
فقال لها:
ـ لكن هذه الحورية ماتت.. لقد قتلتها بالأمس.
سألته متعجبّة:
ـ أحقاً ما تقول؟! إذن سأتحرر غداً من حفرتي هذه.
قضى الفتى ليلته في الغابة، وعاد في الصباح إلى باب القصر ليجد أن الفتاة تحرّر نصفها، فقالت له:
ـ عُدْ غداً، وسأكون قد تحررت من سجني، وتقول لأبي إنك أبطلت سحر الحوريات، ولقد وعد أنه سيزوجني ممن يحررني.
عاد أندريه ليقضي ليلته في الغابة، وعندما عاد في الصباح كانت الأميرة قد اختفت، حيث أخذتها الحورية التي نجت من الغرق إلى السلطان، وادّعت أنها هي التي حرّرتها، وبما أنها امرأة، فقد جعلها الملك سيدة القصر بعده.
نبّهت الحورية الحرس أن يمنعوا أندريه من الدخول إلى القصر، وتمّ طرده ووصفه بالمحتال بمجرد وصوله.
استشار أندريه حصانه، فقال له:
ـ توجد معك تفاحة أخيرة ألْقِها على شجرة التين هذه.
ففعل أندريه ما طلب منه، فسقطت من أعلى الشجرة فأس ذهبية، فقال له الحصان:
ـ خُذْ هذه الفأس، واقطع بها رأسي بضربة واحدة.
ولم يقبل الحصان اعتراضه، فأخذ الفأس، وهوى بها على رقبة الحصان، فاختفى الأخير، وظهر مكانه أخواه أنطوان وجاك، وكان لقاء حاراً تعانقوا فيه جميعاً، وقصوا حكايتهما على أخيهما الأصغر، ثم توجهوا إلى قصر الملك، فاتهمهم هذا الأخير بالنصب والاحتيال، وألقى بهم وسط الأسود والنمور والدببة والثعابين، وبدل أن تهجم عليهم الحيوانات آثرت السلامة.
كان المكان مظلماً، فأخذ أندريه بقايا الشمعة التي أعطيت له من أهل قرية العروس، فأنار بها المكان، وأخرج المنديل وفرشه على الأرض، فظهرت أمامه كل أصناف الأطعمة الشهية، فأكلوا جميعاً، حتى الحيوانات شبعت من اللحوم التي قدمت لها.
ظل المغامرون الثلاثة على هذا النحو مدة سنتين، بعدها فتح الباب للزج بسجين آخر، فاستغرب السجانون أن الفتيان على قيد الحياة، فأخبروا الملك بذلك، فسأل ابنته عن حقيقة الأمر، فقصّت عليه ما حدث، فألقى بالحورية في النار، وأخرج أندريه وأخويْه من السجن، وتزوّج من الأميرة، كما تزوّج أخواه من أميرتين صديقتين لابنة الملك.. وهكذا وجدوا الثروة، وعاشوا سعداء.

# أطعمة خنان الشهيرة

**الكاتبة: يسرى تشانغ شان**
**المترجمة: زينب تشانغ تشيان يوي**
**المراجع: جمال بن علي آل سرحان**

تقع مقاطعة خنان في شرق الصين، وتتمتع بتاريخ طويل، وثقافة غذائية فريدة من نوعها.

**تصنيف الطعام في مقاطعة خنان:**

**1. هويمين (مكرونة مطهية):**

يوجد العديد من الأطعمة المتميزة في مقاطعة خنان، من بينها هويمين، وهي واحدة من أشهرها. يعود تاريخها إلى أكثر من أربعة آلاف عام، وتُعتبر «واحدة من أفضل عشرة أنواع مكرونة في الصين». كما أن سعرها

معقول، وانتشرت من وسط الصين إلى جميع أنحاء البلاد. تمتاز هويمين بأنها بيضاء اللون وطرية، ولها طعم طازج وعطر، وهي لذيذة جداً. حساؤها لذيذ، ولحم الضأن طري، وغير حامض. سواء طبخت في المطعم أو في المنزل، ويمكن لهويمين أن تطهى على البخار لتجلب للناس مذاقاً مرضياً.

**2. خولاتانغ (حساء اللحمة المفرومة مع الفلفل الحار):**

إن خولاتانغ خنان هي الأكثر شهرة، وهي في مدينة شياويان الأكثر أصالة، والأفضل في محافظة تشكو شيهوا. يستخدم هذا النوع من خولاتانغ المنتجات المحلية في مدينة شياويان كمواد أولية، ولها نكهة غنية ولون جميل، فضلاً عن حسائها السميك. ويمكن تقديم خولاتانغ مع فطيرة بالبخار وزلابية وفطيرة البصل الأخضر وغيرها عند الإفطار.

إنها حار وعطرة وناعمة وفاتحة للشهية للغاية.

تُقدم مع زلابية وفطيرة بالبخار وفطيرة البصل الأخضر، فهي بكل بساطة مذهلة

**3. فطيرة على البخار مملوءة بالحساء**

إن فطيرة خنان مشهور جداً، فقد نشأت من عهد أسرة سونغ، وحصلت على إقبال كثير من الناس في ذلك الوقت. هي صغيرة الحجم، وذات قشرة رقيقة وشفافة، وتحتوي على اللحم والحساء. كانت تحظى بشعبية كبيرة منذ عهد أسرة سونغ الشمالية، وما زالت شعبيتها مستمر حتى الآن.

يعد صنع فطيرة الحساء أمراً خاصاً. ينبغي لك أولاً اختيار الحشوات الجيدة، ولف الحشوات في غلاف رقيق، ثم لفها وأخيراً اطبخها.

تتميز فطيرة الحساء بمذاق دقيق وحساء يانع، وهو فاتح للشهية للغاية. إنه المفضل لتناول الإفطار أو كوجبة خفيفة

**4. دجاج في مدينة داوكو المشوي**

يعد دجاج داوكو المشوي أحد الأطباق الشهية المتميزة في مدينة داوكو، التابعة لمقاطعة خنان، ويعرف باسم «أول دجاج في الصين».

عند صبخ الدجاج، يُستخدم الدجاج الطري، مع الطب الصيني الثمين والحساء القديم، فهكذا الدجاج المشوي مملوء بالرائحة الشهية، واللحم الغض، والعطر مع أنه ليس دهنياً، وله تأثير علاجي جيد. يعود تاريخ دجاج داوكو المشوي إلى ما قبل ثلاثمئة عام، له طعم فريد وشكل جميل ولون مشرق، كما يعتبر طعاماً شهياً مشهوراً بلون جيد ونكهة رائعة في العالم.

**5. كعكة الفول السوداني**

كعكة الفول السوداني هي منتجات محلية تقليدية في كايفنغ، خنان، نشأت في عهد أسرة سونغ، ولها تاريخ لأكثر من ستمئة عام.

إنها مصنوعة من حبات الفول السوداني المختارة كمادة رئيسة، وتكتمل بالسكر والكراميل وغيرهما بعمليات متعددة. كعكة الفول السوداني قشاري، ولها طعم دقيق وحلو ولذيذ. ليس هذا الطعم الفريد فحسب، بل هي غنية أيضاً بالبروتين والدهون والألياف، وهو أفضل لصحتنا.

سواء أكانت وجبة أعدتها العائلة أم تناولناها في الخارج، فإن كعكة الفول السوداني هي طبق لذيذ ومثير، ترحب مقاطعة خنان بالسياح بحرارة لزيارتها وتذوق مأكولات خنان الفريدة.

د. منّى بونعامة
مدير التحرير

# الأمثال الشعبية مرآة الشعوب

تشـكّل الأمثـال الشـعبية إطـاراً ثقافيـاً ثرياً، يختـزل خلاصـة تجـارب السـابقين، ويختـزن حكمـة الأقدمـين، ويدعو إلى الحـذو حذوهم، والاسـتفادة مـن تجاربهـم.

ويختلـف الدارسـون والباحثـون في تعريـف الأمثـال، وتحديد دلالتهـا ومعانيها ومقاصدها، فيرى بعضهـم أن المثل يعدّ من أقدم أشـكال التعبـير الشـفوي، وأعرقهـا عـلى الإطـلاق، وهو خلاصة التجـارب، ومحصـول الخبرة، يحوي معنى يصيـب التجربـة والفكـرة في الصميم، ويتسـم بالإيجاز، وجـمال البلاغة.

ويصـف آخرون الأمثال الشـعبية بكونها: «التعبير اللفظـي المتـداول بغـير تبديـل أو تغيـير في لفظه الحـرفي، والتـي تمثل بما تنطـوي عليه نصوصهـا وألفاظهـا خلاصات التجارب، واسـتقرار الواقـع، وتراكـم الخـبرة، والمعانـاة التاريخية، وهـي تشـبه القواعـد والخطـوط النظريـة للسـلوك العلمـي»، بينـما يـرى بعضهـم أن الأمثـال الشـعبية «تركيـب ثابـت شـائع موجز، يسـتخدم مجازيـاً، صائـب المعنى، يعتمـد كثيراً عـلى التشـبيه، ولـه ميـزات وسـمات يتسـم بها، هـي: الإيجاز البليغ، والاسـتعمال الشـائع، والتشـبيه، وجمال اللغـة، والثبات، والاسـتعمال المجازي، وجودة الكنايـة، بالإضافة إلى أنه قابل للاسـتخدام في سـياقات مختلفة، غير أن علاقته بتلك السـياقات خاضعـة لقواعد دلاليـة خاصة».

والأمثـال الشـعبية تعبـير عـما تمتـاز بـه الجماهـير من عمـق في المبـادئ، ونبل في القيم، وتشـبث بالأصالة، وهـي أيضاً تعبير عما يمتاز بـه الحكماء الشـعبيون من شـمولية في الرؤيـة، ودقـة في الملاحظـة، ووضـوح في التفكـير، وصـدق في التعبـير، وحكمـة في التوجيـه، وإيجـاز في التبليـغ، وعفويـة في الصياغـة، وحيويـة في العرض.

لذلـك، فهـي تعـدّ مـرآة الشـعوب، وخلاصة تجاربهـا الحياتيـة، وسـجل حكمـة الأجـداد، وتختـزن في طياتها التجربة الإنسـانية على مرّ العصـور، لمـا تحويه من أخـلاق وقيـم ومُثل إنسـانية، تعـبّر بوضوح عـن تراكـمات التجربة البشرية، وثرائها وغناهـا، وتحتفظ في معانيها ومضامينها بالمآثر والقيم والعـادات والتقاليد والأعـراف المجتمعيـة، وتحـض على السـلوك السـويّ المحمـود، وتنفـر مـن المسـلكيات السـيئة المخالفة لمـا درج عليـه الأقدمون.

وتتعدّد موضوعـات الأمثال الشـعبية الإماراتية وتتنـوّع تبعـاً لاسـتخدامها، ومـا تـضرب لـه، فهي إمـا أن تحثّ على فعل حسـن، وسـلوك قويم، وتدعو إليه كالشـجاعة والجـود والكرم والإقـدام والفروسـية، وغيرهـا مـن الصفات الإيجابيـة، ومنهـا: اللي ما يطيـع يضيع، الناس للناس والـكل بالله، خادم القوم سـيدهم، خذ الزين لـو غالي، خير الـكلام ما قـلّ ودلّ، دياية الشـيخ شـيخة، عليك بالـدرب ولو طـال، لا تكثر الـدوس عـلى الخـلان يملونـك. وإمـا أن تذمّ سـلوكاً مشـيناً وتنفّـر منه، وتحض عـلى البعد عنه، كالجـبن والبخل والجشـع والطمع والظلم والتسـلط.. وغيرها مـن الصفات السـيئة، ومن أمثلـة هذا الصنـف اتـقِ شرّ مَن أحسـنت إليه، القطـو العـود مـا يتربى، السـمكة الخايسـة تخيس السـمك كله.

are invoked at opportune moments to reinforce ideas and urge good behavior or discourage disgraceful acts, thereby preventing them. Common proverbs are also employed in a multitude of contexts, including interactions with family, relatives, friends, and even strangers. These interactions are guided by a multitude of factors, including material and moral considerations. The specificity and generality of the relationship play a role in the form of transactions between people, as well as in the traditions of people coupled with their dealings among themselves and with others, according to customs, habits and traditions. The UAE is an authentic part of the Arabian Peninsula, the first land of the Arabs, and the source of their noble morals, which are not matched by any other people in the whole world.

A child in the UAE is instilled with a multitude of positive values and behaviours, including good manners and the qualities that are essential for a well-rounded personality and a positive self-image. The most crucial of these values is the etiquette of dealing with others. Self-cultivation, elevating oneself, rising above trivial matters, forgiveness and tolerance are all qualities that contribute to the individual›s honourable morals and the collective moral fabric of the community.

We are therefore pleased to dedicate this issue to the common proverbs. They are of great importance and convey a valuable and meaningful message. We will be exploring their place in our cultural heritage and how they reflect the importance of Emirati, Arab and global cultural heritage. We will be celebrating multiple elements and symbols from these cultures.

# Common proverbs are a repository of wisdom

Common proverbs are the heart and soul of a nation›s experiences, heritage, values, wisdom and ideals. They are passed down from generation to generation, serving as a repository of cultural knowledge. Their vocabulary is crafted in accessible language, imbued with profound meanings and authentic values that reflect the lifestyle, way of life, and experiences of a people. They